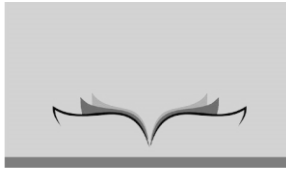


في الأدب الأندلسي موضوعات و قضايا  
دكتور خليل محمد إبراهيم





منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق

# في الأدب الأندلسي

موضوعات وقضايا

دكتور خليل محمد إبراهيم

أستاذ الأدبين الجاهلي والأندلسي في الكلية التربوية المفتوحة سابقاً



إصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق

المطبعة الاولى 2017



## في الأدب الأندلسي

د. خليل محمد إبراهيم

رقم الايداع:

### الطبعة الاولى 2017

اصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق – بغداد

جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، حسب قوانين الملكية الفكرية لعام 1988، ولا يجوز نسخ او طبع او اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من من هذا الكتاب إلا بإذن خطي.

### First Edition 2017

Published by the Union of Iraqi Writers – Baghdad - Iraq

Revised copyright © The Union of Iraqi Writers the right of the Authors of this work has been asserted in accordance with the copyright, Design and Patents Act 1988.

طباعة:

دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والتوزيع

**الإهداء**

**بكل سرور**

**أهدي هذا الجهد المتواضع إلى طلبتي الأعزاء**

**وإلى كل المهتمين بالابتداء بدراسة أدب**

**الأندلس**

**- الفردوس المأزوم- دراسة جديدة -**



## مقدمة

لا شك أن القراء الكرام؛ يهتمون بالأندلس هذه الجنة الغناء التي أفتقدتها العرب وما يزالون يحنون إليها ويكتبون عنها ويزورونها أو يحلمون بزيارتها دون أن يعتبروا بما حل بها فيستفيدوا منه أبدع العرب والمسلمون وغيرهم من الأجناس المتوائمة في الأندلس حضارة عريقة عميقة الغور والتأثير في التراث العربي خاصة والتراث الإنساني عامة؛ أحد جوانب هذه الحضارة الراقية؛ أدب رائق رفيع متطور في الشعر والنثر، وهذا الأدب هو ما سنحاول الإلمام به معاً في هذا الكتاب المتواضع المرشد إلى بعض الكتب والدراسات التي اعتنت بهذا الأدب، إذ سنجدها في الهوامش وفي قائمة المصادر والمراجع؛ يرجع إليها طلاب العلم؛ كل بحسب اهتمامه وكفاءته، فأنه على أهمية الكتب والدراسات التي تعرضت للأندلس وأدبها لا يوجد كتاب جامع مانع؛ يمكن اعتماده في الدراسة، وعليه فهذا الكتاب عبارة عن مرشد ليس إلا، وهو مفتاح لتناول الأندلس أدباً وفكراً؛ مستفيداً من إنجازات السابقين الأفاضل؛ مفيداً للمعاصرين والتالين، وهذا يعني أن هذا الكتاب وحده، لا يكفي الطالب، ناهيك عن أن يغنيه عن غيره من الكتب، لذلك أقترح قراءة إطروحتي:- (ملاحق قصصية في الرسائل الأدبية النثرية الأندلسية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجريين)، وقد اخترتها لأنها تغطي جانباً ثرياً محددًا هو الجانب القصصي في أهم فترات الأدب الأندلسي.

على هذا فأنا أضع بين أيديكم كل الكتب والدوريات التي ستكون موجودة في الهوامش، وستذكر في قائمة المصادر والمراجع، لتعين من يريد أن يستعين بها. إن ما تقدم يعني أن الهوامش مفيدة للطالب لا بد من أن يقرأها، لأنها ستحتوي على أهم مصادر البحث ومراجع مدعمة بالصفحات؛ كي يمكنه الرجوع إليها، كما أنها ستحتوي على شرح لبعض المفردات التي قد تبدو صعبة، زد على ذلك الحد الأدنى؛ مما ينبغي حفظه من الشعر والنثر إلى جانب ملحوظات أخرى؛ تُعرّف الطالب إلى الهوامش وتعلمه طريقة استعمالها، وما ينبغي أن يكون فيها، كي يتعلم بعضاً من أوليات البحث العلمي التي يحتاجها في حياته العلمية عامة، وأنا إذ أحتُ الطلاب على قراءة الهوامش، لم أثقل هذا الكتاب بهوامش كثيرة لئلا تشغل القارئ عن المتن، فهناك توازن بين المتن والهوامش أرجو أن يكون مناسباً.

ستوجد في هذا الكتاب نبذة صغيرة عن حياة كل شاعر أو شاعرة أو ناثر سيأتي ذكره، كما سيوجد نص أو أكثر له، فضلاً عن شيء من مميزات شعره أو نثره زد على ذلك دراسات موجزة جداً عن الشعر والنثر وموضوعاتهما وأنواعهما التي ستبدو لكل شاعر أو ناثر، وما فعلت ذلك إلا إيجازاً مع أن جانباً كبيراً من هذا الكتاب مقبول ومناقش في

مؤتمرات علمية ومنشور في مجلات محكمة، مثبتة في الهوامش، ومع ذلك أعتقد بوجود الرجوع إلى كتب أخرى ودراسات لا أقول كي تسهل الصعب وتوضح الغامض لأنه ليس في هذا الكتاب صعب أو غامض فيما أظن لكن أقول:- ليجد الطالب نصوصاً أكثر بكثير وأفكاراً أكثر تنوعاً مبسوطاً في كتب المؤلفين ودراساتهم، وهو ما لا يستطيع كتاب صغير مثل هذا أن يقدم غير جزء صغير منه يحتاج إلى توسع واستزادة، وهذا التوسع وتلك الاستزادة؛ يختلفان باختلاف الطلاب ونوعية اهتماماتهم، أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكل مخلص ذي كفاءة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

**دكتور خليل محمد إبراهيم**  
**أستاذ الأديين الجاهلي والأندلسي السابق**  
**في الكلية التربوية المفتوحة**



## تمهيد

### حول إشكالية المثقف العربي

بعض العرب من الأدباء والمؤرخين والإعلاميين اعتادوا تسمية (الأندلس) بـ (الفردوس المفقود) حباً منهم لهذا الإقليم الذي عاش فيه العرب والمسلمون؛ مع إخوانهم من أبناء القوميات والديانات الأخرى؛ حياة ممتلئة، بما يعنيه ذلك من السعادة و الشقاء، الحب والبغض، الجمال والقبح، الحق والباطل، الظلم ومدافعة الظلم... الخ؛ راحلين إليه فعلاً أو عن طريق الحلم، وحين يحلم الإنسان حلم يقظة، فغالباً ما يحلم بما يجب، ولا يفكر فيما يجب، من هنا فقد ألقى هؤلاء الناس؛ أحمال أثقالهم؛ على أعلامهم الأندلسية؛ متصورين أن الأندلس كانت حقاً وبلا نزاع فردوساً عاش الناس فيه بلا هم ولا غم، بأخوة وبلا ظلم، ولو حدث هذا، لتغير تاريخ العالم، على هذا الأساس، فأنا لا أميل إلى تسمية (الأندلس)؛ بـ (الفردوس المفقود) لكن أحب أن أسميه (الفردوس المأزوم) لأن الأزمة دخلته قبل دخول العرب والمسلمين إليه، ولم تتركه بعد خروجهم منه أو إخراجهم مع (أبي عبد الله الصغير) آخر ملوك بني الأحمر أو بعده ببضعة عقود على اختلاف المؤرخين في ذلك، ولا أحب الآن، أن أخوض في هذا الأمر، إذ أن له مواقف متعددة سنقفها معه ضمن هذه الدراسات التي سنقدمها عن أدباء هذا الإقليم ومثقفيه الذين دخلوه فعاشوا فيه أو ولدوا فيه ولم يغادروه أو غادروه بعودة أو بلا عودة راغبين في ذلك أو مطرودين، مؤثرين فيه؛ متأثرين بما فيه؛ فاعلين؛ متفاعلين؛ على الرغم من العذابات التي واجهوها والتي لم يكن أقلها تحريق الكتب وتمزيقها -كما حدث لـ (ابن حزم) و (ابن رشد) أو النفي كما حدث لهما أو الطرد من المسجد كما حدث لـ (ابن رشد) أو محاكمة كما حدث لـ (ابن مسرة) و (ابن رشد) أو بمنظرة كما حدث لـ (ابن حزم)، وغير هذا كثير ممن تعرضوا للسجن بل للإعدام ناهيك عن الإهانة والاتهام، فهذا هو حال المثقف الأندلسي، وهو حال المثقف في كل زمان ومكان، إنها ضريبة الثقافة والفكر ويا لها من ضريبة قاسية!

ولكي نقرب من إشكالية المثقف العربي، فلا بد من فلكة تتقدم بنا نحو مفهوم المثقف الذي تلمح هذه الكلمة؛ للتعريف بصورته التي تنطلق منها لإبراز إشكاليته أو إحدى إشكالياته، فالمثقف عند العرب صورة هلامية غائمة؛ قلما اتفق اثنان على قبولها، وإلى أن من حق كل إنسان أن يرى للمثقف صورة خاصة به، فإن من الضروري أن تلتصق ملامح قد تكون مشتركة بين الصور، كي لا يكون الكلام عاماً وبلا نظام، و لأجل هذه الكلمة؛ أقترح أن يكون المتعلمون؛ أربع حلقات متداخلة؛ تنبثق كل حلقة منها؛ من الحلقة السابقة لها، أي أن يكون بينها شكل من أشكال التخصيص؛ هذه الحلقات هي حلقة (المتعلمين) وهي أم الحلقات الثلاث التالية، وأكبرها، فكل متعلم؛ مشروع مثقف، لكن لا يُشترط أن

يكون مثقفاً؛ في حين يعسر على المثقف؛ ألا يكون متعلماً، والمثقف، ليس الظريف الذي يأخذ من كل نبع قطرة، وليس القادر على ذم الشيء ومدحه في الوقت عينه، وليس الذي يعرف شيئاً عن كل شيء، أو كل شيء عن شيء، فأين تجد مثل هذا الشخص؟!

ولو وجدته فهو على رأي أهل الحديث من أهل الرواية، لا من أهل الدراية، والمثقف وإن وجب أن يكون من أهل الرواية فلا بد له أن يكون من أهل الدراية المفكرين وإلا، فلن يكون مثقفاً، فالأقرب إلى المثقف؛ من كان متعلماً؛ له موقف من الكون والحياة؛ يجدر أن يكون قريباً من الصواب، من هذه الدائرة تخرج دائرة أصغر هي الأنضج هذه الدائرة الأصغر هي دائرة (المفكرين) التي ينجم عنها (الفلاسفة)، وأهمية هذه المسألة؛ تكمن في أن الفلاسفة والمفكرين؛ مثقفون؛ لكن ليس كل المثقفين؛ فلاسفة، إذ أن بعضهم يقبل هذه الفلسفة، وبعضهم الآخر؛ يقبل تلك، وهكذا تتوزعهم الفلسفات والأفكار؛ بنسب مختلفة؛ من هنا، فهم شريحة موزعة، وهو أمر دفع الكثيرين حكماً ومحكومين؛ جهلة ومتعلمين إلى جعلهم شماعاً؛ يضعون على عاتقها المشكلات غير المحلولة؛ (ماذا فعل المثقفون؟! )

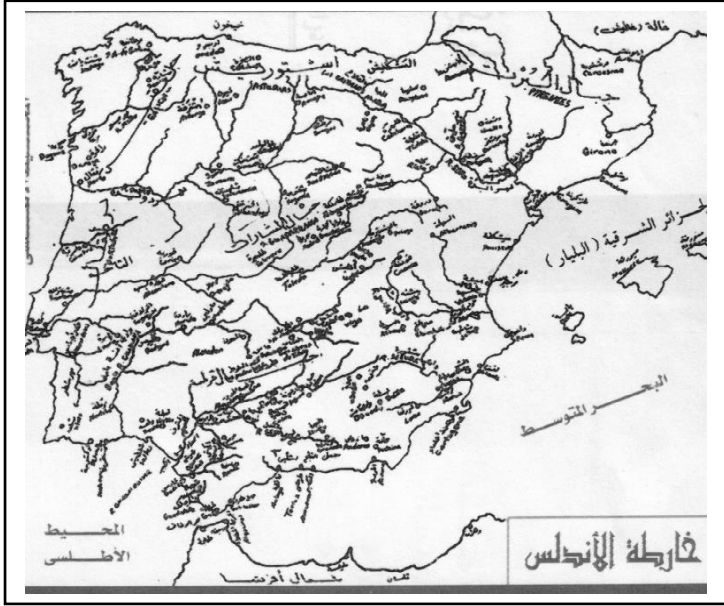
سؤال طالما طرّح؛ دون أن يطرح قبله سؤال أهم هو:- (من سأل المثقفين؟! )  
وإذا ما أخطأت فئة ما، فسألت مثقفيها، فمن الذي انتبه إلى إجاباتهم، فاستفاد منها، إن لم تكن تستجيب لرأيه وهواه؟!

من هنا انقسم المثقفون على طول الزمن وعبر التاريخ قسمين كبيرين؛ أحدهما في ظل السلطات أياً كانت تلك السلطات فيضيع فيها، لأن رأيه سيكون رأي المسؤول أو شراً لهذا الرأي، من هنا فهو ضائع، أو يكون المثقف مخالفاً للسلطة إلى هذا الحد أو ذاك، كلياً أو جزئياً حيث يضيع مرة أخرى في ضوائها، بل قد يصعب عليه النشر مجرد النشر إلا إذا رمز وكنى، وإذا ما نُشِرَ له شيء، ثارت في وجهه العواصف:- (إنه خيالي)؛ (يعيش في برج عاجي)؛ (إنه مثالي لا يمكن تحقيق ما يدعو إليه)؛ (إنه دودة كتب)؛ (إنه عدو للدين)؛ (إنه عدو للوطن)؛ (إنه على كل حال عدو لشيء ما أو أكثر؛ هذا إذا لم يشرده رأيه أو يؤد به إلى الاعتقال والتعذيب، بل قد يؤدي به إلى الموت؛ هذا وقد يهמש أو يتهم بالجنون وما إلى ذلك كثير، ثم أن هناك من يرفضون أن تكون العصمة لأربعة عشر شخصاً، بل لا يقرونها لشخص واحد هو (النبي) (ص)، ومع ذلك فهم يطلبون العصمة من المثقف، (فعل كذا)، وقد يكون فعل أو لم يفعل، و (قال كذا) وقد يكون قال أو لم يقل، لكنهم يحسبون عليه ما فعلوه إياه أو قالوه على لسانه، ومع هذا كله وغيره، ومع أنهم لا يساعدونه على خير، فإنهم يطلبون منه ما يريدون؛ مما يؤمن به أو لا يؤمن، إن شريحة المثقفين؛ محتاجة فيما يبدو إلى مسألتين كي تُفِيد؛ هاتان المسألتان هما:-

1 . أن يُسَمَعَ المثقف ويُناقش، لكن لا يُرْفَض رأيه قطعاً، فما لا يُفهم اليوم؛ قد يُفهم غداً، وما لا يُقَبَل اليوم، فقد يُقَبَل غداً.

2. أن يُعان المثقف على ما يُريد المسؤولون منه أو ما يريده من المسؤولين، وإن خالفوه، وهنا سيقال :- (بدأ الخيال؛ هذا رجل مثالي؛ يعيش في برج عاجي؛ بعيد عن الواقع الاجتماعي المعاش؛ إنه يعيش في برج مصوغ من الأحلام) فإذا ما قيل هذا كله وغيره، ولم يجد المثقف من يُساعده أو ما يُساعده، فكيف يخدم وطنه؟! بل كيف يخدم الإنسانية؟! (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ))<sup>1</sup>، فكيف نُكلف الناس كلهم؛ وسعهم وأقل من وسعهم ونعطيهم حقهم وأكثر من حقهم، ثم نعرف المثقف، ونعزف عن مساعدته، ونكلفه بما لا يستطيع؟! ثم لماذا نقبل كل الأحلام؛ أحلام التجار؛ أحلام السياسيين؛ أحلام المغامرين؛ والأحلام الوحيدة التي نرفضها هي أحلام المثقفين؟! ثم متى كانت الحقائق حقائق؛ قبل أن تكون أحلاماً لمثقفين؟! هذه فيما يبدو إحدى إشكاليات المثقف العربي المضطهد، وكان في الفردوس المأزوم؛ الكثير من المثقفين الذين يمكن أن يكونوا أنموذجات لهذا الأمر، وسأعرض لهم، لئلا أذكر أنموذجات من المثقفين العرب المحدثين الذين قد تختلف حولهم، فنناقش ما في نفوسنا عنهم لا ما هو مقصود من هذه الفذلكة فتضيع المناقشة سدى كما ضاعت أخوات لها كثيرة؛ في المنتديات أو الفضائيات العربية وهو ما لا نريد الوقوع في حباله، بقصد أن نخرج من هذه الفذلكة ومن كل دراسة تليها بما يستوقف المفكر، ويستنهض الإنسان فيدفعه إلى التفكير والمناقشة، سواء كانت تلك المناقشة (منلوياً) داخل الإنسان أم مكتوباً معروضاً على الناس، فالفكرة تطور الفكرة، ورأي الاثنين، أقوى من رأي الواحد، مع اقتراح الاقتصاد في التعميم عند وجوب التخصيص؛ خصوصاً فيما يتعلق بالمثقفين، لأن المثقفين شرائح متعددة كما تبين بل قد يكون كل مثقف؛ شريحة تعتد بذاتها، وهو ما ستبينه الدراسات التالية بإذن الله تعالى، والله الموفق إلى الخير .

<sup>1</sup> - (البقرة: من الآية 286)



خارطة \* الأندلس

## البيئة الطبيعية في الأندلس

### موقع الأندلس

تقع الأندلس في الجنوب الغربي من قارة (أوروبا) ، وتشمل جانباً من جزيرة (أيبيريا) ، التي تضم في الوقت الحاضر (أسبانيا) و(البرتغال) ؛ يفصلها عن القارة الأفريقية مضيق (جبل طارق) ، و (جبل طارق) هو الصخرة التي نزل عندها العرب عام 92هـ 711م فدخلوا بعدها ما أطلقوا عليه اسم بلاد (الأندلس) أو جزيرة (الأندلس) مع أنها شبه جزيرة ، فقد أسقطوا كلمة (شبه) من باب مجاز الحذف و هو أمر معتاد عند العرب تخفيفاً ومثاله :- (

\* تنظر واجهة (تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس، دراسة في المصادر والتاريخ والحضارة والتأثير) تأليف الدكتور تقي الدين عارف الدوري.

جزيرة العرب ( و هي بالحقيقة شبه جزيرة ؛ ظنوا أن الماء محيط بها ، وهو محيط بأكثرها .

## طبيعة الأندلس

تتمتع الأندلس بطبيعة جميلة، فالجبال؛ تتدرج عليها وفيها أنواع الزروع، فأرضها خصبة؛ يكسوها الشجر، والزهر، وألوان الثمر؛ أنهارها متعددة؛ من أهمها (النهر الكبير)، ونهر (تاجة)، ونهر (أبرو)، وفيها الكثير من المشاهد الساحرة والمناظر الجميلة التي أثرت في شعرائها وأدبائها فخلبت ألبابهم حتى قال (ابن خفاجة) أحد اشهر شعرائها فيها وفي أهلها:

يا أهل أندلسٍ لله دركمُ      ماءٌ وظلٌّ وأنهارٌ وأشجارٌ  
ما جنةُ الخلدِ إلا في دياركمُ      ولو تخيرتُ هذا كنتُ أختارُ  
لا تحسبوا في غدٍ أن تدخلوا سقرًا      فليس تُدخَلُ بعد الجنةُ النارُ<sup>2</sup>

يريد أنه يفضل (الأندلس) على جنة الخلد وأهلها، وهكذا كان دأب شعرائها وأدبائها يصفونها بأبدع الأوصاف ويعبرون عنها بأجمل التعبيرات؛ يعكسون عليها مشاعرهم الرقيقة وأحاسيسهم الدقيقة التي تعبر عما في نفوسهم، وقد يصفون الصحراء، فيذكرون شبه الجزيرة العربية ومواقع فيها اعتاد الشعراء القدامى ذكرها تمثلوها وذكروها في أشعارهم؛ تأثراً بالشعراء العرب القدامى الذين كانوا يعتنون بتراثهم دراسةً وحفظاً واستفادةً من بعض المناطق الصحراوية الموجودة في بلادهم أو في بلاد المغرب العربي المجاور لبلادهم.

## شيء من تاريخ الأندلس

في عهد الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان) وليّ (أفريقيا)؛ (موسى بن نصير)، الذي أكمل مسيرة (عقبة بن نافع) في (أفريقيا) فسار إلى (طنجة)، ثم اتقع (عبد الملك) بعبور المحيط (الأطلسي)، فأرسل (طارق بن زياد) لفتح بلاد (الأندلس) سنة 711م، فاخترق بحر (الزقاق) مضيق جبل طارق ونزل على صخرة هناك؛ سميت فيما بعد بجبل طارق، وما زال هذا الاسم لاصقاً بها .

قاتل جيش (طارق بن زياد)؛ (القوط) سكان (الأندلس) آنذاك واستمر يحاربهم حتى هزمهم وقتل ملكهم لذريق (رودريك) وبذلك خضعت البلاد للعرب، وظلوا يتقدمون في

2- ديوان ابن خفاجة ص 117.

فتوحهم حتى اخترقوا جبال البرانس) ووصلوا إلى نهر (الرون).  
لما ثبتت أقدام المسلمين في (الأندلس) نزح إليها بعض العرب من القبائل المختلفة،  
وهاجر إليها كثير من أهل البلاد الإسلامية ولاسيما (البربر) واختلطوا بسكان البلاد الأصليين  
من (النصارى) و(اليهود).

تولى حكم (الأندلس) بعد الفتح ولاية يحكمونها باسم الخلفاء الأمويين في الشام، فلما  
سقطت الدولة الأموية في (الشام)؛ تمكن (عبد الرحمن الداخل) أحد أمرائها من دخول  
(الأندلس) سنة 138هـ 757م، واستتب له الأمر فيها بعد فتن وخلافات وحروب سنة 141هـ  
760م، فأسس دولة (بني أمية) هناك، واتخذ (قرطبة) عاصمة لها، وبدأ فيها عهد الأمراء  
الذي انتهى بأن عد (عبد الرحمن الناصر) نفسه خليفة منافساً لخليفة (بني العباس)، وقد ظل  
حكم (الأندلس) في يد (بني أمية) حوالي 284 سنة، وكان عصر هذه الدولة عصر حضارة  
وفتن وثورات، فلما زالت دولة (بني أمية) انقسمت (الأندلس) إلى إمارات؛ سُمي حكامها  
(ملوك الطوائف) وكانوا من الضعف الظاهر بحيث أن (ابن رشيق) قال عنهم بيتين شاعا  
يعبران عن حالهم هما:-

“مما يزهديني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد  
ألقاب سلطنة من غير مملكة كالحر يحيي انتفاخا صولة الأسد”<sup>3</sup>  
فقد حكم (بنو عباد)؛ (إشبيلية)، و(ابن الأفطس)؛ (بليوس) و(ذو النون)؛ (طليطلة)،  
ثم اضطرب أمرهم ولحقهم الوهن بسبب ظلمهم لشعوبهم وانقسامهم الذي أدى إلى أن  
يتآمر بعضهم على بعض ثم يقتتلوا فيما بينهم؛ حتى قال (السميسر)  
معبراً عن حالهم مع شعوبهم وحال شعوبهم معهم:-  
“ناد الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتم<sup>4</sup>  
أسلمتم الإسلام في أسر العدا وقعدتم  
وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتم  
لا تنكروا شق العصا<sup>5</sup> فعصا النبي شققتم”<sup>7</sup>

3- رسائل البلغاء ، اختيار و تصنيف مُجَّد كرد علي ، ص 305 ، ط 3 ، سنة 1365 هـ - 1946 م .

4- الأبيات للحفظ .

5- الثورة .

6- إشارة إلى نفي النبي (ص) عن شق عصي المسلمين ، فهو يريد أن شق العصي بالثورة على هؤلاء الملوك ؛ ليس  
حراماً ، لأنهم بدؤوا بشق عصي المسلمين حين ظلموهم واقتتلوا فيما بينهم .

7 - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف أبي علي بن بسام الششتري، م 1 ص 553، تحقيق سام مصطفى البدري ،  
منشورات مُجَّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

الأمر الذي سهل على عدوهم التغلب عليهم فتقدم المرابطون الذين كانوا يحكمون شمال (أفريقيا) ونازعوهم السلطان بقيادة (يوسف بن تاشفين) واشتدت هجمات الفرنجة عليهم، حتى تقوض حكمهم، وانتهى أمرهم إلى أن يحكمهم (المرابطون) الذين انتهى أمرهم باستيلاء دولة (الموحدين)؛ تلك الدولة التي خلفها (بنو الأحمر) التي انتهت أمر العرب في (الأندلس) على يد سلطانها (أبي عبد الله الصغير) سنة 897هـ 1492م، فلما خرج (أبو عبد الله الصغير) من (غرناطة) عاصمة ملكه السابق ورأى النيران تشتعل فيها؛ بكى، فقبل بلسان حال أمه:-

ابكٍ مثل النساءِ ملكاً مضاعاً      لم تحافظ عليه مثل الرجال

انتشر الإسلام بسرعة فائقة بين سكان جزيرة (الأندلس)، فتآخى المسلمون وغير المسلمين، وتصادقوا، وتزاوجوا، واندمج بعضهم في بعض بالمصاهرة وغيرها، وقد تأثر العرب بهذا الاختلاط، وبالبيئة الأندلسية وما فيها من خيرات وجمال، كذا تأثر أهل (الأندلس) بالعرب، فنشأ جيل جديد يجمع بين الصفات العقلية العربية والغربية؛ يتكلم العربية ويكتب بها وينظم؛ له في تفكيره وخياله ومزاجه الفني؛ صفات خاصة وطابع متميز.

## طارق بن زياد قائد الفتح العربي الأول للأندلس وخطيبه

حينما ظهر الإسلام؛ أنعشَ في مقابل الشعر فناً جَدَ مهم؛ من فنون النثر ألا وهو فن الخطابة، ذلك الفن الذي وجد لنفسه موضعاً رفيعاً في مجمل الأوضاع الإسلامية، فتعددت أنواعه، وتنوعت أغراضه فكانت الخطابة الدينية في الجُمع والأعياد، وكانت الخطابة السياسية التي وجدت لنفسها مكاناً في خطب الجمع والأعياد وخارجها، ثم كانت الخطب الحربية، التي تسبق المعارك محرزة الأتباع؛ مخوفة الأعداء، مرهبة لهم؛ مشجعة إياهم على الهزيمة، وقد حفظ الأدب العربي؛ الكثير من هذه الخطب، لكن مؤرخي الأدب العربي عامة، ومؤرخي الأدب الأندلسي خاصة؛ اختلفوا على أول نص خطابي أدبي أُلقي في الأندلس ذلك النص هو:- خطبة (طارق بن زياد) قائد أول حملة عربية على الأندلس تلك الخطبة التي تخوف المقاتلين المسلمين الغرباء من الهرب وتحثهم على القتال، وتبين لهم موجبات القتال حيثُ تمنىهم بالمال والنساء الحسن، وهي خطبة جميلة من الناحية الأدبية، وإن كانت مصوغة صياغة تخدم الحرب أولاً، والسياسة ثانياً؛ فالجانب الأدبي فيها خادم لا مخدوم ونص هذه الخطبة الجميلة

كما أوردتها (المقري) <sup>8</sup>: “أيها الناس، أين المفر؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. وأعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصون من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا أمراً، ذهب ربحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم. فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقيت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت. وإنني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خلة أرخص متاع فيها النفوس أبرأ منها بنفسي. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً. استمتعتم بالألذ الأرفه طويلاً. فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي. وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان. وقد أنتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً، ورضيكم لمولك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال الفرسان، ليكون حظاً منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة؛ وليكون فتحها لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم. والله تعالى وليّ إنيجادكم على ما يكون لكم ذخراً في الدارين. واعلموا أنني أول مجيب لما دعوتكم إليه، وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى. فاحملوا معي، فإن هلكت بعده، فقد كفيتمكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا إليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يخذلون”<sup>9</sup>.

فهذه الخطبة بهذه المعاني تعبر عن الواقع الذي عرفه القائد العسكري من الذين تحت إمرته، بغض النظر عما إذا كان هذا القائد عربياً أو بربرياً أمازيغياً أو فارسياً على اختلاف المؤرخين في أصله وبغض النظر عما إذا كان أتباعه من العرب الذين نصت عليهم الخطبة أو من البربر الأمازيغيين أو من الجنسين كليهما ومن غيرهم، فالقائد أيّاً كان يُفترض أن يكون عارفاً بأتباعه، فهم من (العربان) العرب صليبة أو بالموالاة، فقد كانوا تبعاً لدولة تحكم باسم العرب هي الدولة الأموية، مع احترامنا لمن ذهب إلى أن (طارق بن زياد) ومن تبعوه؛ لم يكونوا من العرب، من هنا فقد أنكروا عليه قدرته على إلقاء مثل هذه الخطبة الرنانة في جماعة لم تكن عربية؛ خصوصاً وأنهم تصوروا أن مدة التحاق (طارق بن زياد) بمولاه (موسى بن نصير) كانت قصيرة، لا تؤهله لإنشاء أو إلقاء خطبة بهذا المستوى، غير أنه مما يرد على

8 - تحفظ خمسة أسطر.

9- نفع الطيب، للمقري، ج 3، ص 117



هذا الكلام أن شيخ كَتَاب العصر الأموي (عبد الحميد الكاتب) كان فارسياً، ولا يُعقل أنه كان الكاتب الفارسي الوحيد في دواوين الدولة الأموية، فمن الذي ترجم دواوين بلاد المشرق من الفارسية إلى العربية ثُمَّ طور الكتابة فيها غير كَتَاب الفرس؟!

هذه مسألة لا أريد تفصيلها لأنها ليست من شأن هذه الدراسة، لكنني أذكر بأن (عبد الحميد الكاتب) و(عبد الله بن المقفع) وهما من أعظم كَتَاب العربية كانا فارسيين، وكان (بشار بن برد) و(أبو نواس) وهما من أعظم شعراء العربية المولدين فارسيين، بل كان (سيبويه) صاحب أول و أهم كتاب في النحو العربي فارسياً، ففيم يُنكر على (طارق بن زياد) مجرد خطبة، لعله أنشأها وألقاها أو أنشئت له ثم ألقاها حيث يجب أن يلقي القائد خطبته وهي مسألة اعتادها الكثير من رؤساء الدول الذين يعلمون أن لكل مقام مقالاً ثم يضعون الشخص المناسب في المكان المناسب، حيث يخصصون كتاباً متخصصين لخطبهم كي يقولوا على ألسنتهم، ما يجب أن يُقال هذه واحدة، ثم أنهم يعترضون على أن هذه الخطبة لا تتحدث عن رغبتهم في نشر الدين الإسلامي، ورجال الدين وناشره؛ قد يتفقون مع السياسيين والعسكريين في هذا الجانب أو ذلك، لكنهم يختلفون معهم في جوانب وأهداف كثيرة، فالعسكري المحترف؛ يريد تحقيق انتصار عسكري يُسجل باسمه، بغض النظر عن أي شيء آخر، أما السياسي البرغماتي فإنه يطمح إلى نشر نفوذ السياسي بقصد الكسب الاقتصادي، بغض النظر عن أي شيء آخر، بعد ذلك يأتي رجل الدين الذي يريد نشر دينه في الأصقاع التي تخضع له ولجماعته سياسياً أو لا تخضع، والجنود المقاتلون وهم يقاتلون قد يؤمنون بفكر أو بدين، لكن أغلبهم ليسوا من رجال ذلك الفكر أو ذلك الدين، إنهم أناس عاديون؛ يطمحون إلى ما يطمح إليه الناس العاديون من المال والجاه والنساء، وهو ما أغراهم به (طارق بن زياد)، فهل يُستبعد وعية بهذه المسألة وهو يقود رجاله لفتح بلاد الأندلس؟! ثم أن (طارق بن زياد) وهو يغري جندهً بالمال، ويمنيهم بالنساء لم ينسَ أهل الدين من رجاله، فهم مؤمنون يريدون ثواب الله سبحانه وتعالى جزاءً على إعلائهم لكلمته وإظهارهم لدينه الذي يعلو في هذه الأرض التي ستكون لهم ولسواهم من المؤمنين، فجنود (طارق) على كل حال فرسان، وهؤلاء الفرسان على ثلاثة أحوال:- فبعضهم طامع بمال وامرأة، وبعضهم من أهل الدين غير الطامعين، وبعضهم الثالث من أهل الدين غير أنه طامع في مال وامرأة، فقد أرضى جميع الأطراف أو حفز في كل طرف؛ ما يريد، فهي خطبة قصيرة مناسبة للمقام فيها من الفنية الأدبية؛ ما يغري بحفظها.

إن الزعم بأن كتب المؤرخين والمشرقيين والمغاربة القدامى، لا تشير إلى هذه الخطبة، بل تشير إليها الكتب المتأخرة، لا ينفي وجودها، ذلك أن هناك الكثير مما صناع من تلك الكتب، كما أن هناك الكثير مما لم يُحقق، بل لم يُنشر من تلك الكتب الموجودة، فمن يضمن أنها لم تُشر إلى تلك الخطبة إذا لم تنشرها؟!

ثم أن الثقافة العربية في أغلبها ثقافة تَدَكَّر وليست ثقافة مكتوبة، فكم هو الأدب الذي ضاع من ذاكرة العرب؛ ناهيك عن الكتب التي ضاعت؟! إن الموضوعات القادمة، ستبين أن هذه الحقبة من فترات الأندلس؛ توشك أن تكون ملأى بالضائعات من أخبار التاريخ ونصوص الأدب شعراً ونثراً، فماذا يمنع الذاكرة الأدبية الأندلسية من أن تحفظ نصاً مهماً من النصوص الأدبية يتمثل في هذه الخطبة؟! وماذا يمنع من أن يكون طارق بن زياد، (أمازيغياً) ألقى خطبته هذه في جيش من (الأمازيغيين) البربر باللغة الأمازيغية، فحفظتها الذاكرة (الأمازيغية)، لتُترجم فيما بعد إلى اللغة العربية، بهذه الصيغة الجميلة؟!!

قيمة ما تقدم؛ تكمن في أن هذه الخطبة وبغض النظر عن مُنشئها ومُلقيها تعبر بوضوح شديد عن شعور ثائر بالغرابة، فهم غرباء (أضيق من الأيتام في مأدبة اللثام) ولا أقوات لهم إلا ما استخلصوه بسيوفهم من أيدي عدوهم، فلو لم يكونوا غرباء في هذه الجزيرة، لما احتاجوا إلى احتلالها، ولكان لهم فيها مكان يستقرون فيه فلا يفرون، كذلك كانت لهم أقوات، لا يحتاجون إلى استخلاصها بالسيوف.

وهو ينبههم إلى ضرورة الإسراع في التغلب للتوغل في الجزيرة ما دام خصمهم خائفاً منهم؛ إذ لو طالت مدة النزاع؛ بينهم وبين من يصارعونه، لذهب الخوف من قلب المنازع، ولعاد إلى القتال بقوة، فهو في وطنه وبلاده، وهم غرباء في البلدان عن الاوطان، وهكذا تستمر الخطبة في بيان الخطوب وطرق التخلص منها بأسلوب فني رفيع فيه من المحسنات البديعية والبيانية، ما يُعبر عن مراد الخطيب.

والغرابة مهيمن واضح على المعاني، لا يُذكر لفظها أبداً، فهل كان في الأندلس أدباء غرباء غير (طارق بن زياد) يُعبرون عن غربتهم وغرابة أبناء شعبهم في الأندلس؟! هذا ما ستعرض له موضوعات قادمة.

## الحياة الفكرية في الأندلس

لم تجد (الأندلس) بُدأً من الأخذ من الشرق والرجوع إلى أصول العرب فيه من حيث نشر العلم والثقافة، فقد اقتفوا آثار المشرقيين في أول الأمر وأخذوا عن أئمتهم في علوم الدين واللغة والأدب، هؤلاء العلماء الذين جاء بعضهم إلى (الأندلس) من أمثال (أبي علي القالي)، و(صاعد البغدادي) أو من العلماء الذين لجأ الأندلسيون إليهم حيث كانوا في بلاد المشرق؛ لذلك داعت ثقافة العرب في بلاد (الأندلس) وسيطرت على عقول السكان؛ بعد أن كانت تسيطر عليهم الثقافة اللاتينية، وعن طريق (الأندلس) داعت هذه الثقافة في (أوروبا)، فاستفاد الغرب من العرب آنذاك في ميدان البحث العلمي، والثقافة، وذلك ما سنوضحه عند

دراسة تأثر أهل (الأندلس) وتأثيرهم في الآخرين، لكن ذلك لا يمنع من أن نذكر بأن شعراء أهل (الأندلس) كانوا يشبهون أنفسهم أو يشبههم أنصارهم بشعراء أهل (المشرق)، فقد شبهوا (ابن هانئ) و (ابن دراج الصقلي) ب (المتنبي)، وشبهوا (ابن زيدون) ب (البحري) ولقبوا (حمدة بنت زياد) ب (الخنساء).

لقد تأثر أدباء (الأندلس) بالمشركيين، وأخذوا عنهم، ولكن طبيعتهم وحياتهم ومجتمعهم؛ جعلت لأدبهم ملامح خاصة ميزته من أدب المشاركة، ومما يدل على شغف الأندلسيين بالمشرق ما أثار من شعر (عبد الرحمن الداخل) الملقب ب (صقر قريش) المتوفى سنة 172هـ 788م؛ المشهور بفصاحته وذكائه وعلو همته وهو رأي سناقشه في دراستنا للداخل قوله في نخلة رآها ب (الرصافة) إحدى مناطق (قرطبة) حيث قال أبياتاً منها:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلةً  
فقلت شبيهي في التغرّب والنوى  
نشأت بأرض أنت فيها غريبةً  
سقتك غواصي المزن في المنتأى الذي  
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل  
وطول التنائي عن بنيّ و عن أهلي  
فمثلك في الإقصاء و المنتأى مثلي  
يسخّ و يستمري السماكين بالوبل<sup>10</sup>

وهي أبيات تعبر عما يجيش في نفوس أهل (الأندلس) الذين يرون أنفسهم غرباء في تلك الجزيرة ويتمنون أن يعودوا إلى المشرق بل يرون مجدهم في بلاد المشرق عامة و (العراق) خاصة و (بغداد) على الأخص، ومن يقرأ أي كتاب قديم في الأدب الأندلسي مثل كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) ل (ابن بسام) يجد هذا الأمر واضحاً، من هنا يعبر كتابهم عن بلدهم بأنة (البلد الغريب) أو (الأفق الغريب) وما إلى ذلك مما يشعر بغربتهم في هذه البلاد على الرغم من طول بقائهم فيها.

## كتب أندلسية

### كتاب عن المشرق

#### ابن عبد ربه والعقد الفريد

هو أبو عمر، أحمد بن محمد عبد ربه؛ كان جده الرابع مولى لهشام بن عبد الرحمن الداخل. وقد ولد ابن عبد ربه في قرطبة على الأرجح، وكان مولده سنة 246هـ. ونشأ بالعاصمة الأندلسية، متلقياً علوم الإسلام والعربية على أيدي كبار العلماء الأندلسيين في ذلك

10- البيان المغرب ج2 ص 90 ، نفع الطيب ج2 ص 76 .

الوقت، ثم عُنيَ بنوع خاص بكتب التاريخ والأدب ودواوين الشعر التي جادت بها قرائح المشاركة قبل عهد ابن عبد ربه وفي أيامه .

وقد زار المشرق كما يتبين من حديثه في عقده حين وصف بعض البلدان والأماكن المقدسة، كالمسجد الحرام والكعبة المشرفة والحجر الأسود والمسجد النبوي الشريف وغير ذلك، وإن لم يذكر القدماء الذين ترجموا له شيئاً عن هذه الرحلة، وبرغم ما يبدو من أن تلك الرحلة كانت أساساً للحج، فقد كانت إلى جانب هذا رحلة علمية عمقت ثقافته المشرقية، ذات الأهمية البالغة في الأندلس آنذاك، فلم يكن ابن عبد ربه العالم الوحيد الذي رحل إلى المشرق، ولا كان الأول، ولم يكن الأخير، لكن ثقافته المشرقية ورحلته التي عمقت هذه الثقافة؛ أهلتاه لكتابة العقد الفريد .

## العقد الفريد

ألف أحمد بن عبد ربه الشاعر والأديب الأندلسي المعروف (العقد الفريد). وهو كتاب أدب بالمعنى القديم لكلمة أدب؛ المعنى الذي شاع في القرنين الثالث والرابع، والذي في ظلالة ألف الجاحظ والمبرد والقالبي وأبو الفرج الأصفهاني وغيرهم؛ كتبهم. فهو كتاب ثقافة عربية عامة، يجمع بين التاريخ والأخبار والمختارات الشعرية والنثرية، ويتعرض للبلاغة والنقد والعروض والموسيقى والأخلاق والعادات .

قسّم ابن عبد ربه كتابه إلى خمسة وعشرين باباً، وسمى كل باب باسم حبة من حبات العقد الحقيقي أو جوهرة من الجواهر، فهو يراه عقداً منظوماً من الأحجار الأدبية والتاريخية الكريمة، وجعل تلك الأبواب في ترتيبها كحبات العقد المنظوم في ترتيبه فهو يبدأ عقده بكتاب اللؤلؤة في السلطان، ثم ينتهي آخر باب في العقد بلؤلؤة كما بدأ أول باب بلؤلؤة، تماماً كما ينتهي أي عقد بحبة مماثلة للحبة التي بدأ بها .

وأكثر مواد الكتاب تتصل بالمشرق وتاريخه وسير أعلامه وأخبار فنانيه . والقليل من مواد العقد؛ مما يتصل بالأندلس، وهذا ما حدا بالصاحب بن عباد إلى القول عن هذا الكتاب: “هذه بضاعتنا ردت إلينا”<sup>11</sup> .

والسبب في إيراد المؤلف كتابه على هذا النحو المشرقي، هو أنه أراد أن ينقل إلى مواطنيه ثقافة عامة عن المشرق تغنيهم عن الرحلة إلى المشرق أو اللجوء إلى علمائه الذين يردون على الأندلس، فقد كانت سوق علوم المشرق رائجة في الأندلس، لذا فقد شاعت كتب المشرق ومراجعه إلى جانب علمائه في الأندلس، فجاء هذا الكتاب بمحاولة لإغناء المتأدبين

11- ينظر النص كاملاً في معجم الأدباء 4 / 214 ط المشرق.

عن هذا كله .

ولعل المؤلف بذل جهداً جهيداً غير مقصود لإثبات تفوق الأندلسيين في الثقافة المشرقية نفسها .

ولابن عبد ربه طريقتَه في العرض، فهو لا يأتي بالسند، على عكس صاحب الأغاني . وقد لا يدقق فيما يروي من أخبار لأنه يريد أن يذكر أكبر عدد من الأخبار بغض النظر عن الصدق والكذب، فمهمتهُ ذكرها وترتيبها بطريقته الخاصة، وليس من مهامه التدقيق، فقلما يستطيع مؤلفو الكتب الكبيرة التدقيق، وإنما التدقيق من مهام المتخصصين الذين يناقشون موضوعاً بعينه محللين معنيين مدققين؛ متوصلين إلى نتائج محددة تنفي أو تثبت تصدق أو تكذب .

وقد يورد ابن عبد ربه نصوصاً شعرية لنفسه<sup>12</sup> بعدَ بعض النصوص المشرقية التي يضمها كتابه، ولعل في هذا التفاتة أندلسية خجلى؛ تشير إلى أدب أندلسي بدأ بالظهور؛ هذه الالتفاتة؛ تتلو التفاتة الغزال التي سيأتي ذكرها ضمن دراسته إلى أهمية شعر الأندلسيين، هذا الأدب أدب شخصي ألفه مؤلف الكتاب نفسه، ففيه إشارة ذاتية معجبة بأدبه، وفيه إشارة موضوعية؛ تنبه إلى بواكير أدب أندلسي رفيع؛ يمكن أن يُذكر للأدب، وليس للتاريخ؛ كما هو حال أغلب شعر الشعراء الأندلسيين أو ساكني الأندلس الذين سبقوه فصاعح أغلب شعرهم؛ كما سيتضح فيما بعد .

والكتاب عظيم القيمة من هاتين الناحيتين ناحية ذكر ابن عبد ربه لشعره، وناحية تنبيهه إلى بواكير الشعر الأندلسي إضافة إلى النواحي التاريخية والأدبية والعلمية التي قصد المؤلف إليها .

وفي الكتاب ذخيرة أدبية حافلة بالنصوص القيمة شعراً ونثراً في شتى الفنون والأغراض والمواقف التي ربما ضاع الكثير منها لولا ذكره إياها، من هنا فقد أهتم بهذا الكتاب الخطير الكثير من الأدباء والشعراء والمؤرخين والإخباريين؛ ناهيك عن طلبة البلاغة والعروض وغيرهم من طلبة علوم العربية، لهذه الأسباب ولغيرها فقد نال هذا الكتاب المهم اهتمام المهتمين بالعربية، فقد حققة جبرائيل جبّور ونشره وطبع أكثر من مرة، وحققه سواه .

## كتابان أندلسيان عن الأندلس

أ . المغرب في حلى المغرب

تحقيق الدكتور شوقي ضيف دار المعارف بمصر سنة 1956

12 - ينظر ديوان ابن عبد ربه ص 15 ، 21 ، 23 ، 24 ، 25 وغيرها في المتن والهوامش .

“ألف هذا المصنف بالموارثة، في مئة وخمسة عشر عاماً، سنة من أدياء الأندلس، تداولوه بالتنقيح والتكميل واحداً بعد واحد وقد باهى ابن سعيد بذلك في رسالته في فضائل أهل الأندلس”<sup>13</sup> وهؤلاء المؤلفون هم :-

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحجاري .

عبد الملك بن سعيد .

ت ، ث . ورث الكتاب عن ابن سعيد ؛ ابناه أحمد ومحمد .

ج . موسى بن محمد .

ح . علي بن موسى بن محمد، أخرج علي هذا الكتاب بصورته النهائية فنسب الكتاب

إليه .

### منهج تأليفه:

جعل ابن سعيد كتابه المغرب، ورتبه على البلاد يبتدي بكرسي المملكة ومكانتها في الأقاليم، ومن بناها، وما يحيط بها من نهر أو خاصة معدنية أو نباتية ومن تولاها من الملوك، ثم يتناول الطبقات وهي خمس الأمراء، الرؤساء والعلماء، واللفيف، ودار المملكة عنده عروس، وللعروس، منصة، وتاج، وسلك حلة، وأهداب، والمنصة، خاصة بالمعلومات الجغرافية عن القاعدة وما يتصل بذلك، وأما التاج، فخاص بالأمراء، وأما السلك فبالأشراف والرؤساء من الوزراء والفقهاء والنحاة والمحدثين ولكل مجموعة كتاب خاص بها داخل السلك .  
وأما الحلة، فاللفيف ممن ليس له نظم ولا شعر، والأهداب خاصة بالوشاحين والزجالين، فإذا كانت المدينة كبيرة وضع لها البساط مقابل المنصة وهذه التقسيمات تشبه الشجرة في كثرة فروعها وهي غير مطردة في جميع الكتاب .

وقد جعل الكتاب ثلاثة أقسام غرب وموسطة وشرق، ثم أفرد لكل قسم كتاباً على النحو

الذي ذكرنا فالكتاب الأول سماه : ( العرس في حلى غرب الأندلس ) وأقسامه سبعة :

1 . كتاب الحلة المذهبة في حلى مملكة قرطبة .

2 . كتاب الذهبية الأصيلية في حلى المملكة الإشبيلية .

3 . الفردوس في حلى مملكة بطليوس .

4 . كتاب الخلب في حلى مملكة شلب .

5 . كتاب الديباجة في حلى مملكة باجة .

6 . الرياض المصونة في حلى مملكة أشبونة .

7 . خدع الممالقة في حلى مملكة مالقة .

والكتاب الأول ينقسم إلى أحد عشر كتاباً وكل كتاب ينقسم إلى أقسام أخرى، وأهم مصادر الكتاب: المشاهدة والرواية الشفهية ثم المصنفات التي رجع إليها المؤلفون وقد وضعت في أصل الكتاب لا في الهوامش كما نفعنا اليوم وهي كتب جمّة كثيرة منها مفقود<sup>14</sup>، وللكتاب قيمة فذة تأتي من هذا الحشد وهو يقوم لنا الشعراء وبيئاتهم وما جرى من أحداث في بلدانهم ثم للكتاب قيمة تكمن فيما أورد من أخبار الوشاحين والزجالين وقد نقل عنه ابن خلدون كثيراً وكذلك المقرئ بإشارة وبدون إشارة .

وقد وقف دارسون كثيرون عند كتاب ((المغرب)) ضمن ما وقفوا عليه من مؤلفات ابن سعيد المهمة، إلا أن الدكتور عبد العزيز الأهواني وجد في إصدار المؤلف على أن مؤلفي الكتاب كانوا ستة وأنهم استغرقوا هذه المدة الطويلة نوعاً من المبالغة، إذ إن ضالة مادة الكتاب لا تتناسب مع قرن وبعض القرن من جهد علمي. وإن الكتاب ليس فيه الاستيعاب والإحصاء الذي يجدر بكتاب ينعت بهذه النعوت<sup>15</sup> .

ولعل رأي الدكتور الأهواني قريب جداً من الصواب، ذلك أن بعض المؤلفين يغلفون مؤلفاتهم بشيء من الأسطورية، لتشويق المتلقي .

### ب . نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها اسان الدين ابن الخطيب

#### مؤلفه :

ولد أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ الملقب بشهاب الدين عام 986 هـ بمدينة تلمسان بالجزائر، وأصل أسرته من قرية (مقرّة) وكان أباه قد نشأوا فيها وقرأ بهده المدينة حتى أرتحل في زمن الشبيبة إلى فاس، ثم عاد إليها ليهاجر ثانية ويترك مسقط رأسه نهائياً عام 1013 هـ وأقام مدة طويلة ليغادرها عام 1027 هـ إلى الشرق حيث أدى الحج وزار المدينة المنورة وظل يتردد عليها حتى كان في عام 1037 هـ قد زار مكة خمس مرات والمدينة سبع مرات .

وكان له نشاط علمي مشهود خلال زيارته تلك، وأستقر فيما بعد في مصر ونشط في التدريس هناك وسافر إلى دمشق ليلتقي بعلمائها وأعيانها، ولم يتفق لغيره ما أتفق له من الحظوة وإقبال الناس، وقد عاد إلى مصر على الرغم من إعجابهم بدمشق،

14 - المغرب / 1 / 34 .

15 - نقد الدكتور عبد العزيز الأهواني للكتاب في مجلة معهد المخطوطات 1955 / 2 / 1 / 312 ، 314 .

وتزوج ورزق أبنة، توفي عام 1041 هـ وللمقري مؤلفات أشهرها هذا الكتاب وكتاب أزهار الرياض<sup>16</sup>

أسباب تأليفه ومنهجه :

حدث المقري تلامذته عن لسان الدين بن الخطيب ومكانته السياسية والأدبية فأثار ذلك في نفوسهم العجب وألحوا عليه إلحاحاً كثيراً في تأليف كتاب عنه فوعد بكتابة هذا الكتاب عنه في القاهرة، وكان يزعم أن يسميه (عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب) فلما رأى أن المادة التي اجتمعت لديه استفاضة وشملت الأندلس غير أسمه إلى (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب) وببدو أن دوافع التأليف تعدو ما تقدم من قصة لقائه بتلامذته في دمشق وإعجابهم بآبن الخطيب، وإنما كان ذلك أمراً ساعد على إنجاز فكرة مؤلف عنه فإن شعوره بالغربة والحنين إلى الماضي لاستعادة ذكرياته عزز فكرة تأليف كتاب شامل عن الأندلس خاصة بعد أن فارق وطنه وكانت مأساة الأندلس ما تزال ماثلة بين عينيه، ولعله كان يشعر بإهمال المشاركة للتراث الأندلسي والمغربي بسبب ضعف الثقافة، ولذلك أنصرف لتأليف هذا الكتاب.

كل هذه الدوافع تفهم من مقدمته الطويلة لكتابه التي جاءت في مئة وإحدى وعشرين صفحة، وقد جعله قسمين في كل قسم ثمانية أبواب<sup>17</sup>

### القسم الأول :

فيما يتعلق بالأندلس من أخبار .

أما القسم الثاني :

ففي التعريف بآبن الخطيب .

### قيمه الأدبية :

ينحو نفح الطيب منحى الكتب الموسوعية التي يغلب عليها الجمع للمادة وسرد الأخبار التاريخية والمناظرات الأدبية ويتبع في ذلك أسلوب الاستطراد وهو يكثر من النقل من الكتب، وقيمه تكمن في أنه ينقل من كتب مفقودة إلى يومنا هذا، وبعضها الآخر الذي نشر لا يقلل من شأن رواية المقري لها فأسلوبه الموسوعي يجعله مغنياً

16 - في مؤلفاته تنظر مقدمة المحقق الدكتور إحسان عباس 1 / 11 - 14 ، النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب 41 -

50 .

17 - الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ص 51 .



للباحثين عن الرجوع إلى تلك المصادر<sup>18</sup>) ، ويعجب د. إحسان عباس صاحب أحد أهم تحقيقات الكتاب بفضل المقرئ وقابليته على تسخير مادته لتصوير الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية بالأندلس<sup>19</sup>، وفضلاً عن ذلك فهو أديب ذواق، يعاني الشعر ويميز جيده من رديئة، له صولات وجولات نقدية، مما يعرف به ذوقه وحسن اختياره الشعر<sup>20</sup>.

### من أشهر شعراء الأندلس

لما كانت الأندلس؛ غنية بمصادر الجمال الطبيعي المتنوع؛ تتعدد فيها الأجناس البشرية المختلفة الألوان والأفكار والحاجات؛ تعددت الشعراء وكثروا وتنوعت موضوعاتهم وأغراضهم وأساليبهم الفنية ما بين تقليدي مقلد أو مجدد متمرد وبينهما من الشعراء الذين أخذوا من التقليد والتجديد بحظ أو بآخر، وكان للأمراء والخلفاء الأمويين وملوك الطوائف وغيرهم؛ أثر مهم في تنشيط الشعر وإنشاده والتغني فيه، وكان من الشعراء من امتاز بالشعر وحده مثل (السميسر)، أو تفوق بالثر والشعر مثل (ابن عبد ربه) و (أبي محمد بن حزم)، وكان فيهم من تقدم بالشعر والثر مثل (ابن شهيد) و (ابن زيدون).  
وظهر عندهم الموشح، فبرز وشاحون مثل (ابن زهر الطيب) أو وشاحون شعراء مثل (ابن زمر) أو وشاحون شعراء ناثرون مثل (لسان الدين بن الخطيب)، وزجالون ينظمون الزجل باللهجة العامية الأندلسية مثل (ابن قزمان)، وقد تقلد بعضهم وظائف مهمة في (الأندلس)، فإلى كون الشاعر نديماً للخليفة، فقد يكون وزيراً ينقلب إلى السجن؛ مثل (ابن زيدون) يوم كان في ظل بني (جهور) الذي يصبح ذا وزارتين السيف والقلم في دولة أخرى هي دولة (آل عباد)، ومثل (لسان الدين ابن الخطيب) الذي صار ذا وزارتين؛ في عهد (الغني)؛ من بني (الأحمر) ثم تغير عليه ملكه فسجنه وأمر بقتله خنقاً في مدينة (فاس) بـ (المغرب)، وأكثر من ذلك فقد يكون أميراً مثل (عبد الرحمن الداخل) أو ملكاً مثل (المعتضد بن عباد)، وقد يتطور من فقير مدقع إلى وزير يُقتل على يد ملكه وحاميه مثل (ابن عمار) ووزير (المعتد بن عباد)، وقد ينقلب الأمر بالشاعر فيتحول من وزير إلى فقير مثل (أبي محمد بن حزم)، بل قد يتحول الشاعر من ملك إلى أسير مثل (المعتد بن عباد).  
وهكذا تبدو آثار تقلبات الأوضاع في (الأندلس) على الشعراء واضحة في حياتهم وفي شعرهم، سواءً كان شعر الشاعر كثيراً أم قليلاً، فقد كان فيهم المكثرون من الشعر مثل

18 - الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص 53 .

19 - تنظر مقدمة النفع 1 / 18 .

20 - ينظر النقد الأدبي في كتاب نفع الطيب، ط 1 الغري، النجف سنة 1977.

(ابن زيدون) و (الأعمى التطيلي) و (ابن سهل) وكان فيهم المقلون مثل (عبد الرحمن الداخل) و (السميسر) بل هناك شعراء دخلوا الأندلس مع الجيوش الفاتحة أو عاشوا في عصر الولاة وما بعده وصلنا النزر اليسير من شعرهم مثل (أبي الأجر جعونة) و (الصميل) و (أبي الخطاب).

إن قلة ما وصلنا من نصوص شعرية في هذا العهد كان سببها الضياع والفقدان إذ ليس من المعقول أن يكون الشعر بهذه القلة في التعبير عن الحروب والفتن في الأندلس، إلا إذا ضاع أو أهمل لقلة شاعريته التي أدت واجبها في تحريض الجيوش على القتال، ثم لم يجد الرواة لها أهمية تستحق الذكر ناهيك عن الإشادة؛ خصوصاً وأنهم وجدوا شعراً كثيراً رائقاً في العهود التالية يعني عن هذا الشعر.

ومن النصوص القليلة التي عبرت عن هذه الحقيقة أبيات أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي، الذي كان يلقب بعنترة الأندلس وكان قد شهد فتوح المسلمين بإفريقيا قوله في الثأر الذي أخذة لعزير من قومه :-

فليت ابن جواس يخبر أنني	سَعَيْتَ بِهِ سَعِي أَمْرٍ غَيْرِ غَافِلٍ
قتلتُ به تسعين نحسبُ أنهم	جذوع نخيل صُرعت بالمسائل
ولو كانت الموتى تباعُ اشتريته	بكفي وما استثنيت منها أناملي <sup>21</sup>

وعلى أية حال، فإن ثقافة الشاعر الأندلسي؛ تنعكس هي الأخرى على شعره ونثره؛ هذا الشعر الذي يكثر أن يكون واقعياً؛ معبراً عن الواقع فعلاً، أو عما يمكن وقوعه؛ كما هو الحال في الغزل وراثاً والمدن والممالك، وقد تكون فيه تورية أو رمزاً قليلي الغموض. لم يكن الشعر جكراً على الرجال، لكن كان للنساء فيه شأنٌ، وكما ستحدث عن بعض أشهر الشعراء الرجال، فسنشير إلى بعض أشهر النساء الشاعرات مثل (ولادة بنت المستكفي) وغيرها.

وهكذا يبدو الشعر الأندلسي معبراً عن الشعراء والشاعرات من جانب، وعن أهل الأندلس نساءً ورجالاً من جانب آخر، ولهذا لا بد من التمثيل لهؤلاء الشعراء وشعرهم، ليكون هذا التمثيل مفتاحاً لأبواب الاطلاع على شعر كثير جدير بالتعرف عليه لحفظ جانب منه يستحق الاعتداد به وحفظه، ففيه جواهر ينبغي للباحث عن الجمال؛ البحث عنها واكتشافها للتمتع بها، فبدون الجهد الشخصي، لا يسهل اكتشاف الجمال والتمتع به، وهذه الإضمامة القادمة من

الشعراء والشاعرات وشعرهم والحديث عن موضوعاته وخصائصه، لا تعدو أن تكون مجموعة من الزهرات المغرية للدخول إلى هذه الروضة الشعرية المثيرة، والتفرّج عليها، وقطف بعض الجميل الجديد المفيد من شعرها، والله من وراء القصد .

## عبد الرحمن الداخل الأمير الغريب المغترب

ما أن فُتِحَت الأندلس بقيادة (طارق بن زياد) بغض النظر عن جنسه وجنس الجيش الذي قاده حتى تدفق الناس من عرب وبربر عليها فكانوا جميعاً فيها غرباء؛ نقلوا معهم ما كان عندهم في بلادهم الأصلية من خير وشر؛ من مزايا وعيوب، فكان أحد أهم عيوبهم التي نقلوها معهم؛ اختلافهم فيما بينهم ناهيك عن اختلافهم مع غيرهم إلى سرعة لجوئهم للسياح حلاً لأي إشكال، حتى أن اثنين وعشرين والياً تولوا عليهم بين عامي 95هـ يوم تمت سيطرتهم على الأندلس و138هـ وقت أسقط (عبد الرحمن الداخل)؛ (يوسف الفهري) آخر ولاة الأمويين على الأندلس؛ محولاً تلك الولاية الأموية القvisية؛ إلى إمارة أموية؛ صار هو أول أمير لها هذا العدد من الولاة؛ توالى على أهل الأندلس في نحو من ثلاث وأربعين سنة؛ يمكن أن تُخرج منها تسع سنين؛ حكم فيها آخر ولاة الأندلس (يوسف الفهري) بعض الولاة لم يزد حكمه عن شهرين، وإنما دامت ولاية (الفهري) هذه المدة الطويلة نسبياً تسع سنوات لأن الدولة الأموية في الشام؛ سقطت سنة 132هـ وانشغلت الدولة العباسية التي حلت محلها بأمور أهم في نظرها من الأندلس، فلم يجد الفهري من يقصيه عن ولايته من الأمويين والعباسيين حتى دخل الأندلس عبد الرحمن الداخل فحاربة مقصياً إياه عن ولايته؛ متولياً الإمارة في ذلك الصقع الغريب، فكم شاع الاضطراب في الأندلس خلال فترة الولاة؟!

وكم ورث (عبد الرحمن) الداخل عن هذه الفترة المضطربة من مشكلات؟! قبل البدء في الحديث عما ورثه (الداخل) من اضطراب، وما واجهه من مشكلات، لا بد من التعريف به والتعرف عليه قبل وصوله إلى الأندلس؛ يوم كان في بلاد الشام؛ يرفل بحياة الأمراء الرخية الناعمة؛ في ظل دولة تتزلزل الأرض من تحتها؛ تدور بها الدوائر، وتثور عليها الأمة، بمختلف مذاهبها وتوجهاتها .

لقد توفي (معاوية) أبو عبد الرحمن وكان عبد الرحمن صغيراً، فكفله جده (هشام)؛ لم يكن (عبد الرحمن بن معاوية بن هشام) كما يبدو أميراً ذا شأن، فلم يُذكر له فعلٌ يُعْتَدُّ به، ولا عُرف له شعر أو أدب في الشام، لكن الذي يظهر، أنه تثقف ثقافة الأمراء، فعرف العربية وحفظ شيئاً من مآثور الأدب العربي شعره ونثره ظهر أثره عليه في الأندلس؛ على شكل

مقطوعات أدبية نثرية وشعرية بعضها لطيف، ما كان يُعبأ بها لولا أنها أثرت عن أمير،  
وأما عكست فكره على لسانه غربة واغتراباً، ألم تقرأ له مقطوعتين شعريتين جميلتين؛  
يُؤنِّس بهما نخلة تبنت في (الرصافة) التي أنشأها في (قرطبة) قاعدته وأهم مدن الأندلس  
إلى وقت بعيد؛ يتحدث فيهما إليها؛ مشبهاً نفسه الغريبة بها في غربتها إذ يقول في  
أحدى المقطوعتين :-

يا نخلُ أنتِ غريبةٌ مثلي  
فابكي وهل تبكي مكبسة  
لو أنها تبكي إذاً لبكت  
لكنها دُهِلتُ وأذهلني  
وقال في ثانيتهما :-

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة  
فقلت شبهني في التغرب والنوى  
نشأت بأرض أنت فيها غريبةٌ  
سقتك غواصي المزن من صوبها الذي  
تنازت بأرض الغرب عن بلد النخل  
وطول التنائي عن بنيّ وعن أهلي  
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي  
يسح ويستمري السماكين بالوبل<sup>23</sup>

فهما مقطوعتان شعريتان رقيقتان؛ تنزفان غربة لما هُما فيه من مفارقة الأهل  
والوطن، وعلى ما هو فيه من إمارة وفخفة، فالمقطوعة الأولى تبكي مفارقة الوطن والأهل  
حيث ماء الفرات ومنبت النخل ومولد الأمير الذي لم يُذكر في المقطوعة، لكن ما أذهله وأذهل  
النخلة عن ذلك الحنين إنما هو بغضه لبني العباس الذين أسقطوا دولة أهله، وهو يبغضهم  
كما يبغضونه مع أن ثاني خلفائهم (المنصور) هو الذي لقَّبه بـ (صقر قريش) ذلك أنه مع  
تفرده وغربته تمكن من الاستيلاء على ولاية الأندلس الواقعة في أقاصي الغرب، ليحولها إلى  
إمارة أموية هو أميرها، ومما يؤثر له من نثر أدبي؛ وصفه لبعض تلك الرحلة المهولة إلى  
الأندلس؛ الملقى بالمغامرات في قوله :- (وإني لجالس يوماً في قرية على شط الفرات، في  
ظلمة بيت تواريت فيه لرمد كان بي، وابني سليمان يلعب أمامي، إذ دخل الصبي فزعاً باكياً،  
فأهوى إلى حجري، فجعلت أذفعه لما كان بي، ويأبى إلا التعلق بي، وهو دهش يقول ما  
يقوله الصبيان عند الفزع! فخرجت لأنظر، فإذا بالرؤع قد نزل بالقرية، ونظرت، فإذا بالرايات  
السود عليها منحطة، وأخ لي حدث السن، كان معي يشدد هارباً، ويقول لي؛ النجاة يا أخي  
فهذه رايات المسوِّدة. فضربت بيدي إلى دنائير تناولتها، ونجوت بنفسي، والصبي أخي

22- الحلة السراء، ابن الأبار، ج 1 ص 37 .

23- م، ن، ج 1 ص 37 .

معي، وأعلمت أخواتي متجهي وأمرتهن أن يلحقنني مولاي بداراً وخرجت، فكمنت في موضع ناء عن القرية، فما كان إلا ساعة حتى أقبلت الخيل فأحاطت بالدار، فلم تجد أثراً، ومضيت ولحقني بدر فأتيت رجلاً من معارف في بشط الفرات، وأمرته أن يبتاع لي دواب، وما يصلح لسفري، فدلّ عليّ عبد سوء له، فما راعنا إلا جلبه الخيل، تحفزنا، فسبحت حائثاً لنفسي، وسبح الغلام أخي، فنادانا القوم من الشط: ارجعا لا بأس عليكما . فلما قطعت نصف الفرات، قصر أخي، فالتفت لأقوي من قلبه، وإذ هو قد أصفى إليهم وهم يمدعونهم عن نفسه، فناديتهم: نُقتل يا أخي، إليّ إليّ . وإذا هو قد اغتر بأمانهم وخشى الفرق، فاستعجل الانقلاب نحوهم . وقطعت أنا الفرات . ثم قدموا الصبي أخي الذي صار إليهم بالأمان فضربوا عنقه، ومضوا برأسه وأنا أنظر إليه؛ فاحتملت فيه تكللاً ملأني مخافة . ومضيت وجهتي أحسب أنني طائر، فلبأت إلى غيضة فتواريت فيها حتى انقطع الطلب عني ثم خرجت هارباً أروم المغرب، حتى وصلت إلى أفريقية . وهناك لحق بي مولاي بدر ( )... الخ .

ومن يستمع إلى هذه القطعة أو يقرأها بجد؛ يمتلئ قلبه رعباً وشوقاً إلى ما سيحدث، والقطعة إن دلت على شيء فإنما تدل على أمور منها :-

1 . ضجر (عبد الرحمن) من رمد عينيه، وهو مختبئ في ظلمة بعيداً عن الضياء الذي يتضايق الأرمدم منه وهو إلى ذلك لا يحتمل تشبث ولده المرتعب؛ به، بل يدفعه عنه، فإذا ما شاهد الرايات السود وأخاه الذي يحث الخطأ هرباً؛ لم ينس أن يأخذ معه شيئاً من الدنانير وأن يخبر أخواته بالمكان الذي يتجه إليه ويوجههن إلى أن يرسلن وراءه مولاه بداراً، فعبد الرحمن؛ حريص على نفسه عارف إلى أين يتجه مدرك من يحتاج إليه وما يحتاج إليه .

2 . هو حصيف، فعلى الرغم من رمدته؛ فرّ من أيدي العباسيين براً ونهراً ومعه أخ له؛ أمّنها جنود العباسيين فأمن أخوه فعاد إليهم فقتلوا رأسه على الرغم من أمانهم، أما هو (عبد الرحمن) فقد واصل فراره من وجه العباسيين؛ متجهاً إلى المغرب فالأندلس، وبينما تتقطع أنفاس متلقي هذه القطعة النثرية الجميلة خوفاً على البطل وتشوقاً إلى ما سيحصل وهو ما ألفت نظر الأدباء ومؤرخي الأدب إلى هذه القطعة يعود المتلقي إلى نفسه فيتساءل :- (هل قال الرجل حقاً؟)

ألم يكن ولده يلعب أمامه؟!

فكيف رأى المسوّد؟!

وكيف عرف ولده المسوّد ليخاف منهم؟!

ألم يكن صغيراً بما فيه الكفاية؟!

ثم ألم يلتحق (بدر) به قبل النزول إلى النهر؟!

فأين كان بدر وقت نزول عبد الرحمن وأخيه إلى النهر؟!

وأين كان بدر قبل أن يلتحق ب (عبد الرحمن) في المغرب؟!

وهل هناك أديب يستعمل كلمة واحدة هي :- (بي) مرتين في أقل من سطر؟! )  
 هذه وغيرها أسئلة تطرح نفسها على الناقد المحلل ؛ يمكن أن يطرحها على قاص مبتدأ  
 أو أديبٍ شادٍ، لكن من ذا من أتباع الأمير يجرؤ على ففر فاه بغير التعجب والتعظيم ؛ ناهيك  
 عن طرح مثل هذه الأسئلة الموحية بشيء مما يجرح الأمير العنيف المخيف الذي تعرضه  
 أنموذجات أدبية تنبئ بذلك ؛ حفظها له تأريخ الأدب ؛ سيأتي بعضها قريباً!  
 لكن هذه القطعة النثرية على ما فيها توحى بأسباب مباشرة وغير مباشرة ؛ أدت به إلى  
 بغض العباسيين الذي أنتج غربته التي هو فيها، والتي تذكره بها نخلة غريبة نابذة في  
 رصافة قرطبة تتبدى له فتشعره بالشبه القائم بينهما، فهما غريبان نائيان عن الأهل وعن  
 الأبناء ؛ من هنا فهو كأى عربي صحراوي يدعو لهذه النخلة ؛ بالسُّقيا، فكأنه يدعو بالسُّقيا  
 لنفسه لهذا لا يُستغرب منه أن يتوجه إلى المُيمَّم نحو أرضه في المشرق، ليَحْمَلَه زفرة غريب  
 ونفثة محزون على فراق الأهل والأحبة في الأوطان، بل الأوطان نفسها التي فارقها فهو يحن  
 إليها إذ يقول :-

أيها الراكب الميمم أرضي	أقر مني بعض السلام لبعض
إن جسمي كما علمت بأرض	وفؤادي ومالكيه بأرض
قدّر البين بيننا فافترقنا	وطوى البين عن جفوني غمض
قد قضى الله بالفراق علينا	فعمسى باجتماعنا سوف يقض <sup>24</sup>

فالراكب الميمم نحو أرضه يحمل رسالة يعرفها كما علمت فهو على هذا قريب من  
 الشاعر عارف بما يجيش في نفسه المشتتة من ألم، إنه يحمل سلام الأمير الشاعر ؛ إلى بعضه  
 الذي تركه في أرضه التي غادرها مرغماً، وماذا أخذ معه من تلك الأرض غير جسمه؟!  
 فإذا كان جسمه معه، ففؤاده ومالكوه باقون في تلك الأرض، إذ قدر البين البعد  
 افتراقهما، فافترقا فهل يستطيع مثل هذا المبتعد عن فؤاده ومالكيه أن يغمض عينيه  
 للنوم؟! )

والشاعر يرى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي قدر عليهم الفراق ويتفاعل فيرجو أن  
 يقضي الله باجتماعهم دون أن يبين مكان هذا الاجتماع، فهل يبقى على رأيه هذا حين  
 يجتمع بمن عاونوه أو فارقوه ثم عادوا إليه ؟  
 هذا ما سنتعرض له لاحقاً .

ثم أن القافية في البيت الثالث من هذه المقطوعة تجبره على أن يكسر المنصوب غمض  
 مخرلاً بالنحو، وفيه إصراف و"الإصراف : وهو اختلاف المجرى بفتح وكسر أو بفتح وضم وهو

24- الحلة السبراء ، ابن الأبار، ج 1 ص 36 .

أقبح من الإقواء لتقارب مخرج الضمة والكسرة في الحالة الأخيرة.<sup>25</sup> وهو ما لا يفعله الأدباء الجادون في العادة مع احترامنا للأستاذ (إبراهيم ياس خضير الدوري)، ومن استند إليهم حين قال :- "كانت للداخل شخصية أدبية نثرية وشعرية فقد وصف بالبلافة والفصاحة، كأكثر بني أمية ولكنه امتاز عليهم"<sup>26</sup>... الخ. فإذا كانت هذه المقطوعات؛ دالةً على غربة، أفلا يكون في مقطوعات أخرى له ما يدل على اغتراب؟

بعدما بلغ عبد الرحمن الداخل؛ الإمارة بالسيف واللسان الذلق المصادق والمخادع بدا له أمران مهمان؛ أحدهما أهل الدالة عليه الزاعمين أنه لولاهم لما بلغ ما بلغ وثانيهما المتطفلون الذين يهتمون باستثمار ما وصل إليه من إمارة فأما الأولون فمنهم مولاة بدر الذي ذكره في مقطوعته النثرية التي حللناها سابقاً ثلاث مرات، فهذا الرجل كان يتابعه ويساعده ويفد بالنيابة عنه إلى هذا وذلك من الذين اتصل بهم في طريقه إلى الإمارة، فكان طبيعياً أن يدل عليه بسابقتها في خدمته وثقته به ونجاحه في تحقيق مسعاه وتكبده العناء خوفاً من القتل في سبيله من هنا فيبدو أنه كان يصله عنه ما يدل عليه به من طريق الجواسيس والحساد والوشاة وهم أكثر في كل بلاط استناداً إلى هذا فلعله توجه إليه في هذه المقطوعة الشعرية إذ قال :-

لا يُلفَ ممتنٌ علينا قائلُ	لولاي ما ملك الأنامَ الداخلُ
سعدى و حزمى و المهند و القنا	ومقادر بلغت و حال حائل
إن الملوك مع الزمان كواكب	نجم يطالعنا ونجم آفل
و الحزم كل الحزم أن لا يغفلوا	أيروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لا عقله	خير السعادة ما حماها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم	بالغرب رغما والسعود قبائل
مادام من نسلي إمام قائم	فالمك فيكم ثابت متواصل <sup>27</sup>

فالواضح من هذه الأبيات؛ أنها نتيجة شعور بإدلال المدلين عليه فهو لا يريد أن يجد ممتناً عليه بفضل وصوله إلى الإمارة، فقد ذهب ذلك ونُسي، فبقي سعده وحزمه والمهند والقنا والقدر الذي تحقق والحال الذي حال، فهذه هي الأشياء التي أوصلته إلى أن يحكم الأنام لا هؤلاء المساعدون، وهي مسألة اعتادها الوصوليون للوصول إلى أهدافهم بالصعود

25- فن التقطيع الشعري و القافية، دكتور صفاء خلوصي، ص 282، ط3، بيروت 1966.

26- عبد الرحمن الداخل في الأندلس و سياسته الخارجية والداخلية، إبراهيم ياس خضير الدوري، ص 299، دار الرشيد للنشر، 1982، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة.

27- دراسات في الأدب الأندلسي، دكتور سامي مكى العاني، ص 145، 146، ط 1 بغداد، 1978 م.

على أكتاف الناس، فإذا ما تحقق لهم مرادهم؛ سحقوا الأكتاف التي رفعتهم؛ متنصلين من حقها عليهم زاعمين أنهم توصلوا إلى ما توصلوا إليه لأنهم ممتازون توسلوا بما توسلوا إليه؛ عارفين مواطن النجاح، فهم من ذوي المجد والسعد، فإذا كان البيتان الأولان؛ موجّهين إلى المدلين عليه ومنهم مولاة بدر دون أن يكون لاسمه ذكر فإن البيتين التاليين؛ يوشكان أن يكونا حكمتين لأمير حكيم، فالملوك كواكب، والكواكب منها ما يغبور ومنها ما يطلع، وقد بلغ زمان نجمه، فلا مَرَدَ له، ولا إِدلال عليه، فعلى الملوك أن يكونوا حازمين بتخلصهم من الغفلة عن أتباعهم الذين ينقلبون عليهم لسبب أو لآخر أو تتضاءل قدرتهم على خدمتهم، ناهيك عن أن يدلوا عليهم بفضلٍ لهم سبق، فيتخلصون منهم؛ مستبدلين إياهم بآخرين إذ لا يستطيع الغافلون تدبير أمور الناس البرية وهي حكمةٌ صالحةٌ لو تحققت بشكل صحيح، ولو فهمها الناس؛ على أن الذي يبدو أن بدرًا لم يفهم هذا الواقع أو رأى نفسه مختلفاً عن الآخرين، فأبدى إِدلاله على سيده برقعة كتبها له، يذُلُّ بها فعلاً على سيده، فوقَّع السيد عليها بقوله :- "وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ودناءة أدبك، ولتيم معتقدك، والعجب أنك متى أردت أن تبني لنفسك عندنا مُتاتاً أتيت بما يهدم كل مَتات مشيد، مما تمن به، مما قد أضجر الأسماع تكراره، وقدحت في النفوس إعادته، مما استخرنا الله تعالى من أجله، على أمرنا باستئصال مالك، وزدنا في هجرِك وإبعادك، وهضنا جناح إِدلالك، فلفعل ذلك يقمع منك، ويروعك حتى نبلغ منك ما نريد إن شاء الله تعالى، فنحن أولى بتأديبك، من كل أحد، إذ شرك مكتوب في مثالنا، وخيرك معدودٌ في مناقبنا".

وواضح من هذه المقطوعة ضجر عبد الرحمن الداخل من مولاة بدر فهو يصفه بالجهل وسوء الخطاب والدناءة واللؤم فبأي الصفات السيئة أكثر من هذه الصفات يصف أميراً عبداً له؟ وهويتعجب من فعل بدر الذي يذكّره بما كان بينهما من صلة، فيرى أنه يهدم تلك الصلة بمنه الذي أضجر الأسماع يريد سماعه وأضجر النفوس تكراره يريد نفسه الأمر الذي دفعه إلى تجريد بدر من أمواله؛ هاجراً إياه؛ مبعداً له عن مجلسه فبذلك يمنعه من الإِدلال عليه؛ مقموعاً مروعاً فعبد الرحمن يرى نفسه أولى بتأديب مولاة لأنه يرى أن شره محسوبٌ عليه وخيره محسوبٌ له، فلا فضل لبدر على عبد الرحمن في شيء.

إن شعور الإنسان بمنّ الناس عليه؛ جدُّ ثقيل؛ يصعب أن يحتمل، لهذا فقد قمع عبد الرحمن الداخل عبده الأكثر مساعدة له والأشد مساعفة ليقول لغيره أنكم أحرى بما حدث لبدر لو مننتم عليّ بشيء، ومع أن البرغماتيين من المسؤولين وكبار رجال المال يعنون بالتخلص من المُدلين عليهم، فإن ذلك يدل على شعورهم بالاغتراب المتمثل في أنهم كبار بالمدلين عليهم لا بأنفسهم، وهي مشكلة معروفة عند الملوك مذكورة في أدبهم؛ لم يكن الداخل غريباً فيها وإن كان غريباً عن وطنه مغترباً بين أهله وأصدقائه مع إمارته.



وهي مقطوعة فيها من الهنات ما فيها، ومن تلك الهنات ذكره كلمة (ما) ثلاث مرات في نحو من سطرٍ واحد، وكلمة (زدت) ثلاث مرات في بداية المقطوعة، لو كتبهما كاتب مبتدأ في مقالة، لرفضت، لكنه كلام أمير وكلام الأمير عندهم أمير الكلام، وليس دقيقاً. لا شك أن هذه المقطوعة؛ ضايقت بدرأ، وأساءت إليه، وأشعرته بعقوق سيده الذي تصور أنه نتيجة قالت السوء عليه، في حضرت السيد، ولا شك أنه أشعر بشعوره هذا؛ بعض الأصدقاء المشتركين بينه وبين الأمير، فنَّصِلُ إليه تلك الشكوى ليأمر عبده بالخروج من قرطبة والنفي إلى أقصى الثغر مبيناً حالات المُقت التي تصاعدت في نفس السيد على العبد مهدداً إياه بالقتل كنايةً حين يقول :- "لتعلم أنك لم تزل بمُقتك حتى ثقلت على العين طلعتك، ثم زدت إلى أن ثقل على السمع كلامك، ثم زدت إلى أن ثقل على النفس جوارك، وقد أمرنا بإقصائك إلى أقصى الثغر بالله إلا ما أقصرت، ولا يبلغ بك زائد المقت إلى أن تضيق بك معي الدنيا، ورأيتك تشكو لفلان وتتألم من فلان، وما تقولوه عليك، وما لك عدو أكبر من لسانك، فما أطاح بك غيره، فأقطعه قبل أن يقطعك".

وإذا كان هذا هو موقفه من عبده المطيع البازل مهجته في نصرته، لم يستغرب منه قوله لسليمان الإعرابي الذي تصور أنه يخادعه :- "أما بعد فدعني من معاريض المعاذير، والتعسف عن جادة الصواب، لتمدني يداً إلى الطاعة، والإيعتصام بحبل الجماعة أو لأزوين بنانها على رصف المعصية، نكلاً بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد". بيد أن هذه الحدة والشدة لم تلازمه إذ أنه قال لصحبه يوم انهزم أصحاب يوسف الفهري أمامه في معركة المصاراة :- "لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم واستيقوهم لأشدّ عداوة منهم" فهو يبدو متنبهاً إلى أن هؤلاء خصوم مصالح لا خصوم عقائد، لذلك لم يرغب في استئصال شأفتهم، لأنه أمل أن تدنيهم مصالحهم إلى صفه فلا ضرورة لأن تدميهم سيوف أصحابه بأكثر من إخراجهم من الميدان وقت المعركة لا غير.

أما المتطفلون وهم الذين كانوا سبباً آخر من أسباب إغترابه فتمثلهم حالة أحد الأمويين الذين وفدوا عليه؛ نال ذلك الرجل عطاء الأمير، لكنه استقله، ووجد نفسه أكبر منه، وحاجته أكثر مما أعطاه؛ وصل هذا إلى الأمير الذي رأى نفسه رجلاً مغامراً صانعاً للملك؛ داعياً إلى هذا الملك أهله الذين لم يركبوا من أجل تمهيده ولم ينزلوا، لم يحاربوا ولم يهادنوا، لكنهم جاءوا فوجدوه ملكاً مههداً موطداً فيه خزائن مال؛ ظنوها لهم، والأمير يراها لنفسه لذلك قال مبيناً شعوره المُمعن في الاغتراب :-

شтан من قام ذا امتعاض	مذ قال ما قال واضمحلا
ومن غدا مصلتاً لعزم	مجرداً للعادة نصلا
فجاب قفراً وشق بجرأ	ولم يكن في الأنام كلا
فشاد ملكاً وشاد عزأ	ومنبرأ للخطاب فصلا

ومصّر المصر حين أخلى	وجنّد الجند حين أودى
حيث انتأوا أن هلم أهلاً	ثم دعا أهله جميعاً
شديد روع يخاف قتلاً	فجاء هذا طريد جوع
ونال مالا ونال أهلاً	فنال أمناً ونال شُبُعاً
أعظم من منعم ومولى <sup>28</sup>	ألم يكن حق ذا على ذا

فهو يرى نفسه أكثر من مُنعمٍ على أهله الذين أحدهم أقل من مولى له ذلك أَنَّهُمْ أودوا بملكهم فطاردهم الجوع والروع المخيف من القتل فكانوا كلاً عليه، في حين أنه جنّد الجند ومصّرَ المصر وفعلَ ما فعلَ، وأشبع وأعطى الكثير، لكنهم مع ذلك يستقلون ما يعطيهم، فهو يأسى لذلك؛ مغترباً بين المدلين والمتطفلين .

يمكن أن تُعَدَّ هذه المقطوعات الشعرية والنثرية على ما فيها أو لها شكلاً من أشكال الإعلام الذي لم يتفرغ له طبعاً بحكم كونه الأمير، لكنه أبدى نفسه قادراً أحياناً وعافياً أحياناً أخرى واعداً مرةً موعداً مرةً أخرى مهدداً مبعداً أو مقرباً بحسب ما تحتمة الظروف عليه، أكان مكتفياً بهذا الإعلام أم كانت له وسائل إعلام أخرى ؟

هذا ما سنتعرض له في الحديث عن (أبي المخشي) شاعر عبد الرحمن الداخل واعلاميه .

## **أبو المخشي إعلامي (الداخل) وشاعره الغريب المغترب في لوحة الظلم**

كان (عبد الرحمن الداخل) مثل كل الحكام الصالحين وغير الصالحين محتاجاً إلى الإعلام الذي يمدحه وينوّه بمآثره ويُعرّف بانتصاراته؛ مهّوناً من شأن أعدائه الذين ينكرون عليه إنجازاته، وأبو المخشي عاصم بن زيد العبّادي شاعرٌ كان معروفاً في زمن الداخل؛ منصرفاً إلى مدح ولده سليمان، مهتماً بمدح الأمير الوالد .

كان أبو المخشي شاعراً مخشيّ اللسان، فقد كان شاعراً هجاءً يهاجي شعراء عصره، وهذه مزية للشاعر الإعلامي، إذ يفكر الشعراء المخاصمون لأميّره؛ أكثر من مرة؛ قبل أن يهجو الأمير؛ خوفاً من سيف الأمير ولسان شاعره إعلاميه معاً، لكن هذه المسألة؛ لن تكون مما تركّز عليه هذه الدراسة التي ستعنى من شعر أبي المخشي بمسألتين هما:-  
المتوفر من مدح أبي المخشي لسليمان وأبيه عبد الرحمن الداخل .  
ما صار إليه أبو المخشي بعد أن تخلّى عنه سيّده .

لم يكن أبو المخشي رجلاً أندلسياً في الأصل، إذ كان والده من جند الشام الذين دخلوا الأندلس فنزل مع جند دمشق في (البيرة) وترعرع أبو المخشي في بلدة (شوش) فهو غريب في الأندلس كما كان سيّده غربيين، لكنه كان مغترباً كذلك، بصفته هجاءً، لأن الشعراء كانوا يغمزونه عبر أصله النصراني البعيد الناتج عن انتسابه لآل عبّاد؛ من نصارى الحيرة وملوكها، فهم مشتركون في هاتين الناحيتين الغربية والاعتراب.

أما مدحة لعبد الرحمن الداخل وابنه سليمان فقد كان مدحاً معتاداً عند الشعراء العرب الذين يمدحون ممدوحهم بالشجاعة والكرم وقد يهجون خصومهم مبالغين أو غير مبالغين في الأمرين، فأبو المخشي يبالغ في مدح عبد الرحمن الداخل وابنه سليمان حين يقول :-

وإذا تساءل عن مواقع معشر	وذويهم طلب الذي لم يُقدّر
رشد الخليفة إذ غووا فرماهم	بالمؤبذّي الجهم والمتأزّر
وغدا سليمان السماح عليهم	كالليث لا يلوي على متعذر
غاداهم متقنعاً في مأزق	بالموت مرتجس العوارض ممطر
أما سليمان السماح فإنه	جلي الدجى وأقام ميل الأصعر
وهو الذي ورث الندى أهل الندى	ومحا مغبة يوم وادي الأحمر
بعداً لقتلى بالمجانص أصبحت	جيفاً تلوح عظامها لم تقبر
فالليل فيها للذئاب فرائس	ونهارها وقع لنبش الأتسر
أفناهم سيف مبيد طرفه	في قسطلونة بل بوادي الأحمر
فلتركبك ما هربت مخافة	منه . فتقع يا ابن اللقيطة أوطر

فمبالغته تتمثل في طلب الأمير الذي لم يُقدّره الله سبحانه وتعالى لخصومه ونجاحه في هذا المطلب خلافاً لقدّر الله سبحانه وتعالى وهو أمر غير مقبول إسلامياً سجد له ما يشابهه في موضع آخر ومع ذلك فهو يتحدث عن رشد الخليفة يريد عبد الرحمن الداخل مبالغة ولو قال الأمير، لذهبت المبالغة ولأختل الوزن بعض الشيء، وهو يصف خصوم الأمير بالغواة إذ غووا والغواة يحتاجون إلى رميهم بالقوي المتأزّر لكنه مع ذلك وصف هذا القوي الذي رمى الأمير الغواة به بـ (المؤبذّي) ترخيم المؤبذان وهو فقيه المجوس أو حاكمهم وبـ (الجهم) وهو (الجهم) صاحب فرقة الجهمية، من النخل المنبوذة إسلامياً وهما المؤبذان والجهم متهمان بالعنف والشدة فهو مدح في موضع الذم، ذلك أنه أراد مدح القائد الذي قاتل أعداء الأمير عبر وصفه بالقوة والشدة والتمكّن لذلك كان رشد الأمير، وهذا القائد الذي ولاه الأمير هذه المهمة هو ولده سليمان المضاف إلى السماح مرتين، فهو كريم وهو قوي كذلك يشبه الليث الذي لا يتعذر عليه شيء، ويستمر في وصف عبد الرحمن بالسماحة والبأس مؤكداً على هذا المعنى حتى يقول :-

بعداً لقتلى بالمجانص أصبحت

جيفاً تلوح عظامها لم تقبر<sup>29</sup>

فالليل فيها للذئاب فرائس

ونهارها وقع لنبش الأنسر

حيث يدعو إلى قتلى الخصوم بالبعد، فقد أصبحت جيفاً لم تقبر، تعدو عليها الذئاب في الليل وتناولها النسور في النهار؛ مفاخرأ بذلك؛ مما يذكّر بما فعله أنصار الأمويين بـ (الحسين) وآله (ع) في العاشر من محرم سنة 61 هـ بـ (كربلاء) فكانها سمة من سماتها التي يفاخرون بها.

وفي آخر هذه الأبيات يتجه إلى قائد الخصوم آمراً إياه بالركوب المنتج للهرب فهو حاصل بيد الأمير بغض النظر عن وقوعه أو طيرانه، لكنه هنا يشتمه فيناديه بقوله:-- ((يا ابن اللقيطة)) لم يخجله من ذلك مدحة لسيديه عبد الرحمن الداخل وسليمان، ولم يردّه أحدهما عن هذه البذاءة، في حين أن هشام بن عبد الرحمن الداخل وأخي سليمان، لما أحس بشيء من التعريض بالهجاء له في قوله:--

وليس مثل من إن سيل عرفا

يقلب مقلة فيها اعورار

ذلك أن أبا المخشي لم يمدح هشاماً بل مدح أياه وأخاه سليمان، وكان في عين هشام خولاً، فظن هشام أنه يقصده ويصوره إن سئل رفقاً عرفاً يقبل مقلة عوراء يريد مقلة حولاء، فهذه تهمة في أسوأ الأحوال تحتاج إلى قضاء لإثباتها أو نفيها، لكن هشاماً لم يتجه إلى القضاء ورضن بالعفو، فحكم ظلاماً ونفذ حكمه، حين دعا أبا المخشي، وزعم له أن امرأة هجاها فادعى أنها هوت ولدها، فدعت عليه، فاستجاب الله لها فهو يعاقبه دفاعاً عنها، فيسمل عينيه ليبقى أعمى طول حياته، ويقطع جزءاً من لسانه الذي يشفى فيما بعد جزئياً مذكراً بما يفعله الظالمون في كل زمان ومكان؛ أخذاً بالتهمة غير المؤكدة وغير المقضي فيها؛ مع أنهم يطلبون من الناس العدالة ويتهمونهم بالظلم الذي هو فيهم منساقين مع قول العرب:-- ((رمّني بدائها وانسلت)) ومما يبين الظلم الذي أوقعه هشام بأبي المخشي أمران على الأقل هما:--

استجابة عبد الرحمن الداخل لشكوى أبي المخشي وتعويضه عما فعله به هشام دون أن يحاسب هشاماً ناهيك عن أن يعاقبه، وستعرض للقصيدة التي اشتكى إلى عبد الرحمن ما فعله ولده هشام تعريضاً وتلميحاً.

ما فعله هشام حين صار أميراً للأندلس بعد وفاة والده من مضاعفة دية أبي المخشي وإكرامه، وبذهب مؤرخو هذه المسألة إلى أن هشاماً ندّم على ما فعله بأبي المخشي، والذي يبدو لي أن هشاماً طمع في أن يكون أبو المخشي مادداً لهشام، من هنا، لم نجد من يُكرّم

أبا المخشي من الأمويين حتى صار يأسى في آخر حياته لما أصابه، ألا تراه يصف همه في الليل قائلاً:-

أُمُّ بَنِيَّاتِي الضَّعِيفِ حَوِيلَهَا      تعول امرءاً مثلي وكان يعولها  
إِذَا ذَكَرْتَ مَا حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      بكت تستقيل الدهر ما لا يقيلها  
لَا يَكْتَفِي بِالْهَمِّ الَّذِي ضَافَهُ فِي اللَّيْلِ كَأَنَّهُ الْبَحْرُ لَكِنْ يَصِلُ بِهِ الْحَالُ إِلَى الْأَسَى النَّاجِمِ عَنِ  
أَنَّ أُمَّ بَنِيَّاتِهِ الضَّعِيفِ حَوِيلَهَا صَارَتْ تَعْوَلُهُ وَكَانَ فِيمَا مَضَى يَعْوَلُهَا يَكْدُ عَلَيْهَا يَقُولُ :-  
أُمُّ بَنِيَّاتِي الضَّعِيفِ حَوِيلَهَا      تعول امرءاً مثلي وكان يعولها  
إِذَا ذَكَرْتَ مَا حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      بكت تستقيل الدهر ما لا يقيلها  
فَتَصْغِيرُهُ لِبَنَاتِهِ وَتَصْوِيرَهُنَّ عَلَى أَنَّهِنَّ بَنِيَّاتٍ، وَتَعْبِيرُهُ عَنِ حَوْلِ أُمِّهِنَّ بِالتَّصْغِيرِ حَوِيلٍ  
وَإِضَافَةِ الضَّعْفِ إِلَيْهِ يُوْحِي بِوُضُوحٍ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ حَالُهُ بَعْدَمَا أَهْمَلَهُ الْأَمُويُونَ، وَلَمْ يَجِدْ مَا  
يَعْوَلُهُ أَوْ مِنْ يَعْوَلُهُ غَيْرَ امْرَأَةٍ عَاجِزَةٍ ضَعِيفَةٍ؛ مَتَذَكَّرًا أَيَّامَهُ السَّابِقَاتِ حَيْثُ كَانَ يَعِيشُ فِي  
رِفَاهٍ إِذْ يَقُولُ :-

هَمَا مَهْدَا لِي الْعَيْشِ حَتَّى كَأَنَّنِي      خَفِيَّةٌ زَفَّ بَيْنَ قَادِمَتِي نَسْرِ  
فَقَدْ كَانَ يَعِيشُ فِي ظَرْفٍ سَهْلٍ وَحَيَاةٍ نَاعِمَةٍ كَأَنَّهُ رَيْشَةٌ صَغِيرَةٌ فِي مَوْخِرَةِ طَائِرٍ  
تَحْنِيهَا رِيَشَاتٍ قَوَادِمٍ نَسْرٍ، لَعَلَّهَا سَلِيمَانُ وَوَالِدُهُ يَوْمَ كَانَ يَمْدَحُهُمَا فَيَغْدِقَانِ عَلَيْهِ الْعِطَاءَ  
بِحَقٍّ أَوْ بِإِطَالٍ فَمَاذَا يَفْعَلُ بِهِ الْحُكَّامُ بَعْدَ أَنْ عَمِيَ وَعَجَزَ وَلَمْ يَعِدْ قَادِرًا عَلَى نَفْحِهِمْ بِشَيْءٍ  
مِنْ شَعْرِهِ؛ الَّذِي يَنْشُدُهُ إِنْ أَنْشُدَهُ بِنَصْفِ لِسَانِ كِي يُتِمَّ لَهُمْ نَفْعَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ؟!  
أَمَا شِكَاةُ أَبِي الْمَخْشِيِّ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخْلِ مِمَّا فَعَلَهُ بِهِ ابْنُهُ هِشَامٌ حِينَ سَمَلَ عَيْنَيْهِ  
وَقَطَعَ جِزْءًا مِنْ لِسَانِهِ، فَقَدْ كَانَتْ قَصِيدَةً مَدْحٍ مَشُوبَةً بِأَسَى شَدِيدٍ أَنْتَجَتْهُ مَأْسَاةُ عِمَاءِهِ وَقَطَعَ  
لِسَانَهُ، وَإِذَا لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنِ بَتْرِ لِسَانِهِ، وَتَجَرَّبَتْهُ مَعَهُ أَوْ لَمْ يَصِلْنَا مَا قَالَهُ فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ  
الْقَاسِيَةِ، فَإِنَّ مَا قَالَهُ فِي عِمَاءِهِ شَيْءٌ مُؤَسِّبٌ بَبْعَثِ الشَّجَى وَالْأَلَمِ فِي أَيَّةِ نَفْسٍ إِنْسَانِيَّةٍ؛ يَقُولُ  
وَاصِفًا هَذِهِ التَّجْرِبَةَ :-

خَضَعْتَ أُمَّ بَنَاتِي لِلْعَدَى      إِذْ قَضَى اللَّهُ بِأَمْرِ فَمَضَى<sup>30</sup>  
وَرَأَتْ أَعْمَى ضَرِيرًا إِثْمًا      مَشِيهِ فِي الْأَرْضِ لِمَسِّ بِالْعَصَا  
فَبَكَتُ وَجَدًّا وَقَالَتْ قَوْلَةً      وَهِيَ حَرَى بَلَّغْتَ مِنِّي الْمَدَى  
فَفؤَادِي فَرِحَ مِنْ قَوْلِهَا      مَا مِنَ الْأَدْوَاءِ دَاءٌ كَالْعَمَى  
وَإِذَا نَالَ الْعَمَى ذَا بَصْرِ      كَانَ حَيًّا مِثْلَ مَيْتٍ قَدْ ثَوَى  
وَكَأَنَّ النَّاعِمَ الْمَسْرُورَ لَمْ      يَكُ مَسْرُورًا إِذَا لَاقَى الرَّدَى  
أَبْصُرْتُ مُسْتَبَدَّلًا مِنْ طَرَفِهِ      قَائِدًا يَسْعَى بِهِ حَيْثُ سَعَى

بالعصا إن لم يقده قائد      وسؤال الناس يمشي إن مشى  
وإذا ركب دنوا كان لهم      هُوَجْلا في المَهْمَه الخرق الصوى  
لم يزل في كل مخشي السرى      يصطلي الحرب وبجتاب الدجى  
فهو هنا يتحدث عن خضوع أم بناته لا أم بُنَيَاتِه، كما في بيتين سبقا للعدى فما  
سبب خضوع أم بناته للعدى؟!

ولماذا لم يُصَغِر بناته كما فعل في بيتين سابقين؟!  
وفيم لم يقف عبد الرحمن الداخل وابنه سليمان بينه وبين العدى هشام الذي سمل عينيه  
وبتر لسانه؟!

أنه تصور نفسه ما يزال قادراً على أن يعيش حياةً رضية على الرغم من كل ما أصابه،  
فبناته كبيرات، لكن لما قَلَّتْ حيلته وعجزَ عن إعالة أهله صَغُرَتْ بناته فَصَغَرَهْنَ .  
إنه ينبه للعدى الذين لا يستطيعون مواجهتهم، فيَعُدُّ ما حدث له من قضاء الله ويتحدث  
عن العمى وموقف زوجه منه تلك الزوج التي ترى أنه ((ما من الأدواء داءً كالعمى)) وكذلك  
البيت الخامس الذي قاله بلسان حال زوجه :-

وإذا نال العمى ذا بصير      كان حياً مثل ميتٍ قد ثوى  
فما أشنع هذه الصورة التي تصوره بها زوجه أو يتصورها عن نفسه على لسانها، أما  
البيت السادس، فيوشك أن يكون تأكيداً للمعنى السابق أو توضيحاً له إذ يقول :-  
وكان الناعم المسرور لم      يك مسروراً إذا لاقى الردى  
وهذا شيء طبيعي، إذ أن الحي الذي هو كالميت يشبه المسرور الذي يلاقي الموت، فهل  
يلاقي الموت شخصاً وهو مسرور؟!

بعد أن يذكر قولها عن العمى يتحدث عما أبصرتَه، وماذا أبصرت؟!  
لقد أبصرتَه مستبدلاً بطرفه الذي كان يبصرُ به قائداً يقوده، لكن هل يتوفرُ القائدُ  
للأعمى دائماً؟

المؤكد أن القائد قد يتوفر وقد لا يتوفر، فإذا ما توفر، فيها، وإذا لم يتوفر وهو الغالب  
للفقير اضطرَّ إلى استبداله بالعصا، وقد نصَّ على ذلك في البيت الثاني، لأن العصا أكثر توفراً  
للأعمى وأيسرُ حصولاً من القائد البصير، فإذا ما مشى مستعيناً بالعصا، كان مضطراً إلى سؤال  
الناس حين يسعى، لكن سؤال الناس هنا، تعبير مطلق، فعن ماذا يسألهم؟!  
أيسألهم مستجدياً ردهم؟!

أم يسألهم طالباً إرشادهم إلى المكان الذي يريد؟!  
أم يسألهم الأمرين معاً؟!

فإذا ما كان في الصحراء المَهْمَه وجاء ركب، اضطرَّ الركبُ إلى الإبطاء، حتى يتمكن  
الأعمى من الابتعاد عن الركب بصعوبة، أو يتمكن الركب من إبعاده وكلا الأمرين مُعْرَقِلٌ

لحركة الركب التي يحسن أن تكون سريعة، وهذا إذا كان يسري بنفسه أو مع غيره، فكأنه يصطلي حرباً ويسير في ظلام .

بعد أن وصف العمى الذي أصابه به هشام دون أن يذكر اسمه وما يجره على الأعمى مع أهله وغيرهم إذا سار أو ركب ولعله وصف لرحلته إلى الأمير تحدث عن ركوبهم النوق السمان التي أضعفها السير حتى وصلت بهم إلى حيث الأمير يقول :-

امتطيناها سماناً بديناً      فتركناها نضاً بالعنا  
وذريني قد تجاوزت بها      مهمماً قفراً إلى أهل الندى  
قاصداً خير منافٍ كلها      ومنافٍ خيرٍ من فوق الثرى

ولعله يتحدث إلى أم بناته قاصداً عبد الرحمن الداخل تلميحا حين يقول لها :- (وذريني) إذ يتصورها أو يصورها تمنع في رحلته فيخبرها أنه قد وصل إلى أهل الندى الكرام يريد عبد الرحمن الداخل إذ يصور أنه يراه (خير منافٍ كلها) لأنه من منافٍ ومن منافٍ رسول الله (ص) فكيف يكون الداخل خير منافٍ كلها دون مبالغة غير محمودة، إذ أن منافاً صارت خير من فوق الثرى، برسول الله (ص)؟

إن إصرار أبي المخشي على وصف العمى والأعمى وما يواجهه البصير إذا عمي وتصور الناس لهذه الصورة، لا يستثني من ذلك زوجه، بل يراها أكثرهم تصوراً لهذه الصورة، ثم وصفه الأعمى في حالة السعي مستعيناً بقائدٍ أو بعضا وفي حالة الركوب وكأنه يصطلي حرباً لأنه يسعى في دُجى في طريقٍ طويلٍ مظلم؛ أهزل النوق السمان التي ركبوها حتى وصلوا إليه، إنما كان كنايةً كبيرة عن شكوى يشكو فيها هشاماً لأبيه عبد الرحمن؛ مسترفداً عبد الرحمن، إذ وقع القضاء، ولم يبق غير المال يساعِدُ الأعمى ويُسعِفُهُ .

إن هذا التشديد على هذه الصورة التفصيلية؛ لم يكن المقصود به التجديد الشعري مع احترامنا لرأي الدكتور أحمد هيكل لكنه كان تأكيداً لشكوى وطلباً لمال بأسلوبٍ معتاد عند العرب، فإذا كان هذا هو الحال مع الإعلامي المتفرغ فكيف كان حال الثقافة في زمن الداخل ومن جاء بعده؟

وماذا نعني بالثقافة في هذا المجال؟

هذا ما سنتعرض له في الموضوعات القادمة كما تعرضنا لجوانب منه فيما سبق .

## يحيى الغزال

اسمه يحيى بن حكم، ويلقب بالغزال لوسامته وظرفه . وهو من جَيَّان مدينة أندلسية ينتسب إلى أسرة تنتمي إلى بكر بن وائل . ولد الغزال في ما بين 150 إلى 156هـ وتوفي فيما بين 250 إلى 255هـ على اختلاف التصورات نشأ نشأة علمية أدبية؛ غلب الشعر عليه فاشتهر به .

وقد كان للغزال من المواهب الخَلقية والخُلقية، ما جعله يُختار لبعض الأعمال الكبيرة في إمارة قرطبة في عهد عبد الرحمن الأوسط. لكن طبعه المتقلب أدى به إلى الاستهتار؛ الأمر الذي نقله من موظف يجبي الأعشار إلى السجن لأنه غلّ من أموال الدولة، لنفسه، ثم أنه أنتدب لسفارة أو سفارتين إلى القسطنطينية في بلاد الروم أو إلى بلاد النورمان، وقد يكون سفر السفارتين، فاختلفت على الرواة، والمهم أنه أحسن السفارة، فمثّل بلده ودينه تمثيلاً ناجحاً. ثم أنه اختلف مع زرياب الذي ورد الأندلس من العراق ولعل الغزال حسد زرياب فهجاه، ولعل هذا الخلاف أدى بالغزال إلى أن يرحل إلى بلاد الشرق حلم الأندلسيين فيزور بغداد ويحاور شعراءها من تلاميذ أبي نؤاس الذين لا يلقون بالاً إلى شعر الأندلس فيلقي بينهم شيئاً من شعره يرفع شأن شعر الأندلس، ورحلات الغزال غير مستغرّبة، لكن يطفئ عليها روح الخلط وتغلّفها الأسطورية، مما يجدرُ بدارس جاد أو مجموعة من الدارسين الجادين دراسة حياة الرجل؛ دراسة موضوعية؛ تميّط اللثام عما يحيط به من الخلط والأسطورة.

كان الغزال ظريفاً خفيف الظل حلو الحديث رقيق الشعر، له فيه أخيلة مجنحة وأفكار مبتكرة، ألمح في جانب منها إلى القص في مثل هجائه لرجل يُكنى (أبا حازم) حين قال :-

سألت في النوم أبي آدمًا      فقلت والقلب به وامق<sup>31</sup>

ابنك بالله أبو حازم؟      صلى عليك الملك الخالق

فقال لي: إن كان مني ومن      نسلي، فحواً أمكم طالق<sup>32</sup>

وله في الشكوى من طول العمر المنتج للوعظ البسيط قوله :-

ألست ترى أن الزمان طواني      وبدل خلقي كلّه وبراني<sup>33</sup>

تحيفني عضواً فعضواً فلم يدع      سوى اسمي صحيحاً وحده ولساني

ولو كانت الأسماء يدخلها البلى      لقد بليّ اسمي لامتداد زماني

ومالي لا أبلى لتسعين حجة      وسع أتت من بعدها سنتان<sup>34</sup>

إذا عنّي شخص تخيل دونه      شبيه ضباب أو شبيه دخان

فيا رغباً في العيش إن كنت عاقلاً      فلا وعظ إلا دون لحظ عيان<sup>35</sup>

تبين أن الغزال نظم في الهجاء اللطيف والشكوى والحكمة، وله شعر في الخمر والغزل

وفي النقد الاجتماعي وقليل من المدح على الرغم من أنه عاصر خمسة ملوك إذ يقول :-

31- نفع الطيب ج 1 ص 442 .

32- تحفظ .

33- المطرب ص 150 .

34- هذا البيت يدل على أنه بلغ تسعاً و تسعين سنة ، الأمر الذي يقبل معه أنه بلغ المائة من عمره .

35- إحدى حكّمه البسيطة .



أدركت بالمصر ملوكاً أربعة وخامساً هذا الذي نحنُ معه  
كان شاعراً أندلسياً مهماً؛ جمعَ شعره القدامى والمحدثون، وكان له شعر جمعة:- (حبيب  
بن أحمد الشطجيري) ذَكَرَ ذلكَ أكثر من مؤلف قديم 36 وقد ضاع الكثير من هذا الشعر، لكن  
الدكتور حكمة الأوسي تصدى لجمع ما تيسر له من شعر الغزال فجمع منه نحواً من ثلاثمائة  
بيت<sup>37</sup> واستدرك عليه (هلال ناجي) فجمع نحواً من خمسين بيتاً<sup>38</sup>، فإذا صحَّ فقدان هذا الكم  
من شعر (يحيى الغزال)، وما سيتبين من فقدان شعر (ابن عبد ربه) وشعرهما جميل ومثير  
بدا سبب فقدان شعر غيرهما ممن سبقوهما أو ممن كانوا أقل شهرة منهما أو كان شعرهم  
أقل جودة من شعرهما.

## ابن عبد ربه

### حياته

### مكانته الشعرية

### ثقافته

هو أحمد بن محمد ابن عبد ربه، يُكنى أبا عمر، من أبرز أدباء عصره، ولد سنة 246 هـ  
ونشأ نشأة علمية، متصلاً بعلماء عصره، وكان أبرز الذين تلمذ عليهم ابن وضاح وبقي بن  
مخلد والخشني.

من أمراء عصره الذين أتصل بهم الأمير محمد بن عبد الله الأوسط و أبنيه المنذر وعبد  
الله و له فيهم وفي غيرهم من القادة والكتاب مدائح شعرية كثيرة .  
توفي بعد أن أُصيب بمرض الفالج سنة 328 هـ .

وجد شعر ابن عبد ربه عناية يستحقها في القديم والحديث إذ رأى (الحميدي) مؤلف  
(جذوة المقتبس) ديوانه في نيف وعشرين جزءاً بعضها بخط الحكم المستنصر<sup>39</sup> الذي كان  
مهتماً بجمع الكتب، وقد ضاع هذا المجموع؛ فيما ضاع من التراث العربي عامة، والتراث  
الأندلسي خاصة، من هنا غني المعاصرون بجمع ديوانه غير مرة منها ما قام به الأستاذ (محمد  
بن تاويت) بعنوان (شعر ابن عبد ربه) ومنها ما قام به الدكتور (محمد رضوان الداية) تحت  
عنوان (ديوان ابن عبد ربه).

36- ينظر جذوة المقتبس 375 ، البغية 501 ، كشف الظنون 804 .

37-تنظر الأبيات في ( فصول في الأدب الأندلسي بين القرنين الثاني و الثالث للهجرة ) ص 172-195 .

38-تنظر الأبيات في ( هوامش تراثية ) ص 101 – 105 .

39- ينظر جذوة المقتبس ص 101 .

تتضح ثقافة (ابن عبد ربه) العالية في أمور أهمها:-  
 شعره الغزير الذي صناع أغلبه، لكن ما بين أيدينا من شعره الرائق المتنوع الموضوعات،  
 ورجزه ما يكفي للدلالة على ثقافته، مثال ذلك ما في أرجوزته التاريخية من الرقة والاقْتباس  
 القرآني الكريم، يقول:-

سبحان من لم تحوه أقطار      ولم تكن تدركه الأبصار<sup>40</sup>

ومن عننت لوجهه الوجوه<sup>41</sup>      فماله نذ ولا شبيهه

سبحانه من خالق قدير      وعالم بخلقه بصير

وأول ليس له ابتداء      وآخر ليس له انتهاء<sup>42</sup>

وسعدنا إحسانه وفضله      وعز أن يكون شيء مثله<sup>43</sup>

وإذا كان الراجز؛ معنياً في هذه الأبيات بالاقْتباس من القرآن الكريم، فإنه يقتبس في  
 غير هذا النص من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأمثال العرب وحكمها، وهي  
 ظاهرة متفشية في شعر الأندلسيين ونثرهم، وهو ما سيتبين في الأبحاث التالية.  
 كتابة العقد الفريد الذي أفردنا له مبحثاً خاصاً سبق ذكره لكن هذا المبحث لا يمنع من  
 الإشارة إلى أنه متعلق بالموروث الشعري العربي فهو يحتذي الشعر القديم في كتاب العقد  
 الفريد الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وذلك حين يقدم أنموذجات من نظمه على  
 الأعاريض والأضرب لكل بحر ويختتم كل قطعة شعرية ببيت من الشعر القديم بشكل يوشك  
 أن يطرد.

وقد كان أول ظهور ابن عبد ربه بصفته أديباً أيام الأمير محمد وقد عاصر ابنه  
 المنذر وعبد الله كانت لشاعرنا في الأمير محمد هذا قصائد مدح حفظت المصادر طرفاً منها،  
 وقد عاش ابن عبد ربه حتى كان من ألمع شعراء فترة الخلافة أيام عبد الرحمن الناصر وبعد

40- (( لا تُدرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللطيفُ الخبيرُ )) (الأنعام:103)

41- (( وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا )) (طه:111)

42- (( هُوَ الأَوَّلُ والأَخرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ )) (الحديد:3)

43- (( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ )) (الشورى: من الآية11)

حياة حافلة بالأدب شعراً ونثراً، توفي سنة 328 هـ، فدفن بقرطبة بعد أن عاش نحو اثنين وثمانين عاماً.

ويبدو أن ابن عبد ربه كان في شبابه محباً للمتعة في شيء من التحرر؛ فكان يشرب ويطرب ويلهو. ومما يدل على ذلك قوله:

وقضيبي يميمس فوق كتيب      طيب المجتنى لذيد العناق  
قد تغنى كما استهل يُغني      ساق حر مغرد فوق ساق

ولما تقدمت السن بابن عبد ربه تاب وأتاب، وأصبح أميل إلى الزهد، ومن شواهد ذلك قوله يصف الدنيا متزهداً:-

ألا إنما الدنيا غصارة أيكة      إذا اخضر منها جانب جف جانب<sup>44</sup>  
هي الدار ما الآمال إلا فجائع      عليها ولا اللذات إلا مصائب  
وكم سخنت بالأمس عين قريرة      وقرت عيون دمعها اليوم ساكب  
فلا تكتحل عينك فيها بعبرة      على ذاهب منها فإنك ذاهب<sup>45</sup>

وأكثر من هذا، فقد نظم ابن عبد ربه في أخريات حياته قصائد عرفت ب(المحسسات) حاول فيها أن يكتب قصيدة زهد في مقابل كل قصيدة غزل نظمها في حياته الالهية كي تمحص الأخيرة الأولى.

وإذا كان ابن عبد ربه متحرراً في شبابه، فقد كان متحرراً في شعره، إذ أن شعر ابن عبد ربه لا يلتزم اتجاهًا واحدًا من الاتجاهات الشعرية؛ المعروفة في زمانه، وإنما هو شعر يسير في أكثر تلك الاتجاهات، ولكن دون أن يفقد الشاعر شخصيته الشعرية أو ملامحها الخاصة، بل تظهر شخصيته الشعرية المتميزة الواضحة المعالم.

مد الله في عمر ابن عبد ربه حيث عاصر اتجاهات شعرية متعددة استثمرها فيما نظمه من شعر، على عادة المبدعين الكبار الذين لا يلتزمون اتجاهًا محددًا يرمون أنفسهم الإبداع في غيره، كان ابن عبد ربه محباً للعلم كثير القراءة عارفاً بأساليب الأدب شعره ونثره يدل على ذلك كتابه (العقد الفريد) الذي تقدم الحديث عنه وشعره الذي نحن بصدده، ذلك الشعر الذي ترنم به في الكثير من الموضوعات الشعرية مغرداً على جملة من أشجار أساليب بستان الشعر الرفيع.

فشعره يتسم بسمه واضحة هي (البساطة)؛ تلك البساطة التي كان جانب منها (سهلاً ممتنعاً) فهي دقيقة الأفكار واضحة المعاني مفهومة المقاصد، وبعضها الآخر فيه شيء من

44- تُحفظ .

45- المطرب لابن دحية ص 100 و في : جذوة المقتبس للحميدي ص 107 و في : بتيمة الدهر للثعالبي ج

الإسفاف وشيء من السطحية، مما جعل شعره على كل حال صالحاً للغناء، فالغناء طالما طلب البساطة واحتاج إلى الوضوح ولم يترفع على السطحية في كثير من الأحيان .  
من هنا يوشك شعر ابن عبد ربه أن يخلو من التعقيد والتركيب والفلسف، كما توشك صورته أن تكون محسوسة، ومثل هذا الشعر يحتاج ألفاظاً قريبة واضحة .  
وعليه يغدو أسلوبه يسيراً، حتى أنك إذا قرأت شطراً من بيت له؛ أو شكت أن تكمل شطره الثاني .

إن بساطة شعر ابن عبد ربه، تتضح في النصوص التي تقدمت، كذلك تبدو في مدحته للأمير عبد الله في بعض انتصاراته على الثائر ابن حفصون حين يقول :-  
هو الفتح منظوما على إثره الفتحُ  
سوى أن صفحاً كان من بعد قدرة  
ومقربةً يشقرُ في النقع كمتها  
تراهن في نضج الدماء كأنما  
تطير بلا ريش إلى كل صيحة  
عليها من الأبطال كل ممارس  
يعدونه الأعداء كرباً عليهم  
وكان أبن حفصون يعد جياده  
نجا مستكناً تحت جنح من الدجى  
دعته منى كانت عليه منية  
هذا هو ابن عبد ربه الشاعر والأديب .

## أصوات شعرية نسائية أندلسية

حسنة التميمية<sup>46</sup>

“هي حسنة بنت أبي الحسين الشاعر، كانت من أهل إلبيرة<sup>47</sup> وقد تأدبت على أبيها الذي كان أيضاً من الشعراء، ولما مات لجأت إلى الحكم أمير الأندلس مادحة . . . فلما وقف الحكم على شعرها استحسنته، وأمر لها بإجراء راتب، وكتب إلى عامله على إلبيرة فجهزها بجهاز حسن، غير أنه لما مات الحكم نالها بعض الضر من عامل بلدها جابر بن لبيد، الذي لم

46 - مع أن شعر الشواعر الأندلسيات ؛ قليل ، و هو مختلط أحياناً بشعر شعراء آخرين ، لكنني أحببت أن يكون هذا الكتاب ؛ متضمناً لشعر الجنسين ، و لأنني أشعر بأن لشعر المرأة خصوصيات ينبغي النظر إليها مجدية و معرفتها ، و إن لم تكن خارجة على المميزات الشعرية للعصر الذي نُنظم فيه دائماً .

47 - يُنظر بعض أخبارها في : نفع الطيب ج 1 ص 488 .

يجرر لها أملاكها، و لم ينفذ ما خطه الحكم لها بيده في هذا الشأن، فجاءت إلى الأمير الجديد عبد الرحمن الأوسط و أنشدته قصيدة منها:

على شحطِ تصلى بنار الهواجر <sup>48</sup>	إلى ذي الندى و المجد سارت ركائبِي
و يمتعني من ذي الظلامَة جابر <sup>50</sup>	ليجبر صدعي إنه خيرُ جابر <sup>49</sup>
كذي ريش أضحى في مخالب كاسرِ	فإني و أيتامي بقبضة كفه
لموت أبي العاصي <sup>51</sup> الذي كان ناصري	جديرٌ لمثلي أن يُقال مروءةً
عليّ زمان باطشٍ بطشَ قادرِ	سقاها الحيا لو كان حياً لما اعتدى
لقد سام بالأملاك إحدى الكبائر <sup>52</sup>	أيحو الذي خطته يمانه جابرٌ

فلما فرغت من قصيدتها رق لها، فعزل الوالي وأقرها على أملاكها، وأمر لها بجائزة فانصرفت<sup>53</sup>

“وحسنة فيما نعلم أول الشواعر الأندلسيات، وأسبقهن إلى قرص الشعر وشعرها كما يبدو مزيج من الرثاء والشكوى وطلب العون، وهو على جانب كبير من النضج الفني، وفيه بعض تلك السمات الأندلسية المميزة”<sup>54</sup>

### حمدة بنت زياد

“حمدة بنت زياد من بني الغيث المؤدّب من أهل وادي آش<sup>55</sup> (وحمدة هذه هي القائلة وقد خرّجت إلى نهر منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها في بعض هوى فسبحن في الماء وتلاعبن :-

أباح الدمع أسراري بوادي	له في الحسن آثارٌ بوادي
فمن نهرٍ يطوف بكل روضٍ	ومن روضٍ يطوف بكل وادي
و من بين الطلاب مهارة أنسٍ	لها لبي و قد سلبت فؤادي

48 - تُحفظ .

49 - هي تمدح عبد الرحمن الأوسط بهذا .

50 - جابر / هنا / الوالي الذي ظلم (حسانة) فحرمها مما منحها إياه الحكم قبل وفاته .

51 - تُريدُ بأبي العاصي ؛ (الحكم) .

52 - نفع الطيب ج 2 ص 438 .

53 - ينظر الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة تأليف الدكتور احمد هيكل ، ص 107 و 108 .

54 - م ، ن ، ص 108 و 109 .

55 - نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي ص 45 .

لها لَحْظٌ تَرَقَّدَهُ لِأَمْرٍ  
وذاك الأمر يمنعني رُقادي  
إذا سدلْتَ ذوائبها عليها  
رأيتَ البدرَ في أفق السوادِ  
كأنَ الصبحَ ماتَ لَهُ شقيقٌ  
فمن حَزَنٍ تسربلَ بالحدادِ<sup>56</sup>

والمعلومات التي تدور حول حياة (حمدة) قليلة منها أن لها أختاً شاعرة تسمى (زينب) وقد اختلف شعرهما ببعضه أو بأشعار غيرهما، بل إن أسم (حمدة) في المصادر المختلفة مُخْتَلَفٌ فِيهِ، فمنهم من يسميها (حمدة)، ومنهم من يسميها (حمدونة)، ولا يذكرون لولادتها أو وفاتها تاريخاً، لكنها عاشت قبل (ولادة)<sup>57</sup> وأرجو أن تكون هاتان المقطوعتان من شعرها المختلف حولهُ والمنسوب إلى سواها، وإنما تصورتُ أن المقطوعة الأولى لها، لأنني لم أجد اختلافاً حولها، أما المقطوعة الثانية فقد نُسبتَ للمنازي، لكن هناك من العلماء؛ من ذكر أنها موجودة في الكتب قبل أن يوجد المنازي، ثم أن في الأبيات، من الرقة والعذوبة وتوظيف الأفكار والألغاز ما يوحي بأنها أبيات رقيقة لأنثى رقيقة:-

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ  
سقاء مضاعف الغيث العميم<sup>58</sup>  
حللنا دوحه فحنا علينا  
حنو المرضعات على الفطيم  
وأرشفنا على ظمياً زلالا  
ألذ من المدامة للنديم  
يصدُّ الشمس أتى واجهتنا  
فيحجبها ويبأذن للنسيم  
يروغُ حصاهُ حالية العذارى  
فتلمسُ جانب العقد النظيم

وفي الأندلس أصوات شعرية نسائية عديدة؛ ذكر منها (الحميدي) في (باب النساء) من كتابه (جذوة المقتبس) ثلاث نساء شاعرات؛ إحداهن تحسن الخط هي:- (صفية بنت عبد الله الربي) وثانيتها معلمة للأدب؛ هي:- (مريم بنت أبي يعقوب الفصولي الشلبي) كما ذكر (السيوطي) في (نزهة الجلساء في أشعار النساء) أربعين شاعرة منهن ثلاث عشرة شاعرة أندلسية<sup>59</sup>، وهناك ملهفات للشعراء، فمنهن من تلهم الشاعر؛ التفزل بها، ومنهن من تلهمه رثاءها، ومنهن من يؤلمه حالها فتلهمه الشعر وقد جاء هذا كله وسواه؛ في تضاعيف الكتاب أما الشاعرات الأندلسيات الملهفات، ففي الأندلس منهن عدد، وإنما تمثلهن في هذا الكتاب (ولادة بنت المستكفي) التي درسناها مع (ابن زيدون)، وهكذا يتبين أن الشعر النسائي في الأندلس وإلهام النساء؛ الشعراء الأندلسيين؛ محتاج إلى دراسات مستقلة متأنية.

56 - نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي، ص 47.

57 - سيأتي ذكر ولادة و شيء من الحديث عنها، فيما سيذكر عن ابن زيدون.

58 - مُحْفَظ.

59- ينظر نزهة الجلساء ص 25، 26، 28، 29، 40، 43، 45، 78، 81، 83، 84، 87، 93.

## عودة إلى أشهر الشعراء في الأندلس

### ابن حمديس الصقلي

نشأت في بلاد المغرب بشمال أفريقيا دولاً عربية أو مستعربة؛ لها حضارة، كان بعض أمراءها وملوكها معنياً بمظاهر الجمال، مفتناً فيها، منشئاً القصور محيطاً إياها بالحدائق الغناء المزينة بالتماثيل والنافورات والبرك؛ من هؤلاء الملوك (المنصور بن أعلى الناس) أمير (بجاية) بالمغرب الأوسط الجزائر حالياً فقد أنشأ بقصره المشاد في (بجاية)؛ بركة جميلة؛ زين حافاتهما بأشجارٍ علق بها قناديل من الذهب والفضة وأسود من المرمر؛ يخرج من أفواهها الماء كما يخرج من أطراف تلك الأشجار؛ فيسمع السامع خريراً وصفيراً؛ كذلك يرى منظراً عجباً يستهوي النفس ويأخذ مجامع القلب؛ وفد عليه (ابن حمديس)<sup>60</sup> يوماً فرأى هذه البركة العجيبة، فتصورها آية فنية، ومعجزة في الصنعة؛ حركت شاعريته فنظم قصيدة رائعة هذه أبيات منها:-

وصراغم <sup>61</sup> سكنت عرين <sup>62</sup> رياسة	وتركت خرير الماء فيه زئيراً <sup>63</sup>
فكأنما غشي النصار <sup>64</sup> جسومها	وأذاب في أفواهها البلورا
أسدٌ كأن سكونها متحركٌ	في النفس لو وجدت هناك منيرا
وتذكرت فتكاتها <sup>65</sup> فكأنما	أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها	ناراً وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلّت سيوف جداولٍ	ذابت بلا نارٍ فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمانه	درعاً فعدن سردها تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها	عيناي بحر عجائب مسجورا
قد سرجت <sup>66</sup> أغصانها فكأنما	قبضت بهن من الضياء طيورا
وكأنما تأبى لوقع <sup>67</sup> طيورها	أن تستقل بنهضها وتطيورا

60- له ديوان هو :- ديوان ابن حمديس الصقلي (ت 527 هـ) تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، سنة 1960 .

61- الصراغم :- جمع صرغام و هو الأسد .

62- العرين :- بيت الأسد و المراد قصر المنصور ابن أعلى الناس .

63- تحفظ ستة أبيات .

64- النصار :- الذهب الخالص .

65- الفتكات :- جمع فتكة ، و فتك به :- انتهز منه فرصة فقتله .

66- سرجت :- وضعت فيها السرج جمع سراج .

67- الوقع :- جمع واقع و واقعة ، و هي الطير الهابطة على أشجارها .

من كل واقعة ترى منقارها  
مَاء كسلسال اللجين<sup>68</sup> نميرا<sup>69</sup>  
خُرسٌ تُعَدُّ من الفصاح فأن شَدَّتْ<sup>70</sup>  
جَعَلت تُغرد بالمياه صفيرا<sup>71</sup>

هذه قصيدةٌ وصفَ (ابن حمديس) بها بركة (المنصور بن أعلى الناس) وما يحيط بها من التماثيل والزروع الحقيقية والمصنوعة، وهو أثناء ذلك يمدح (المنصور) بهذا الصنيع ويصف الطبيعة منعكسة على هذه البركة وما حولها فيوحي بحيوية الجوامد بطريقة مثيرة للإعجاب؛ معبرة عن الإبداع الشعري والفني، فمن هو (ابن حمديس)؟

### ابن حمديس حياته

هو (محمد بن عبد الجبار بن حمد الأزدي الصقلي)؛ ولد بمدينة (سرقوسة) من أعمال جزيرة (صقلية) سنة 447هـ-1055م، عالج الشعر ونبغ فيه خصوصا وصف الطبيعة. حين كان (ابن حمديس) في شبابه، استعاد (الزمنديون) الجزيرة، فحزن الشاعر، وهجرها إلى الأندلس سنة 471هـ-1087م؛ حيث نال فيها الكثير من عطايا الأمراء والملوك من أمثال (المعتمد بن عباد) الذي أكثر (ابن حمديس) من مدحه يوم كان ملكا فلما أسره المرابطون، ونقلوه إلى (أغمات) بالمغرب، حيث قضى بقية حياته، ودُفِنَ فيها بعد موته؛ كان (ابن حمديس) من الشعراء الذين لم يتنكروا لسيدهم وممدوحهم، ولا أنكروا حبهم له على الرغم من الظروف غير المواتية، وعلى قلة أملهم في مال ينفتحهم إياه، فهو أسير، لا يجد ما يُغني أهله من الحاجة، فكان ذلك يُحسب له ولأمثاله من الشعراء المخلصين. مات (ابن حمديس) سنة 527هـ-1132م؛ مُخَلِّفا ديوان شعر كبيراً.

### ابن عبدون

قامت دولة (المرابطين) بـ (المغرب) في الفترة من 484-546هـ، 1091-1144م؛ مدت هذه الدولة نفوذها إلى (الأندلس)؛ استنادا إلى طلب بعض أمراء (الأندلس) مساعدة (المرابطين) لهم ضد (الأسبان)، لكن (المرابطين) انتزعوا الحكم من أيدي ملوك الطوائف ومنهم (عمر بن مظفر) من (بني الأفطس) أصحاب (بطليوس)، وكان شاعرهم (أبو محمد عبد المجيد بن عبدون) الشاعر الأندلسي البارِع في النظم والنثر، الذي مدحهم ووفى لهم بعد

68- اللجين :- الفضة .

69- النمر :- العذب الصافي .

70- شدا :- غنى .

71-للحفظ ستة أبيات .



سقوط دولتهم وحرص على أن يظل عهدهم وارث الظل راسخ الدعائم، لكن الزمان لا يدوم لأهله على حال واحدة، إذ تغلبت دولة (المرابطين) على (بني الأفطس)؛ مما فجع (ابن عبدون)<sup>72</sup> وهيج عاطفته فرشاهم ورثى دولتهم بقصيدة طويلة تعد من أجمل مراثي الممالك والمدن<sup>73</sup>؛ تصبر النفس والأصدقاء؛ اعتباراً بما حدث للأخريين؛ نقتطف منها هذه الأبيات:-

<p>فما البكاء على الأشباح والصور<sup>76</sup>  فما صناعة عينيها سوى السهر  من الليالي وخانتها يد الغيبر<sup>79</sup>  كالأيم ثار إلى الجاني من الزهر  لم تبق منها وسل ذكراك من خبر  وكان عضباً<sup>83</sup> على الأملاك ذا أثر  ولم تدع لبني يونان<sup>85</sup> من أثر</p>	<p>الدهر يفجع<sup>74</sup> بعد العين بالأثر<sup>75</sup>  فلا تَعْرَنُكَ<sup>77</sup> من دنياك نومتها  ما لليالي؟ أقال الله عثرتنا<sup>78</sup>  تسرُّ بالشيء لكن كي تَعْرَبَ به  كم دولة وليت بالنصر خدمتها  هوت ب دارا<sup>80</sup> و فلت<sup>81</sup> غرب<sup>82</sup> قاتله  واسترجعت من بني ساسان<sup>84</sup> ما وهبت</p>
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

72- توفي ابن عبدون سنة 527 هـ 1132 م .

73- لهذه القصيدة في الشعر الأندلسي أشباه و نظائر عديدة نسجت على منوالها , وقد عدَّ مؤرخو الأدب الأندلسي هذه القصائد أحد مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي وفيه نظر، فقد ازداد الاهتمام بنظم مثل هذه القصائد في الأندلس؛ هذا صحيح، لكن لها سوابق في شعر المشرق قد يكون (الأعشى ميمون بن قيس) مبتدئها في قصيدته القافية التي مدح بها (الحلق) وهناك من تابعه على ذلك من المشاركة.

74- يفجع :- يصيب .

75- مَثَلٌ طَوَّرَهُ الشاعِر هو قومهم: ( صار أثراً بعد عين)، أي ذهب الأصل وبقي الأثر، أما الشاعر، فقد أراد ذهاب الأصل والأثر تطويراً للمثل وتعبيراً عن آلام والفجعة.

76- تحفظ ستة أبيات .

77- نغر :- تحدد .

78- أقال الله عثرتنا :- خلصنا من العثرة و أخلصنا منها .

79- الغير :- أحداث الدهر و نواتبه .

80- دارا :- هو دارا الثالث ملك الفرس الذي قتله الاسكندر المقدوني سنة 330 ق.م .

81- فلّ :- كسر .

82- الغرب :- الحدّ .

83- العضب :- السيف القاطع .

84- بنو ساسان :- ملوك الفرس قبل الإسلام .

85- بنو يونان :- ملوك اليونان .

وَأَوْتَقَّتْ فِي عُرَاهَا كُلِّ مَعْتَمِدٍ<sup>86</sup>  
وَرَوَّعَتْ كُلِّ مَأْمُونٍ وَمَوْثَمِنٍ  
وَأَعَثَّرَتْ آلَ عَبَادٍ لَعَا لَهُمْ  
بني المظفر<sup>87</sup> و الأيام ما برحت  
سحقاً ليومكم يوماً ولا حملت  
مَنْ لِلْأَسْرَةِ أَوْ مَنْ لِلْأَعْنَةِ<sup>89</sup> أَوْ  
مَنْ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ مَنْ لِلْبِرَاعَةِ<sup>92</sup> أَوْ  
كَانُوا رِوَاسِي<sup>93</sup> أَرْضِ اللَّهِ مِنْذُ نَاوَا  
على الفضائل إلا الصبر بعدهم

وَأَشْرَقَتْ بِقَدَاهَا كُلِّ مَقْتَدِرٍ  
وَأَسْلَمَتْ كُلِّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرٍ  
بِذَيْلِ زَبَاءٍ لَمْ تَنْفِرِ مِنَ الذَّعْرِ  
مراحلاً و الورى<sup>88</sup> منها على سفر  
بمثله ليلة في مُقْبِلِ الْعَمْرِ  
مَنْ لِلْأَسْنَةِ<sup>90</sup> يَهْدِيهَا إِلَى الثُّغْرِ<sup>91</sup>  
مَنْ لِلسَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَ الضَّرْرِ  
عنها استطارت بمن فيها و لم تقير  
سلاماً مرتقبٍ للأجر منتظر<sup>94</sup>

### المعتمد بن عباد (الأمير الأسير)

رأى (المعتمد بن عباد) بناته يوم عيد، وقد حالت حالهن، وذوت نظارتهن، وكُنَّ قد اضطربن للفرل، لتحصيل قوتهن، وقيل غزلن لصاحب شرطة كان في خدمة أبيهن فقال يصف أسره وحالهن :-

في ما مضى كنت بالأعياد مسرورا  
تري بناتك في الأطمار<sup>97</sup> جائعةً  
فساءك العبدُ في أعْمامت<sup>95</sup> مأسورا<sup>96</sup>  
يغزلن للناس ما يملكن قَطْمِيرا<sup>98</sup>

86- بدأ بذكر دول الأندلس الساقطة أو ذكر ملوكها الذهبين .

87- بنو المظفر :- ملوك بني الأفطس على مدينة بطليوس القريبة من غرناطة ، و هم بعض ملوك الطوائف .

88- الورى :- الخلق .

89- الأعنة :- مفردا عنان وهو اللجام .

90- الأسنة :- جمع سنان و هو سنان الرمح .

91- الثُّغْر :- جمع الثغرة و هو ما بين الترقوتين من النحر .

92- البراعة :- القلم .

93- الرواسي :- الجبال الثابتة .

94- تنظر القصيدة / بضمنها الأبيات المختارة \ في الذخيرة، م 2 ص 425 - 427.

95- أعْمامت :- مدينة مغربية تقع على بعد ثلاثة فراسخ من مراكش حمل ( يوسف بن تاشفين ) / أمير المرابطين / أسيره ( المعتمد بن عباد ) إليها فسجنه فيها حتى مات سنة 489 هـ حيث دُفن فيها و كان ذلك بعد أن أسقط المرابطون ملك بني عباد .

96- هذه الأبيات للمحفظ .

97- الأطمار :- جمع طمر ، و هو الثوب الخلق القديم .

برزَنَ نحوكَ للتسليم خاشعاً  
 يطآنٌ<sup>99</sup> في الطينِ والأقدام حافيةً  
 لا خذٌ إلا تشكى الجذبَ ظاهره  
 أفطرتُ في العيد لا عادت مساءته  
 قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً  
 من بات بعدك في ملكٍ يسرُّ به  
 أبصارهن حسيراتٍ مكاسيرا  
 كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا<sup>100</sup>  
 وليس إلا مع الأنفاس ممطورا  
 فكان فطرك للأكباد تفتيريا  
 فردك الدهر منهيأ و مأمورا  
 فإنما بات بالأحلام مغرورا<sup>101</sup>

### حياة الشاعر

هو أبو القاسم محمد بن عباد المعروف بالمعتمد من أمراء (أشبيلية) في عهد ملوك الطوائف؛ ولد سنة 431هـ، تنتمي أسرته إلى قبيلة (لخم) العربية؛ نشأ ببيت إمارة في رعاية أبيه (المعتضد) الذي كان شاعراً و له ديوان منشور<sup>102</sup> بدأ حياته السياسية عاملاً لأبيه على مدينة (ولبة) بإمارة (أشبيلية) ثم قاد جيش (بني عباد) في بعض معاركه؛ تولى الملك على إمارة (أشبيلية) سنة 461هـ، وفي السنة نفسها اتسعت دولة (بني عباد) فاستولت على ملك (بني جهور) في (قرطبة)، ثم امتدت المملكة حتى شملت (مرسية) في الشرق.

كان (المعتمد) إلى جانب كونه سياسياً محنكاً وقائداً عسكرياً مجرباً شاعراً جيش العاطفة<sup>103</sup>؛ شديد الاهتمام بالشعر والشعراء؛ جمع بلاطه الكثير من الشعراء الذين كان من أشهرهم: (ابن اللبانة) و (ابن حمديس) و (ابن زيدون) و (ابن عمار).

كان الانقسام والتشتت والتناحر بين ملوك الطوائف واضحاً ظاهراً؛ أدى إلى ضعف الدويلات العربية الإسلامية ب (الأندلس)، فلم تستطع أن تثبت لهجمات (ألفونسو) السادس؛ ملك (الأسبان) الذين وحدوا قواهم ووجهوها لغزو المسلمين، وهكذا أصبح (ألفونسو) السادس، بعد استيلائه على (طليطلة) سنة 478هـ في مركز يمكنه من استغلال تشتت ملوك

98- القطمير :- القليل من القماش .

99- يطآن :- يمشين .

100- المسك والكافور :- نوعان غاليليان من أنواع العطر الذي يصور (المعتمد) أن بناته كنَّ يمشين فيه ، في حين

كان الكثير من أبناء شعبه يتضورون جوعاً ، فأية مفارقة هذه ؟!

101- الذخيرة م 2 ص 41 .

102- ينظر ديوان المعتضد بن عباد ( ت 461 هـ ) تحقيق د. رضا السويسي ، مجلة كلية التربية طرابلس 1974 ، و

تحقيق د. محمد مجيد السعيد ، مجلة المورد 5 / 2 / 1976 .

103- له ديوان شعر هو :- ديوان المعتمد بن عباد ( ت 488 هـ ) تحقيق د . أحمد بدوي و د . حامد عبد المجيد ،

القاهرة ، 1951 .

الطوائف ووهنهم، وإعانة بعضهم على بعض، فعظم خطره واشتد جزعهم من بأسه، وشاع الخضوع بينهم لإرادته، فأصبح يسلط الجزية على ملوك الطوائف، وأرسل إلى (المعتمد بن عباد) يطلب زيادة الجزية ويشترط في مطالبه؛ الأمر الذي أغضب (المعتمد)، ودفعه إلى قتل رسول ملك (الإفرنج) فعزم (ألفونسو) على غزو (أشبيلية)، لإذلال (المعتمد) واقتحام قصره، فرأى (المعتمد) أن يستنجد بـ(يوسف بن تاشفين) سلطان المرابطين في المغرب فأجاب (ابن تاشفين) طلب (المعتمد)، وعبر البحر بجيوشه، وتحقق للمسلمين انتصارٌ كبير في معركة (الزلاقة).

غير أن ملك (المرابطين)؛ عزم بعد ذلك على خلع ملوك الطوائف؛ مزيلاً ممالكهم، ومباشرة حكم (الأندلس) من قبله؛ متعللاً بتشتت ملوك الطوائف ولهوهم ومجونهم واستهتارهم بالقيم الإسلامية، فحاصر فيما حاصر (أشبيلية)، وتنكر للمعتمد بعض رجال دولته، ومالوا مع عدوه، فاستولى (ابن تاشفين) على (أشبيلية) في رجب سنة 484هـ، (ونزل المعتمد من القصر بالقصر إلى قبضة الأسر... ثم جُمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم جوانحها كأنهم أموات بعدما ضاق منهم القصر وراق منهم العصر، والناس قد حشروا بضفتي الوادي وبكوا بدموع كالغواصي فساروا والنوح يحدهم والبوح باللوعة لا يعدهم).

وهكذا سارت السفن بـ(المعتمد) وآله وأتباعه إلى سواحل (المغرب)، ليعيش الملك الطريد؛ السجن والأسر؛ بمدينة (أغمات) على بعد ثلاثة فراسخ من مدينة (مراكش)، وظل الملك الشاعر في أسره أربع سنوات حتى وافته المنية سنة 488هـ، وهكذا يتبين أن (المعتمد بن عباد) كان نصيبه نقيضاً لنصيب (عبد الرحمن الداخل) وهكذا هي الدنيا.

104  
السميسر

### شاعر مهمش قلق

كثيرون هم الشعراء المهمشون سواء كانوا عرباً أم غير عرب والسميسر أحد شعراء الأندلس واحد من هؤلاء المهمشين، قل من اهتم به من القدماء، وأهم من اهتم به منهم (ابن بسام) في كتابه المهم (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة)، أما في الوقت الحاضر فقل من اهتم به، فلم تذكره الموسوعة الشعرية في إصدارها الثالث ولم يُعَنَ به من مؤرخي الأدب العربي أحد إلا بعض من اشتغل بالشأن الأدبي الأندلسي فقد عدّه الدكتور (شوقي

104 - مطوّر عن البحث المعنون: - (قراءة في شعر المهمشين؛ أبو الفرج الألبيري السمسير نموذجاً) والمنشور في مجلة

المورد المجلد 38، العدد 2 لسنة 2011 م ص73.

ضيف) من شعراء (القدح والهجاء) <sup>105</sup> تبعاً لـ (ابن بسام) في حين يعده الدكتور (سعد إسماعيل شلبي) من شعراء (الزهد) حين قال عنه:- “ولدينا شاعر الزهد (أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري) (السميسر الذي عرف بالفكاهة والتهمك والهجاء، ولم يكن بينه وبين ملوك عصره مودة ولا محبة ولا تصالح، بل قامت علاقته معهم على أساس التباض حتى هجاهم جملة ونازل شعراء عصره ساخرًا متهمًا”<sup>106</sup>.

وقال:- “(والسميسر) يتولى بنفسه محاسبة ملوك عصره على انحرافاتهم على حين يهمل نفسه فلا يحاسبها كما يصنع غيره”<sup>107</sup> وهنا يستغرب الناظر في قولي الكاتب الفاضل، فكيف يكون من شعراء الزهد؛ يحاسب الملوك وينازل الشعراء ثم لا يحاسب نفسه؟! أما الدكتور (علي محمد سلامة)، فيعده من شعراء (الجهاد)، إذ يدرجه في فصله المكرس لـ (شعر الجهاد) فيقول عنه:- “ويفجع (السميسر) الشاعر ما آل إليه ملوك الطوائف من مذله ومهانه حينما استمروا في دفع الجزية للمسيحيين صاغرين وظلوا يهادنونهم ليبقى لهم أمر البلاد التي اقتطعوها من أرض الأندلس الممزقة، وكأنهم لا يهتمون إلا بالبقاء في الحكم، ولو كان هذا على أشلاء الدين والوطن، إن الشاعر يسخر من أخلاقهم الدنيئة ومسالمتهم المهينة في قوله:-

ناد الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتم”<sup>108</sup>.... إلخ.

وتراه الدكتور (مهجة أمين الباشا) شاعرا ناقدا، حين تقول:- “أما السمسير الشاعر الناقد فهو يهجو أمير غرناطة عبد الله بن بلقين، فيرميه بالسفه وبسوء التدبير لتحالفه مع النصارى ضد المرابطين، وللتحصينات التي أقامها خوفا من قدومهم، ويرى أن تدابيره هذه لن تقف في وجه جيش المرابطين”<sup>109</sup>، كما تقول:- “وقد وجه السمسير اتهاماته إلى ملوك الطوائف جميعا فرأى فيهم خونة الوطن، وريح الفتنة العاتية التي تززع كيانه، إنه يشمت لمصيرهم الذي آلوا إليه، وللذل الذي رسفوا فيه”<sup>110</sup>، وتضيف:- “وإلى جانب هذا الموقف

---

105- ينظر تأريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات في الأندلس ص 233-234 الدكتور شوقي ضيف (دار المعارف).

106- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف ص413 الدكتور سعد إسماعيل شلبي دار نضضة مصر للطبع والنشر.

107- - البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف 414.

108- الأدب العربي في الأندلس، تطوره - موضوعاته و أشهر أعلامه ص137 (الدكتور علي محمد سلامة) الدار العربية للموسوعات ط1 1989 .

109- رثاء المدن والممالك في الشعر الأندلسي الدكتور مهجة أمين الباشا ص 115.

110- م، ن، ص116.

السلبى المعادي من ملوك الطوائف، الذي يوجه إليهم الإتهام من دون مداراة، ويصممهم بالخيانة من دون موارد، وبشمت بهم ويرى أن مصيرهم القاتم الذي وصلوا إليه أقل عقاب يجب أن ينزل بهم<sup>111</sup> فالنقد فيما تقدم ينصرف عند الدكتوراة إلى ذم الحكام والشماتة بهم، لا إلى شيء آخر، وسيتضح أن له إلى جانب هذا النوع من النقد؛ نقدا اجتماعيا، بل نقدا لذاته، وقد خصه الدكتور (حافظ المغربي) بكتاب عنوانه: -شعر السميصر الأندلسي (صوت المعارضة) (الرؤية والأداة)<sup>112</sup>، فهو يراه (صوت المعارضة).

وهكذا يختلفون في شأنه على قلتهم؛ من هنا رأيت أن أدير حوله قلماً؛ كاشفاً عن شأنه بوصفه شاعراً إنساناً مثقفاً مغترباً لأنه مهمش مضطهد؛ مهمش مضطهد أمثاله في زمانه وفي الأزمنة الأخرى مما دفعه إلى أن يكون ما هو عليه، فيقول ما قال .

لقد عرفه صاحب الذخيرة من القديما حين قال :- هو "أبو القاسم خلف ابن فرج الإلبيري المعروف بالسميصر"<sup>113</sup>، وقد وضع محقق الكتاب ذلك بقوله :- "شاعر هجاء من قرطبة أصلا وألبيرة إقامة . أدرك الدولة العامرية وانقراضها . وكانت بينه وبين ابن الحداد مهاجاة، توفي سنة 480 هـ"<sup>114</sup> ويبدو أنه دخل المرية فأنكرها وهجاها في غير مقطوعة<sup>115</sup> .

قدم له (ابن بسام) بكلمة :- "الأديب"<sup>116</sup>، وقال عنه :- "وكان باقعة عصره وأعجوبة دهره . وهو صاحب مزدوج كأنه حذا فيه حذو منصور الفقيه"<sup>117</sup>، وله طبع حسن، وتصرف مستحسن في مقطوعات الأبيات، وخاصة إذا هجا وقدح<sup>118</sup>، وهكذا عرف (ابن بسام) فضل شعر (السميصر) ثم بدء بذكر عيوبه حين قال :- "وأما إذا طول ومدح، فقلما رأيتة افلح وانجح"<sup>119</sup>، ويواصل سرد عيوبه فيقول :-

---

111 - رثاء المدن والممالك في الشعر الأندلسي الدكتوراة مهجة أمين الباشا ص 116 .

112- ينظر شعر السميصر الأندلسي (صوت المعارضة) الرؤية والأداة، الدكتور حافظ المغربي، دار المتناهل، بيروت، 2006 م.

113 -الذخيرة م 1 ص 551 .

114 - م. ن. م 1 هـ 1 ص 551 .

115 - م. ن. م 1 ص 553 .

116 - م. ن. م 1 ص 551 .

117 -ينظر للتعرف عليه ( وفيات الأعيان 289/5 ، و معجم الأدباء 528 /5 .

118 - الذخيرة م 1 ص 552 .

119 - م، ن، م 1 ص 552 .

“وله مذهب استفرغ فيه مجهود شعره، من القدح في أهل عصره، صنّت الكتاب عن ذكره، ألا تسمع إلى قوله :

وأستاهكم هانت عليكم فهنتم  
تخفونها بالخلق طراً لعنتم  
والسميسر في هذا كما قال القائل :-

عابني من معاييب هي فيه  
خالد فاشتفى بها من هجائي<sup>120</sup>  
وهو بيت أعاد (ابن بسام) ذكره مغيراً لفضة (خالد) ب (حكم)<sup>121</sup>، فبهذا يعلل (ابن بسام) فحش السميسر في هجائه، والذي يبدو أن هذا الفحش كان سائداً في الهجاء متعارفاً بينه وبين (ابن الحداد) الذي قال :-

“يا أهل غر ناطة نيكوا سميسركم  
ففي رُميلتنا عنه لنا شغل”<sup>122</sup>  
والذي يبدو للباحث أن هذا الفحش الذي يشيع في شعر السميسر لم يكن ناشئاً عن عيوبه النفسية حسب، تلك العيوب التي يقر بها في مثل قوله :-

“حسي صحيح ولكن  
هوأي يوهن حسي<sup>123</sup>  
فصح رأيي لغيري  
ولم يصح لنفسي”<sup>124</sup>  
فهو بهذا يقوّم حسّه كما يقوّم نفسه، فلا يعطي نفسه أكثر مما تستحق، الأمر الذي يوحى بوعيه، هذا الوعي الذي سيتبدى فيما بعد أنه يبين حبه للشعر ولا يستثني نفسه مما يصف به الشعراء من عيوبه حين يقول :-

“أنا أحب الشعر لكتني  
أبغض أهل الشعر بالفطره  
فلمست تلقى رجلاً شاعراً  
إلا وفيه خلة تُكره  
إن لم يكن كفر تكف آفة  
تلازم الظهر أو السرّة  
والعجب والتوك إلى الجهل في  
أكثرهم إلا مع النذرة”<sup>125</sup>

فهو هنا يذكر عيوب أهل الشعر ولا يذكر محاسنهم، لغلبة هذه العيوب على أغلب أهل الشعر في نظره ثم أن وعيه ودقته تبدوان في البيت الثاني من الأبيات السابقة فهو لا يقول بان هذه الخلال المعيبة تجتمع في شاعر واحد، لكنه يقرر أن في الرجل الشاعر من هذه

120 - الذخيرة، م 1 ص 552 .

121 - م، ن، م، 1، ص 559 .

122 - م. ن. م 1 ص 556 .

123 - يحفظ البيتان.

124 - الذخيرة، م 1 ص 552 .

125 - م، ن، م 1 ص 558 .

الخلال المكروهة خلة واحدة، ولا يقرر أن فيه أكثر من خلة مكروهة واحدة، مع أنه قد تجتمع في الشاعر ناهيك عن غيره خلتان فأكثر من الخلال المكروهة التي ذكرها ثم أنه يستثني في البيت الرابع ندرَةً من الشعراء خالية من هذه الخلال التي حشدها لأهل الشعر، وعليه فقلما يلقي الكلام على عواهنه، بل يتقمص دور العالم الموضوعي المدقق؛ مع أنه شاعر؛ غير مُطالب إلا بالصدق الفني.

إذن لم يشع الفحش في شعر (السميسر) لمجرد عيوبه النفسية التي يقر بها، لكنه شاع نتيجة لعيوب مجتمعه واغترابه في هذا المجتمع المعيب، فقد حار في مسألة الغنى والفقير فقال:-

“المال ذُلٌّ، وذُلٌّ  
ألا يُرى لك مال<sup>126</sup>  
فاحرص كأنك باقٍ  
فما لذي الفقر حال  
واقنع فإنك فانٍ  
غداً وكلُّ محال<sup>127</sup>“  
وقال :-

“دَعْ عنكَ جاهاً ومالاً  
لا عيشَ إلا الكفافُ  
قُوَّتْ خِلالٌ و أَمْنٌ  
مِنَ الرَّدَى و عَفَافٍ  
وكل ما هو فَضْلٌ  
فإنَّه إسراف<sup>128</sup>“

أفي هذا شيء من الفحش؟!

أن هذا نحو من الحكمة والزهد اللذين أشاعهما اضطراب الأحوال وغلبة الفقر على الناس لتغلب الظلم عليهم و تقبلهم بين ظالمين من المتغلبين أياً كان هؤلاء المتغلبون، من هنا ترى رفته حين يتحدث عن الولد قائلاً:-

“يمنعني من تكسبِ الولدِ  
علمي بأنَّ البنينَ من كبيدي<sup>129</sup>  
فان يعيشوا اعش على ظلعي  
وان يموتوا أمتٌ من الكمدِ

وإن أمتٌ قبلهم تركتهمُ  
أهونَ بينَ الأنامِ من وُتد<sup>130</sup>“

126 - تحفظ.

127 - الذخيرة م 1 ص 557 .

128 - م، ن، م 1 ص 557 .

129 - تحفظ.

130 - الذخيرة م 1 ص 560 .



فلو توقف الاضطراب وشاع العدل ما خاف على ولده الهوان إذا افتقر حياً أو إذا ما تركهم بعد موته، وهو أُلُف تسويغ لخطأ لا يسوغ، هذا الخطأ هو ما شاع من شعره في الغلمان :-

“أيتها العائِبُ العِذا      رَ وَذُو الجِهلِ عائِبُهُ  
لا أَجِبُ العِذازَ إِلا      إِذا شابَ صاحِبُهُ  
فاطْرُحْ قَوْلَ من يَقو      ل كما طرَّ شارِبُهُ”<sup>131</sup>  
أو ما شاع عنه من مقاربة الغلمان ، فقد قال شاعرهم :-  
“إِن كنتَ تهوى مليحاً      فلا تَقُلْ بِمُعَدَّرْ  
واهو الصغارَ ففيهمْ      على الحقيقَةِ تُعَدَّرْ  
دَع الكِبارَ لِقومِ      دانوا بدينِ السِّميسِرِ”<sup>132</sup>

ولو إنه قارب النساء، ما أَمِنَ أَنْ يرزقه الله سبحانه وتعالى بالولد، ويبدو أن هذا الشعور مما خامر أهل (قرطبة)، فكانوا يعتزلون النساء، خوفاً من الفقر؛ يُقال هذا استناداً إلى قول (ابن حيان :- “وجلس علي<sup>133</sup> بنفسه لمظالم الناس، وهو مفتوح الباب، مرفوع الحجاب، للوارد والصادر، يُقيِّمُ الحدودَ مُباشراً بنفسه، لا يُحاشي أحداً من أكابر قومه .  
فانتشر أهل قرطبة في الأرض ذات الطول والعرض، وسَلَكَتِ السُّبُلَ ورخا السعر، وأرَقُّوا الأغذية وشاموا النساء<sup>134</sup> وطلبوا النسل، وكان أكثرهم يقول بالعزلة<sup>135</sup>،  
إِن مشكلة (السميسر) فيما يبدو منحصرة في موقفه من الناس عامة، ومن الحكام خاصة :-

1 . هجوه الناس :-

لقد خاب ظن السميسر بالناس عامة وبمجتمعات المدن خاصة و بالأفراد على الأخص ،فقال في بني آدم :-

“رَأيتُ بني آدمٍ ليس في      جَموعِهِمُ مِنه إِلا الصُّورُ  
فلَمَّا رأيتُ جَميعَ الأنامِ      كذلك صِرتُ كطيرِ حذرِ  
فمهما بدا منهم واحدٌ      أَقلُّ قُلِّ أَعوذُ بِرَبِّ البِشرِ”<sup>136</sup>

131 - م. ن. م 1 ص 562 .

132 - م، ن، م 1 ص 564 .

133- يُريد (علي بن حمّود) أول خلفاء الدولة الحمودية بالأندلس.

134 - شاموا النساء :- تطلّعوا إليهن.

135- الذخيرة، م 1، ص 60.

136 - م، ن، م 1 ص 560 .

وقال كذلك :-

“تحقظْ مِنْ ثِيَابِكَ ثَمَّ صُنْهَا  
وَمَيِّزْ عَنْ زَمَانِكَ كُلِّ حِينٍ  
وِظَنْ بِسَائِرِ الْأَجْنَاسِ خَيْرًا  
أَرَادُونِي بِجَمْعِهِمْ فَرِدُوا  
وَعَادُوا بَعْدَ ذَا إِخْوَانِ صَدَقِ  
وِإِلَّا سَوْفَ تَلْبِسُهَا حِدَادًا  
وَنَافِرَ أَهْلِهِ تَسِدِ الْعِبَادَا  
وَأَمَّا جِنْسَ آدَمَ فَالْبِعَادَا  
عَلَى الْأَعْقَابِ قَدْ نَكَصُوا فَرَادَى  
كَبَعْضِ عَقَارِبِ عَادَتِ جَرَادًا”<sup>137</sup>

فهو يرى أن بني آدم هاجموا أَرَادُونِي بجمعهم فردهم فنكصوا ليعودوا إخوان صدق . ذلك انهم كانوا عقارب، لكن هذه العقارب؛ صارت جراداً لأنه رأى نفسه أقوى منهم، بدون أن يبين مواطن قوته التي تغلبت عليهم في مواطن ضعفهم، وهو يخالف ما تقدم في قوله :-

“أقارب السوء داء سوء  
فاحمل أذاهم تعش حميدا  
فمن تكن قرحة بفيه  
يصبر على مصه الصديدا”<sup>138</sup>

ولعله يخالف ما ذكره في الأبيات السابقة لأنه يرى نفسه أقوى من سواه، فهو قادر على رد الناس أجمعين، إخوان صدق، في حين أن غيره عاجز عن ذلك، لذا فعليه أن يحتتمل أقارب السوء، ناهيك عن الأبعاد، أما أفراد الناس فيمثلهم (ابن الحداد) الذي تقدم بعض هجائه في (السميسر) والذي مدح بعض حكام الأندلس من (بني صمادج) و (بني هود) <sup>13</sup>، هؤلاء الحكام الذين لم يمدحهم (السميسر) بل هجاهم كما سيأتي فهجاؤه لـ (ابن الحداد) المنافق في مدحهم هجاء غير مباشر لهم .

من هنا قال (السميسر) في (ابن الحداد) يهجوه :-

“قالوا ابن حداد فتى شاعر  
قلت وما شعر ابن حداد ؟  
أشعاره مثل فراخ الزنى  
فتش تجد اخبث أولاد”<sup>140</sup>

ولا ضرورة للتعليق على هذين البيتين بأكثر من أن (السميسر) يصب على (ابن الحداد) نغمته، لأنه جمع جملة من الخلال المكروهة، فهو من الناس وقد تقدم موقفه منهم، وهو شاعر، وما من شاعر إلا وفيه خلعة مكروهة عند (السميسر)؛ زد على ذلك أن أشعار (ابن الحداد) مثل فراخ الزنى، وفراخ الزنى لقطاء لا يعرف آباؤهم، فلا يعرف ممن لقط معانيه، ولأن آباء أولاد الزنى غير معروفين، فالغالب أن تسوء تربيتهم فيظهر خبثهم، وهكذا خبث

137 - م، ن، م 1 ص 560 .

138 - الذخيرة، م 1 ص 553 .

139 - ينظر الذخيرة، م 1 من ص 442 إلى ص 455 .

140 - م. ن. م 1 ص 559 .

شعر (ابن الحداد)، ثم أن (ابن الحداد) من (المرية)<sup>141</sup> وقد صب (السميسر) على (المرية) جام غضبه حين قال عنها:-

“بئس دار المرية اليوم دارا  
بلدة لا تمار إلا بريح  
وقال فيها كذلك:-  
ليس فيها لسكن ما يجب  
ربما قد تهب أو لا تهب”<sup>142</sup>

“قالوا المرية فيها  
نظافة قلت إليه  
كأنها طست تبرٍ  
ويبصق الدم فيه”<sup>143</sup>  
أفهدا موقفه من (المرية) بصفتها مدينة خالية من السكان أم أنه موقفه من سكان (المرية) وحكامها؟!

إن (السميسر) لا يتحدث عن المدينة خالية من السكان، بل يهاجم سكانها، وتقدم هجاؤه لأهل (القيروان)، فإذا لم يذكر سكانها أو أهلها فإنما هو مجاز خذف، يفهم من السياق .

لم يهجُ (السميسر) (المرية) و (القيروان) حسب، لكنه هجا كذلك (غر ناطة) إذ قال:-

“قالوا أتسكن بلدةً  
فأجبتهم بتأؤه  
غرناطة مثوى الجني  
ن يلذ ظلمته الجنين”<sup>144</sup>  
نفس العزيز بها تهون؟  
كيف الخلاص بما يكون!

فغر ناطة عنده (مثنوى الجنين)، وهو رحم الأم، ورحم الأم مظلم، فالجنين يلتذ بهذا الظلام، وعلى هذا يرضى (السميسر) العيش بـ (غرناطة) الظلماء في نظره على ظلمتها، لأنه يعد نفسه جينياً من أجننتها، وهو عزيز من أعزتها الذين تهون نفوسهم فيها، ترى أتهين (غرناطة) أعزتها أم يهينهم أهلوها وحكامها؟!

وهكذا نرى شاعراً يهجو مدن الأندلس أو دولها؛ تماماً كما أن شعراء استنجدوا للدفاع عن بعض مدن الأندلس ودولها أو رثوها بعد سقوطها كما تقدم من شعر ابن عبدون هذا موقفه من الناس أفراداً وجماعات، بل جنساً، أباعد وأقارب، عواماً فما موقفه من الحكام؟  
2. هجاؤه للحكام :-

من الواضح أن (السميسر)؛ لم يكن متمرداً على عوام أهل المدن حسب، بل كان متمرداً على حكامها كذلك، يذمهم ويهجوهم بل يثير عليهم في مثل قوله:-

141 - م، ن، 1، ص 559 .

142 - م، ن، 1، ص 553 .

143 - الذخيرة، م 1 ص 553 .

144 - م.ن، 1، ص 555 .

ناد الملوك وقل لهم  
أسلمتم الإسلام في  
أسر العدا و قعدتم  
إذ بالنصارى قمتم

لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققتم<sup>145</sup>

فهو ياتهم الحكام بأنهم جعلوا (الإسلام) في أسر العدا، والذي يفهمه الباحث من كلمة (الإسلام) :- الدين، ومن دانوا بهذا الدين من المسلمين، إضافة إلى الأراضي التي سكنوها وما ضمتها من مدن وقلاع وحصون وضياع ومزارع وغير ذلك مما أسلمه حكام المسلمين في (الأندلس) لأعدائهم من الحكام اللاتين، لذلك أوجب القيام الثورة عليهم لأنهم قاموا حكموا متوسلين بمساعدة أعداء المسلمين آنذاك في الأندلس، وإذا ما ثار الشعب عليهم، فليس لهم أن ينكروا ثورته ويتهموه بشق العصا عصا المسلمين لأن الحكام سبقوهم إلى شق عصا النبي (صلى الله عليه وسلم) بمساعدتهم أعداءه والاستناد إليهم في حكم المسلمين وفرض الطاعة عليهم ومعلوم أن أمراء الطوائف كانوا يستعينون على بعضهم بمحالفه اللاتين ودفعت الجزية لهم وما إلى ذلك، فإذا ما قامت ثورة في إحدى ممالك الطوائف فقد يستعين الأمير على إخمادها بثلة من جيش الأعداء؛ يتغلبون على شعبه ويأخذون ثمناً لذلك ما لذ لهم مدناً أراضياً ناهيك عن الأموال والهدايا وغير ذلك، لذلك يسخر (السميسر) من

“عبد الله الأمير بغرناطة وقد رآه يحصن على نفسه :-

يبني على نفسه سفاهاً كأنه دودة الحرير<sup>146</sup>

لأن دودة الحرير دودة القز تلتف على نفسها شرنقة من خيوط الحرير، فهي أما أن تشق شرنقتها مخربة إياها، وأما أن تموت داخلها وليس لهذا الأمير إلا أن يخرب حصنه أو أن يموت فيه، فتصور.

و (السميسر) يخاطب الحكام منبهاً إياهم إلى سوء أفعالهم وإلى ما قد يقع لهم من سوء العاقبة إذا أصرروا على ما هم فيه إذ يقول :-

“رجوناكم فما أنصفتونا وأملناكم فخذلتونا

سنصبر والزمان له انقلاب وانتم بالإشارة تفهمونا<sup>147</sup>

فهو يهددهم بالانقلاب عليهم لأن الناس رجوا الحكام فما انصف الحكام الناس الذين أملوا فيهم خيراً، فخذلوهم ولم يحققوا لهم شيئاً من هذا الخير وتمادوا في الظلم لأنهم لم

145 - الذخيرة، م1، ص 553 .

146 - م، ن، م1 ص554 .

147 - الذخيرة، م1 ص 553 .

يتوقعوا خروج الناس عليهم و إنما لم يخرج الناس عليهم لصبرهم ، فماذا بعد الصبر غير الانقلاب؟!

وهم يفهمون بالإشارة كناية عن ذكاءهم، فاختلفافهم مع الناس؛ اختلاف مصالح، وليس سوء فهم من أحدهما للآخر، ففيم لم يفهموا ما حدث لـ (بني عامر)؟! الذين قال (السميسر) عنهم:-

“أصاب الزمان بني عامر	وكان الزمان بهم يفخرُ
فعاد نهارهم مظلماً	وليلهم بعد لا يُقمرُ
وأيامهم بعد لا تزدهي	وصبحهم ظلّ لا يسفرُ
أماتهم الدهر قبل المنون	فهم ميئون ولم يُقبروا
كأنهم أربَع دارساتٌ	فما لهم غير أن يُذكروا
فأين السرير و أين السرور	وأين القصور التي عمّروا؟
فلا تعجبن بما قد ترى	فلا خيرَ في كل ما تبصرُ
وهون عليك كثير الحياة	فسكنك في قبرك الأكثر <sup>148</sup>

وبنو (عامر) قمعوا الخليفة (هشام) المؤيد وأنصاره، كذلك صارعوا الأمويين الطامعين من أقاربه وأنصاره، والمظلومين من أبناء الشعب الذين ثاروا لهذا السبب أو ذلك في هذا الوقت أو غيره، كذلك الذين حفزوا أو تحفزوا للثورة فكرياً أو فعلاً وهو ما لا يسهل بسطه هنا وكذلك حاربوا الأعداء المتربصين في الخارج، ومع ذلك فقد سقطت دولتهم أو الدولة الأموية التي تمكنوا منها، ومن بقي منهم حاكماً، فهو أقرب إلى السقوط منه إلى البقاء، وهم أقوى من أية دولة من دول الطوائف، فإذا كان هذا هو حالهم، فما حال ملوك الطوائف؟!

لقد أجاب التأريخ إجابة قوية مقنعة لكل معتبر فقد تساقطت كل دول الطوائف بعد أن تقطعت أشلاءً ولكن هل من معتبر؟!

لقد كان هذا الأمر الخطير هو شاغل (السميسر) على بساطته بصفته مثقفاً من مثقفي الأندلس خاصة والعرب عامة في زمانه قبلنا ذلك أم لم نَقبله أكثر من انشغال الأمراء به كما يبدو، وقد عبر عن ذلك غزله أحياناً في مثل قوله:-

“بين الأزرة و المآزر	حَسُنَ تحن له الأكابر
فإذا نظرت إلى الخدو	د رأيت أنواع الأزاهر
وإذا تأملت الثغو	ر وما لناظمهنَّ ناشر
أبصرت ذرأً يفتذي	خمرًا وما للخمر عاصر

وإذا تأملت المعاني  
خلت المنية أقبلت

جر تحتها دَعَجَ المحاجر  
من جيش صقلبَ والبرابر<sup>149</sup>

وفيمَ تقبل المنية من جيش فيه الصقالبة والبرابر لولا أن هذه الجيوش تعاقبت على الحصون والثغور والمدن في ثورات وصراعات مستديمة تجلب الدمار والخراب واليتم والأيم والأسر والترميل والفقر وما إلى ذلك من صنوف العذابات والموبقات؟!

أن عدم الالتفات إلى هذه المسألة المهمة يبدي (السميسر) مجرد شاعر هجاء أو زاهد أو مجاهد كما ظنه (أبن بسام) ومن تابعه، لكن الرجل غير ذلك يعترز بمن يستحق الاعتزاز ويعتذر إلى من يستحق الاعتذار حين يجب أن يعتذر، ألا تراه يكتب إلى (ابن شرف) معتذراً وقد "ورد ابن شرف غرناطة، فتخلف عن قصده، فكتب إليه معتذراً:-

كتبت إلى سيدي قبل أن  
أيقضُ يذبلُ غرناطة  
ويهبط كيوانُ من برجه  
فمعدرةٌ لك حتى أراك  
فأجابه ابن شرف:-

بدأت و للمبتدي الفضل في  
وما الود إلا امتنان و قد  
وبالسبق في أول الهجرتين  
وحدثت أنك سمحُ الطباع  
ونفسك فاضلةٌ حرةٌ  
خلائق لو مزاجتها الجبالُ  
فلو من أبان ورضوى خلقت

ف (أبن شرف) خلافاً لـ (ابن بسام) يقدمه استناداً إلى من حدثوه سمح الطباع ودوداً فاضلاً حراً رقيقاً، فأيهما على صواب؟!

والواضح مما تقدم أن الرجل (السميسر) يعرف نفسه ويعرف الناس فيقدرهم حق أقدارهم، فيقدهم من يستحق القدهم من الأمراء الظالمين ومادحيهم من الشعراء المنافقين ومن إليهم ويمدح من يستحق المدح، فإذا رأى أن من يستحق المدح؛ قليل؛ فهذا رأيه؛ من هنا عاداه الكثيرون، فظن (ابن بسام) أنهم على صواب، وقال بما قالوا حتى أنه قال فيه:-

149 - الذخيرة، م 1 ص 561 .

150 - - الذخيرة، م 1 من ص 560 إلى ص 561 .

“والسميسر في هذا كما يحكى عن بعض الرواة قال :- كان أحد المختثين قد تسربل المجون ،  
وعبد البطالة والجنون، حتى ما شبابه، وأقصر أترابه، ولم يدع عاراً إلا ركبته، ولا إثماً إلا أرتكبه،  
فطاف به طائف اعتلال، بعد طول إملاء من الله و إمهال، فكان يقول :-

أي ربّ، بأيّ ذنبٍ أخذت، وعلى أيّ جريمة عُوقبت؟!  
هذا كان استغفاره، حتى ما الموت أخباره“<sup>151</sup>

فمَن بعض الرواة هذا الذي نقل عنه (ابن بسام)؟!  
أهو ثقةٌ أم غير ثقة؟!!

من أصدقاء (السميسر) أم من أعدائه؟!!

أم هو من الذين يخوضون في كل حديث بعلم أو بدون علم؟!  
هذه أسئلة لم يقدم (ابن بسام) أي جواب عنها، ومع ذلك فد (أبن بسام) يسيء الظن في  
(السميسر) على الرغم مما قدم به له حين يقول :-

“والسميسر في هذا الكلام ممن أخذ الغلو بالتقليد، ونادى الحكمة من مكان بعيد، صرَّح عن  
عمى بصيرته، ونشر مطوي سريرته، في غير معنى بديع، ولا لفظٍ مطبوع، ولعله أراد أن يتبع أبا  
العلاء، فيما كان ينظمه من سخيِّف الآراء وباعد ما بين النجوم والحصباء، وهبه ساواهُ في قصر  
باعه، وضيق ذِراعَه، أين هو من حُسن إبداعه، ولطف اختراعه“<sup>152</sup>

فد (ابن بسام) في هذا يعبر عن سوء رأيه في (السميسر) و (أبي العلاء) ديناً وأدباً، حين  
يقول (السميسر) عن نفسه :-

“قد هجرت اللذات إلا قليلاً بعد وصلي لها زماناً طويلاً

فأنا ثابت البناني لكن لي قلبٌ عن النَّواصي أزيلا

وبحق أقول لولا حِذاري من كلام الوشاة قلاً وقيلا

لبدا للأنام مني عجابٌ ولأوضحت للرواة السبيلاً“<sup>153</sup>

وإذا كان الباحث يُقَرُّ مع (ابن بسام) بضعف شاعرية (السميسر) وقلة إبداعه، فإنه يلحظ  
معرفة (السميسر) بنفسه مرة أخرى، فد (السميسر) يقرر أنه هجر اللذات، لكنه لا ينكر أنه لم  
يهجرها جميعاً بل ما زال يمارس القليل منها بعد أن وصلها طويلاً فهو الآن في وقت نظمته  
للأبيات يشبه (ثابتاً البناني) من التقاة الزهدة المشاركة المتقدمين بعد أن كان قلبه (نواصياً)  
نسبة إلى (أبي نؤاس) فأزيل عن ذلك، والذي يبدو للباحث أن (السميسر) أراد (نواصية) (أبي  
نواص) قبل تزده وبعده، فماذا أراد بالبيتين الثالث والرابع من هذه اللامية؟!!

وماذا أخفى خوفاً من قال الوشاة وقيلم؟!!

151 الذخيرة، م، 1، ص 556 .

152 - م. ن. ، م 1 ص 556 .

153 - الذخيرة، م، 1 ص 557 .

وما العجائب التي لم يبدها للأنام؟!

وما السبيل الذي لم يوضحه للرواة؟!

أهو سبيل هدى أم سبيل ضلال؟!

فالباحث يرى أن (السميسر) كنى بـ (ثابت البناني) عن زهده الذي لم يره الناس، وكنى بـ (النواسي) عما كان يضمرة (أبو نواس) في قلبه ويمكن فهمه من شعره لمن يتعمقه، فلـ (أبي نواس) أفكار يمكن أن يقتنصها المتعمق في حياته وشعره؛ المحلل لهما بطريقة يجادل الشعر فيها الحياة، وتجادل الحياة فيها الشعر وهي مسألة تستحق دراسة غير هذه ثم أن الباحث يرى أن (السميسر) كان غريباً في زمانه، معترباً بين أهله وخلانه والغريب قد لا يحذر كشف بعض أحواله الغريبة، كما أن المعترب قد يبدي ما لا يبديه سواه كي ما يُعرَف، و (السميسر) على كل حال؛ رضينا أم رفضنا يرى نفسه شاعراً كبيراً، فلا بأس في أن يبدو عليه شيء من الغرابة التي تعلن عنه يعرف بها كالذي يفعله بعض الشباب والفنانين عبر العصور وفي زماننا هذا بخاصة، ثم أن له بصفته شاعراً أن يعلن عن نفسه، وقد يعلن عن نفسه بأخبار غير دقيقة كالذي يفعله الفنانون في هذا الزمان من الإعلان عن أنفسهم فهذا كله ينبغي إسقاطه أو إسقاط أكثره مما يذكر عن الشاعر أو الفنان ليعرف كما هو لا كما يجب ولا كما يجب أن يكون، والظاهر أن (السميسر) ممن ينبغي إخضاعهم لهذه القاعدة وإسقاط ما يجب إسقاطه عنهم قبل دراستهم، وهو ما حاولت هذه الدراسة فعل شيء منه لإبراز مثقف غريب معترب مهمش قلق كثير العناية بما جرى في زمانه، كثير المعاناة مما جرى في بلده لأهله، عبر بعض التعبير عن هذا الكثير، فأسيء فهمه أو أريد له أن يساء فهمه وهذه ضريبة الاختلاف الناتج عن المعرفة في أزمنة الاضطراب الناشئة عن الجهل والموطدة له، و (السميسر) لم يكن الوحيد بل لن يكون الوحيد على هذا الصليب الذي نصبه الظالمون فغفل الغافلون عن سبب نصبه أو أحسنوا الظن فيه؛ متناسين أن المثقف أياً كان إنسان عادي يصيب ويخطئ.

## ابن زيدون

### بين الحب والشعر والنثر

#### حياته

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون، ولد بقرطبة سنة 394 هـ من أسرة تنتسب إلى بني مخزوم من قریش، كانت لهذه الأسرة مكانتها المهمة في قرطبة، فقد كان أبوه قاضياً من كبار الفقهاء بقرطبة، أما جده لأمه، فهو الوزير أبو بكر محمد بن إبراهيم، والمعروف بصاحب الأحكام لاشتغاله بالقضاء.

اهتم عبد الله والد ابن زيدون بتربية ابنه منذ صغره فاتصل بعدد من العلماء والمثقفين في



عصره، وتمكن من الإلمام بأهم عناصر الثقافة المعروفة في زمانه وخاصة في ميدان الشعر والرواية والأدب والفقه وهو ما سيتضح من النصوص المقتبسة . . . ولعل أباه الفقيه؛ كان أول معلميه، غير أنه توفي قبل أن يتجاوز أبنه الحادية عشرة من عمره، ومن أشهر أساتذة ابن زيدون :- أبو بكر مسلم بن أحمد اللغوي الأديب، وأبو العباس بن ذكوان الفقيه المشهور .

### ابن زيدون (حبه لولادة)

حُب ابن زيدون لولادة بنت المستكفي من أواخر الخلفاء الأمويين في الأندلس أشهر من نار على علم، وهو معروف بين الناس، في زمنه وبعده، جاءت فيه عن القدامى أخبار كثيرة؛ تتعلق بحب ولادة وابن زيدون؛ مما يؤكد أنه حب كبير خالد، ويؤكد كبر هذا الحب وخلوده؛ هذا الشعر الرائع الذي خلد هذا الحب؛ مخلداً ابن زيدون وولادة معه، أثناء علاقته بها أو بعد هجرها له؛ لم يكتفِ ابن زيدون بالشعر الذي سنشد جزءاً من قصيدة منه بعد قليل بل جاوزهُ إلى النثر، حيث أنشأ فيه رسائل منها رسالة عُرفت بالرسالة الهزلية؛ على لسان ولادة؛ موجّهة إلى (ابن عبدوس) الوزير غريمه في حُب ولادة تخاطبه فيها وتسخر منه، و سنقتطف جانباً منها فيما بعد، لكن ولادة رفضت إرسال الرسالة الهزلية التي وجهها حبيبها القديم على لسانها إلى حبيبها الجديد؛ تأكيداً لحبها الجديد، وإمعاناً في التخلص من حبيبها القديم .

دارت الأحاديث حول أحداث هذا الحب في قرطبة وفي غير قرطبة من بلاد الأندلس، وقد بقي الحديث عنه مأثوراً متداولاً؛ تتناقله كتب الرواية والأدب حتى يوم الناس هذا وإلى إن يشاء الله؛ ستظل الألسنة تتناشد هذا الشعر الجميل وتردد ذلك النثر الساخر الساحر .

وولادة هي بنت الخليفة المستكفي من أواخر خلفاء بني أمية في قرطبة؛ كان معروفاً بالاستهتار والعبث .

أجمع الرواة ومن ثمة الدارسون على أن مجموعة من العناصر توفرت في شخصيتها، فجعلت سادة القوم في قرطبة يتهافتون على مجلسها وبيتهاكون على حُبها، فقد توفر لها :- جمال أشقر نادر، وقدرة على الدعابة والهزل، و تيزل لعوب، وكبرياء أميرة، وكانت شاعرة تساجل الشعراء وتأخذ بنصيبها من أحاديث الشعر والأدب، ثم هي تحسن السماع والطرب والعزف، قال عنها المقرئ :- “وكانت واحدة زمانها المشار إليها في أوانها حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة . . . وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف”<sup>154</sup>، أما ابن بسام فقال أنها :- “قد أطرحت التحصيل وأوجدت إلى القول فيها السبيل بقلّة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها”<sup>155</sup>... الخ .

هذه هي ولادة التي تعلق ابن زيدون بحبها، وكان لها أثر جد مهم في حياته عامة، وفي شعره خاصة وقد ذكر ابن بسام في كتاب الذخيرة خبراً رواه عن ابن زيدون يصور فيه الوصل

154 - نفع الطيب ج 5 ص 336.

155 - الذخيرة م 1 ص 376 .

الأول بين الشاعر وأميرة قلبه وولادة الأميرة الأندلسية الشهيرة وتتابع اللقاء بين الحبيبين في قرطبة وحدائقها، وكان في لقاءهما حبٌ وخمرٌ وغبطةٌ وصباغةٌ لا ترتوي وترويها الأشعار والأخبار، لكن هذه اللقاءات وتلك المغامرات لم تدم طويلاً بل تغيرت الأميرة فأنكرت حب حبيبها الأول وتكرت لربه ولعلَّ سر هذا التغيير يبرُّرُ في خبر ذكره القُدّامي يقول أن ابن زيدون أبدى إعجابهُ بإحدى جواري وولادة، الأمر الذي أثارَ عليها وأثارَ كبرياءها: - "وكانت لها<sup>156</sup> جارية سوداء بديعة المعنى فظهر لولادة أن ابن زيدون مالَ إليها فكتبت إليه :-

لو كُنْتُ تُنْصَفُ فِي الْهَوَى مَا بَيْنَنَا      لَمْ تَهَوَّ جَارِيَتِي وَلَمْ تَتَخَيَّرِ<sup>157</sup>

وَتَرَكْتِ غَصْباً مَثْمِراً بِجَمَالِهِ      وَجَنَحْتَ لِلْغَصَنِ الَّذِي لَمْ يُثْمَرِ

وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنْنِي بَدْرُ السَّمَاءِ      لَكِنْ وَلَعْتُ لَشَقَوْتِي بِالْمَشْتَرِيِّ<sup>158،159</sup>

وهو أمر ممكن الوقوع بين حبيبين، لكن التصافي بعده ممكن بينهما، ففيم لم يأتِ التصافي؟!

لقد هجرت ولادة ابن زيدون، وعوضته بوزير آخر في دولة أبي الحزم بن جهور؛ هو أبو عامر ابن عبدوس.

بقي ابن زيدون يودُّ ولادة ودأً صحيحاً يشهد عليه شعره ونثره ويعمل على أن يعودَ الصفاء بينهما؛ مخوفاً خصمة متوعداً إياه دون ما جدوى حتى كتبَ الرسالة الهزلية التي سخر فيها منه، ووضعها على لسان ولادة لترسلها إلى ابن عبدوس؛ متوسلاً إليها أن تبعثها إليه، لكن ذلك لم يحدث ثم أنقطع ما كان بينهما من علاقة، وإن لم ينقطع حبه لها.

### ابن زيدون سجنه في قرطبة

كان ابن زيدون شخصية مهمة لها مكانتها الرفيعة شعراً ووظيفة في دولة ابن جهور أمير قرطبة آنذاك، فلعل ابن زيدون كان من حاشية الأمير المقربين، ثم أن الأمير كلفه بشؤون أهل الذمة، كما أسفرَ بينه وبين بعض ملوك الطوائف في الأندلس، لكن الحال يحول، فإذا بابن عبدوس وبعض خصوم ابن زيدون، يُثيرون عليه حفيظة الأمير، فيتهمونه بالاستيلاء على عقار ليودع السجن.

ظَلَّ ابن زيدون في سجنه؛ متوسلاً إلى أمير قرطبة؛ مستعظفاً إياه؛ راجياً عفوه، لكن ذلك لم ينفعه، إذ لم تنفعه القصائد العديدة التي كتبها إليه، فأشفعها بالرسالة الجدية<sup>160</sup> يطلب فيها عفوه؛ متوسلاً؛ مؤكداً براءته.

156 - يريد ولادة .

157 - تحفظ .

158 - كانوا يعدون المشتري كوكب نحس استعارته ولادة لجاريتها التي ظنت أن ابن زيدون أحبها، فحفته لأجل ذلك .

159 - نفع الطبيب ج 5 ص 336 .

لم يكتفِ ابن زيدون بمدح أبي الحزم بن جهور والتوسل إليه شعراً ونثراً، لكنّه مدح ولده أبا الوليد بن أبي الحزم يتوسل به إلى والده، لكن ذلك كله وسواه؛ لم ينفَع شيئاً، فبأس من التوسل ليُفر من السجن ليلة العيد الأضحى، وبقيّ مختلفياً بضواحي قرطبة؛ يساعده أستاذه أبو بكر مسلم بن أحمد، حتى عفا عنه أبو الحزم.

بعد السجن مدح ابن زيدون أبا الوليد بن جهور وحينما توفي أبو الحزم سنة 435 هـ وخلفه ولده أبو الوليد ردّ إلى ابن زيدون مكانته فعينه للنظر على أهل الذمة ورفعته إلى مرتبة الوزارة كذلك استفاد من خبرته فاستثمره سفيراً بينه وبين بعض ملوك الطوائف حيث مكنته ملكته ولباقتة من النجاح في مهماته وإدراك مكانة خاصة عند العديد من هؤلاء الملوك.

أن علاقة ابن زيدون مع أبي الوليد على الرغم من كل ما تقدم وسواه اضطرت فظن أبو الوليد بوزيره الظنون ليعزله؛ الأمر الذي دفع ابن زيدون إلى الرحيل من قرطبة إلى إشبيلية حيث بلاط بني عباد.

### ابن زيدون في بلاط بني عباد

بعد ما عاناه ابن زيدون في قرطبة من يأس من الحبيبة وخوف من السلطان؛ انتقل إلى بلاط بني عباد في إشبيلية مهاجراً عن قرطبة سنة 441 هـ غير هاجر لها على الرغم من أن المعتضد بن عباد استقبله فأحسن استقباله، وجعله من خواصه، معتمداً إياه في مراسلاته المهمة. وعلى عادة الشعراء إذا انتقلوا من بلاط إلى بلاط؛ سخر ابن زيدون الكثير من شعره لمدح المعتضد بن عباد ثم ابنه المعتضد الذي خلفه على العرش سنة 461 هـ.

وعلى الرغم مما لقيه ابن زيدون من حفاوة ومن حظوة ونفوذ وهو وأنس في إشبيلية، فقد عاش عاشقاً لقرطبة مسقط رأسه يذكرها ويحن إليها كما يذكر ولادة وأيامها، يهتز إليهما شوقاً وعشاقاً في كل وقت، لقد عبر ابن زيدون عن هذه المشاعر في كثير من أشعاره، ولم تسمح الأيام له بالنعيم في دفى قرطبة بعد أن أخذها بنوا عباد من بني جهور إذ كلفه المعتضد بن عباد وهو شيخ بالعودة إلى إشبيلية لإخماد ثورة فيها للعامة فتوفي بإشبيلية سنة 463 هـ.

### أضحى التنائي

هذه القصيدة من أشهر قصائد ابن زيدون، وقد عارضها كثيرون<sup>161</sup> من القدامى والمحدثين

160 - سيأتي جانب منها فيما بعد .

161- ذكر الدكتور عدنان محمد غزال اثنتين و خمسين قصيدة معارضة، تنظر في كتابه معارضات قصائد ابن زيدون .

ومنهم (أحمد شوقي) في قصيدته (يا نائح الطلح<sup>162</sup>) قال ابن بسام -: (وهذه القصيدة بجملتها فريدة، وقد عرضة فيها جماعة فقصروا عنه))؛ (ولهج كثير من بآن إنساناً لا يتم له الظرف ما لم يحفظها)).

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا  
 إن الزمان الذي ما زال يضحكننا  
 غيظُ العدى من تساقينا الهوى فدعوا  
 يا ليت شعري ولم نُعتب أعاديكم  
 لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم  
 بنتُّم وبتنا فما ابتلت جوانحنا  
 نكاد حين تُناجيكم ضمائرنا  
 حالت لفقدكم أيامنا فعدت  
 إذ جانب العيش طلق من تالفنا  
 وإذ هصرنا فنون الوصل دانية  
 ليُسقَ عهدكم عهد السرور فما  
 لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا  
 والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً  
 يا ساري البرق غاد القصر واسق به  
 وأسأل هنالك هل عنى تذكرنا  
 ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا  
 فهل أرى الدهر يقضينا مساعفةً

وناب عن طيب لقيانا تجافينا<sup>163</sup>  
 أنساً بقربهم قد عاد يبيكنا  
 بأن نغص فقال الدهر آميناً  
 هل نال حظاً من العتبي أعادينا  
 رأياً و لم نتقلد غيرة ديناً  
 شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا  
 يقضي علينا الأسى لولا تأسينا  
 سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا  
 ومربع اللهو صافٍ من تصافينا  
 قطافها فجنينا منه ماشينا  
 كنتم لأرواحنا إلا رياحينا  
 إن طالما غير التأي المحبيننا  
 منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا  
 من كان صرف الهوى والود يسقينا  
 إلفاً تذكره أمسى يعطينا  
 من لو على البعد حتى كان يخيننا  
 منه وإن لم يكن غياً تقاضينا<sup>164</sup>

## ابن زيدون

### الرسالة الجدية، الرسالة الهزلية

حظيت الرسالتان الجدية والهزلية لابن زيدون بعناية الشراح<sup>165</sup>

162- م . ن . ص 47 .

163 - تحفظ ثمانية أبيات .

164 - ديوان ابن زيدون طبعه بيروت ص 9-10 و التجديد في الأدب الأندلسي ص 41-43 .

165 - ينظر في شرح الرسالة الجدية كتاب ( تمام المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون )، (صلاح الدين الصفدي) ، ت 763 هـ .

و في شرح الرسالة الهزلية ينظر ( سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ) ، ( ابن نباته المصري ) ( ت 768 هـ ) .

والدارسين<sup>166</sup> والرسالة الهزلية كتبها ابن زيدون على لسان ولادة إلى ابن عبدوس؛ الذي هجرت ولادة ابن زيدون إليه.

- وتلتقي الرسالتان الجدية والهزلية في جملة خصائص ومميزات من حيث الأسلوب<sup>167</sup> :-
1. في الرسالتين إطالة وإطناب والرسالة الجدية أقل إسهاباً وأكثر اتزاناً وتعقلاً من الهزلية. فالجدية في حوالي 125 سطراً والهزلية في حوالي 152 سطراً.
  2. فيهما صناعة لفظية معتمدة على السجع وازدواج العبارة وقد بلغ في صنعه ما جعل الدكتور شوقي ضيف يرى أن ذوقه في نثره كان قريباً من ذوق أصحاب التصنع في المشرق.
  3. وتشارك الرسالتان أيضاً في قوة الخيال وكونه عنصراً مهماً في التعبير والتصوير.
  4. كما تكثران من استلھام الأمثال والحكم والأحداث التاريخية.
  5. في الرسالتين استشهاد بأبيات من الشعر قد تكون للكاتب أو لغيره.
  6. الرسالتان تستلھمان آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ووقائع التأريخ.
- لعل الرسالة الجدية؛ تتميز بقوة العاطفة وعمقها نتيجة لما صبّه كاتبها فيها من معاناته المتمثلة في سجنه مظلوماً وإن لم يصرح بذلك مع شعوره بفقدان حبيبته ولادة، لفقدانه الحرية والحضوة ولما كان يحسه أو يتوقعه من شماتة الحساد والمُعادين، لقد كتب هذه الرسالة في السجن ووجهها إلى الأمير أبي الحزم بن جهور أمير قرطبة.
- “إن ابن زيدون في أسلوبه متأثر بطريقة ابن العميد (ت 360 هـ) ومدرسته التي تعتمد السجع والازدواج منهجاً وهو متأثر برسالة التربيع والتدوير للجاحظ في رسالته الهزلية<sup>168</sup>.”
- ويذهب الدكتور مصطفى الشكعة إلى أن ابن زيدون في رسائله تلميذ لأستاذ الرسالة الأخوانية عند المشاركة بديع الزمان الهمداني ينهج نهجاً ويسجع سجعاً يميل نحوه ويلتزم طريقة<sup>169</sup>.
- ولا شك أن ثقافة ابن زيدون الواسعة تجعل معرفة الأستاذ الذي تأثر به أمراً غير متيسر فأنت تجد في رسائله أسلوب الجاحظ وأبي إسحاق الصابي وابن العميد.
- مما تقدم يتبين أن بعض الكتاب المحدثين يميلون إلى التركيز على أن ابن زيدون خاصة والأندلسيين عامة متأثرون بالمشاركة، وهو أمر لا غبار عليه، لم ينكره أحد من الأندلسيين، حتى يركزوا على هذا التأثير الأندلسي بالمشرق.

---

166 - نالت الرسالتان الجدية والهزلية وغيرهما من رسائل ابن زيدون عناية المحدثين الذين حققوا النصوص حيثما وردت في الكتب التي حققوها، وشرحوا ما احتاج منها إلى شرح ودرسوها دراسات عديدة كل في مكانه، يُنظر مثلاً ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق د. علي عبد العظيم.

167 - يُنظر ابن زيدون عصره حياته أدبه ص 410 ، 412 ، 413 .

168 - الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ص 177 .

169 - يُنظر الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه، الدكتور مصطفى الشكعة، ص 592 .

يقول ابن زيدون في رسالته الجديدة :-

“يا مولاي<sup>170</sup> أبقاك الله ماضي حد العزم<sup>171</sup> واري زند الأمل ثابت عهد النعمة إن سلبتني أعزك الله لباس نعمائك وعطلتني من حلي إيناسك وأصمأتني إلى برود إسعافك ونفصت بي كف حياطك وغضضت عني طرُف حمايتك، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك و سمع الأصم ثنائي عليك<sup>172</sup> وأحسّ الجماد باستحمادي إليك فلا غرُو قد يفص بالماء شاربةً ويقتل الدواء المستشفي به ويؤتى الحذر من مأمنه وتكون منية المتمني في أمنيته والحينُ قد يسبقه جهد الحريص<sup>173</sup> .  
كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد“

أما في الرسالة الهزلية فيقول لخصمه ابن عبدوس، على لسان حبيبته وآداة التي غدرت به فلم ترسل رسالة حبيبها القديم ؛ إلى حبيبها الجديد الذي أرسل إليها امرأة تعرضه عليها، يقول ابن زيدون :-

“أما بعد<sup>174</sup> : أيها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاجش غلظه، العاثر في رذيل اغتراره، الأعمى في شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفراش في الشهاب<sup>175</sup> ، فإن العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أ صوب، وأنك راسلتني<sup>176</sup> مستهدياً، من صلتني، ما صفرت منه أيدي أمثالك متصدياً، من خلتي، لما قرعت دونه أنوف أشكالك“ .

حتى يقول :-

“بطلايموس<sup>177</sup> سوى الأسطراب<sup>178</sup> بتدبيرك، وصوّر الكرة<sup>179</sup> على تقديرك وأبقراط<sup>180</sup> علم العلال والأمراض بلطف حسك وجالينوس<sup>181</sup> عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك كلاهما قلداك في

170 - يريد أبا الحزم ابن جهور أمير قرطبة .

171 - تحفظ هذه الأسطر من الرسالة .

172 - لعل ابن زيدون نظر في هذا إلى قول المتنبي :-

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدي وأصمعت كلماتي من به صمم

فحول المعنى من الفخر عند المتنبي إلى مدح ابن جهور عنده و هو شيء بديع .

173 - أمثال عربية مشهورة استلهمها و وظّفها توظيفاً مناسباً لغرضه من هذه الرسالة .

174 - يحفظ مقطع من مقطعي هذه الرسالة .

175 - ذكر أمرين معروفين هما :- لها .

176 - الباء / هنا \ ضمير عائد على ولادة .

177 - أشهر الجغرافيين و الفلكيين اليونان .

178 - آلة يستعملها الفلكيون في رصد النجوم .

179 - يريد الكرة الأرضية .

180 - أشهر طبيب يوناني عرفه العرب .

181 - أشهر العشابين اليونانيين الذين عرفهم العرب .

العلاج وسألك عن المزاج واستوصفك بتركيب الأعضاء واستشارك في الداء والدواء“ فالواضح مما تقدم سجع ابن زيدون وتلاعبه بالبيان والبديع مستلهماً المثل مستفيداً من الشعر؛ منتفعاً بالاسم وهكذا توشك هاتان الرسالتان أن تشتملا على أهم خصائص الرسائل الأدبية الأندلسية حتى عصره وتهدما لمن سيأتي في إثره حيث يتطرق المترسلون باستعمال أنواع المحسنات البديعية والصور البيانية متفننين في تنويع السجع لأغراض متعددة، ومنهم ولعله أشدهم تطرفاً في هذا الأسلوب لسان الدين بن الخطيب.

### من موضوعات الشعر الأندلسي

يختلف نقاد الشعر العربي ومؤرخو الأدب، في مسألة: - موضوعات الشعر وأغراضه، فقد ذهب الكثير منهم إلى الخلط بين الموضوع والغرض، فشاعت كلمة (الغرض) الشعري وأريد بها (الموضوع) الشعري، وليس دقيقاً، لأن الغرض عند العرب هو الهدف<sup>182</sup> والغاية، ولكل شاعر ينظم قصيدة ما هدف أو أهداف تختلف عن أهداف سواه، بل قد تختلف الأهداف بين قصيدة وأخرى عند شاعر واحد، فالمدح وهو موضوع شعري مثلاً؛ قد يكون هدفه التعريف بما في الممدوح من مزايا؛ يعتقد الشاعر أنها حقيقية، وقد يمدحه طلباً لمال، أو رغبة في مساعدة للخروج من مأزق ما، أو اعتذاراً عن خطأ ارتكبه الشاعر تجاه الممدوح، أو لم يرتكبه، لكن الممدوح؛ ظن أن الشاعر ارتكبه... الخ، فهذه كلها أغراض مختلفة؛ يعبر عنها موضوع واحد هو (المدح)، من هنا فقد تتعدد موضوعات القصيدة اللوحة الطللية؛ اللوحة الغزلية؛ الرحلة؛ المديح وفيه بيت القصيد؛ الخاتمة لتأخذ من ينابيع مختلفة وترد موارد متعددة، لكنها تصب في مصب واحد هو غرض الشاعر الذي يريد من الممدوح تحقيقه، وهكذا يفعل الشاعر في أغلب قصائده؛ تتعدد موضوعات القصيدة أو تتحد، لتنتهي إلى غرض محدد غالباً.

وأهم موضوعات الشعر الأندلسي؛ هي أهم موضوعات الشعر العربي، مع اختلاف قليل هنا أو هناك يتمثل في تطور موضوع ما ليعبر عن خصوصية أندلسية، أو نشوء موضوع خاص يركز عليه الأندلسيون وهو ما قد نتحدث عن جانب منه ونحن نتحدث عن موضوعات الشعر الأندلسي، وقد نلمس شيئاً من هذا ونحن ننظر إلى التقليد والتجديد في الأدب الأندلسي.

على هذا الأساس؛ غلبت على الشعر الأندلسي موضوعات الغزل، الخمر، الوصف، المدح، الزهد والشعر الديني، الهجاء، الرثاء، ولا سيما رثاء المدن المأخوذة أو الدول الساقطة، ومن ذلك الحث على الدفاع عن الأندلس أو الاستصراخ دفاعاً عنها، وغير ذلك.

### أولاً. الغزل:-

لغزل والنسيب والتشبيب مفاهيم لغوية واضحة متقاربة لكن الاستخدام الأدبي يوشك أن يحدد لكل لفظة من هذه الألفاظ دلالة خاصة فالغزل هو الاستهتار بالتودد للنساء واتباعهن

182. ينظر:- (الصحاح)، للجوهري، مادة هدف.

والحديث إليهن . . . إن لم يتعلق القائل منهن بهوى أو صباة أو هو اللهو مع النساء في الشعر أو رقيق الشعر في النساء، والتشبيب ما يقصد به الشاعر ذكر المرأة في مطالع القصائد وما يضاف إلى ذلك من ذكر الرسوم ومسائلة الأطلال توخياً لتعليق قلوب المتلقين بشعر الشاعر، أو هو ذكر الشاعر أيام اللهو والشباب في شعره، وهو أقرب ما يكون من الصناعة .

والنسيب أثر الحب وتبريح الصباة فيما يبثه الشاعر من الشكوى وما يُعرض له من محاسن المرأة، قبل مفاجأة الغرض من الكلام، أو هو ذكر الشاعر خُلق النساء وأخلاقهن، ورقيق الشعر في النساء وهي أمور متداخلة إن وُجِدَتْ في القصيدة الواحدة.

والغزل الأندلسي من أكثر موضوعات الشعر تداولاً بين الشعراء الأندلسيين إذ له النصيب الأكبر من دواوينهم .

فقد كان للبيئة الأندلسية المنفتحة أثرها في ازدهار هذا اللون من الشعر ونموه إلى جانب كونه موضوعاً يتصل بالطبيعة الإنسانية عبر التأريخ الشعري للبشر ولذلك لا يكاد ديوان أندلسي يخلو من هذا الموضوع .

وكان المجتمع الأندلسي متعدد الأجناس؛ متعدد الديانات؛ ومع ذلك فقد وجد الغزل طريقه لا إلى المتفكرين ديناً فحسب كما هو حال (ابن زيدون) و(ولادة) بل وجد طريقه إلى المختلفين ديناً أو جنساً، وستعرف هنا إلى بعض هذا كما سيظهر في دراسة الموشحات الأندلسية .

لقد تجلّى هذا الغزل في قصائد ومقطعات شعرية منها ما نظمه رجل مسلم هو:- أبو عبد الله الحداد، في فتاة مسيحية سماها (نويرة) مكنياً عن أسمها، لكنه لم يتمسك بكنيتها تلك فعاد وسماها (جميلة) أحبها في صباه .

وقد عرفنا مسيحيتها من ذكره شعائرها الدينية في ما نظمها فيها، وكان يتردد على الكنائس لأجلها... أستمتع إليه وهو يذكر أماكن عبادتها وأعيدها وكتابها ورجل الدين الذي يقودها؛ يقول أبو عبد الله الحداد :-

فأن بي للروم رومية      تكنس<sup>183</sup> ما بين (الكنيسات<sup>184</sup>)<sup>185</sup>  
أهيم فيها والهوى ضلة      بين صواميع<sup>186</sup> وبيعات<sup>187</sup>  
أفصح<sup>188</sup> وحدي يوم فصح<sup>189</sup> لهم      بين الاريطي والدويحات

183 - يريد :- تذهب إلى الكنائس أو تدور بينها.

184 - جمع كنيسة، وهو المكان الذي يتعبد فيه المسيحيون .

185 - تحفظ .

186 - جمع صومعة وهو مكان يعزل فيه الرهبان، و أصل الكلمة :- (صوامع) على وزن مفاعل ، لكن الشاعر مد الكسرة ليقيم وزن.

187 - جمع بيعة و هو مكان يتعبد فيه المسيحيون، و قد جاء ذكر الصوامع و البيع في قوله تعالى :- ((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا)) (الحج: من الآية40) .



بموقف بين يدي أسقف<sup>190</sup> ممسك مصباح ومنساة  
وقد تلوا صحف أنجيلهم<sup>191</sup> بحسن الحان وأصوات

فالفاتاة المتغزل بها لم تكن عربية بل كانت رومية، كما لم تكن مسلمة بل كانت مسيحية، والشاعر يصرّح بهذا، وقد يُستدل من هذه الأبيات وغيرها من النصوص الأندلسية على أن التسامح كان يغلب على أهل الأندلس إلا في ظروف خاصة، فلم يكن المسلم مصرّاً على التغزل بمسلمة .  
والغزل عند شعراء الأندلس قد يختلط بموضوعات أخرى منها :-

أ . وصف الشعراء الأندلسيين الطبيعة ضمن قصائدهم الغزلية كما هو واضح في قصائد ابن زيدون ومنها :- (أضحى التنائي)، وشعر ابن حمديس؛ البالغ الرقة الفاتر العاطفة الذي يتقن التصوير ويشدو بموسيقى عذبة .

ب . وصف الشعراء الأندلسيين الغزلين الخمر ومجالسها؛ ممزوجة بقصائدهم الغزلية، كما هو واضح في شعر المعتمد بن عباد الملك الشاعر وغيره من الشعراء .

ج . إذا كان الغزل شكلاً من أشكال مدح النساء لم يُستغرب أن يمزج الشعراء الأندلسيون الغزلون؛ غزّالهم بالمدح، ومن أمثلة ذلك؛ ما فعله ابن اللبانة في قصيدة مدح بها (مبشر العامري) لعب فيها لعبة جميلة، إذ جعل صدرها غزلاً وعجزها مدحاً، وأول القصيدة :-

وضحت وقد فضحت ضياء النير  
وتيسمت عن جوهر فحسبته  
فكأنما التحفت ببشر<sup>192</sup> (مبشر)<sup>193</sup>  
ما قلدته محامدي من جوهر  
أذنبت فاستغفرتّها فجرت على  
عاداته في المذنب المستغفر

وهي في اثنين وعشرين بيتاً؛ شابهت مقطوعة سبقتها من خمسة أبيات ذكرها المقري وقد نص على أن القراز قالها في مدح ابن صمادح وخط النسب بالمدح ومنها قوله :-

نفى الحب عن مقلتي الكرى  
فقد قر حبك في خاطري  
كما قد نفى عن يدي العدم<sup>194</sup>  
كما قر في راحتك الكرم  
كما فر عن عرضه كل ذم  
وأبقى لي الحب خال وجد  
وأبقى له الفخر خال وعم

188 - يريد أنه يُعيّد وحده مع المسيحيين بعيد الفصح المسيحي حياً لها لأنه مسلم .

189 - يوم الفصح عيد من أعياد المسيحيين .

190 - الأسقف :- أحد كبار رجال الدين المسيحي.

191 - الأناجيل :- جمع إنجيل وهو كتاب المسيحيين المقدس.

192 - المراد :- مبشر العامري .

193 - تحفظ .

194 - تحفظ .

“ومن هنا نستطيع أن نلمح مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي، إذ لم تكن هماً بل شغل الشاعر بها على نحو كبير”<sup>195</sup>.

وواقع الحال أن التفضيل بالمرأة الأندلسية ليس الدليل الوحيد على أن المرأة الأندلسية ليست هماً، لكنه يمكن أن يكون أحد الأدلة على ذلك، ومما قد يقوي هذا الرأي؛ قلة الشعر الأندلسي الفاضح؛ مع وجود دواعيه، في حين أن شعراء غزلين، يتعففون، فنجد ابن حزم في كتابه طوق الحمامة؛ ينظم شعراً أكثره عفيف، وغيره آخرون متعففون منهم ابن الأبار الذي يقول مثلاً:-

وعصيت سلطان الهوى وأطعت سلطان العفاف

وهو أمر طبيعي، فالناس لا يجرون جميعاً في حلبة واحدة بل يختلف كل منهم عن الآخر طبعاً دائماً أو في حالة من الحالات، فهناك متغزلون مفضوحون، وآخرون متذلون وغيرهم متعففون، وهذه هي الحياة.

لم يكن شعر الغزل في الأندلس؛ شعر رجال يتغزلون بالنساء لكنه قد يكون أكثر شعر الغزل، إذ أن للنساء غزلاً بالرجال، كما أن لبعض الشعراء غزلاً بالغلما؛ تبين ذلك من بعض شعر السميسر وابن الحداد وقد تقدم كما يمكن اكتشاف جوانب منه في طوق الحمامة لابن حزم، أما ابن سهل، فقد تغزل بشخص اسمه (موسى) تختلف شخصيته في حالة دراسته في ديوان ابن سهل.

## ثانياً.

### المدح:-

ما بين أيدينا من شعر العرب المادحين الأوائل؛ يعبر عن شعور العربي بأن في ممدوحه من الصفات ما يستحق الذكر، فيمدحه بما فيه من صفات، وقد يمدحه ليبد إحصان له عليه لا يستطيع أن يردها بغير الشعر، ثم ظهر شعراء يتكسبون بالشعر؛ يرفعون ممدوحهم الذين يدفعون ثمن المدح ويهجون من لا يدفعون لهم؛ تشبههم الصف الصفراء في الوقت الحاضر، وقد تداخلت هذه الأصناف الثلاثة من الشعر على طول الزمان، فكان هناك من يمدح مستحق المدح؛ غيره يمدح من يسدي إليه معروفاً؛ ثالث يمدح من يتوسم فيه الكرم الذي يهيجه بشعره؛ رابع بخيل لا يدفع إلا إذا رُفِع في وجهه سوط الهجاء، وهكذا بقي الحال على طول الزمان، ومن الزمان؛ العصر الأندلسي الذي مدح فيه الشعراء من مدحوا، بغض النظر عما إذا استحق المدح أم لم يكن مستحقاً له، لكنه كان مخيفاً أو قادراً على الدفع، ففي كلتا الحالتين كان الشعراء المتكسبون أو الخائفون؛ يتقربون إلى الممدوحين ومنهم بالشعر حباً فيهم أو خوفاً منهم أو طمعاً في مغنم.

وكان الممدوحون المتسلطون خاصة أو الطامعون في السلطة محتاجين إلى من يمدحهم؛ تقريباً لهم من الجمهور الذي يتأثر بالإعلام الذي يحيط به، والشاعر في ذلك الوقت مذياع وصحيفة، فهو وسيلة إعلام جذابة، لا غنى لمتسلط أو راغب في التسلط؛ عنها، لهذا السبب ولغيره كثر شعراء المدح في الأندلس ولاسيما في عصر دول الطوائف، ففي هذا العصر بالذات تعددت

195 - الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ص 127 .

الدويلات في الأندلس، وكان بعض ملوكها وبعض أمرائها بل بعض أميراتها؛ من الشعراء والشواعر؛ يقدرون الشعر أو لم يكونوا من الشعراء، وفي كلا الحالين كانوا محتاجين إلى الشعراء يمدحونهم فيصورونهم بما فيهم وبما ليس فيهم من صفات الكرم والعقل والحكمة والشجاعة وما إلى ذلك من الصفات المحمودة التي يعرضونهم بها على الشعب فيخدعون الشعب غالباً، وينالون الجوائز على هذا الخداع دون أن يدوّل هذا المديح المخادع؛ أحياناً من الممدوحين من سيئ إلى حسن لذلك ترى الكثير من ملوك الطوائف بل من ملوك الأندلس يستوزرون الشعراء والكتاب؛ أملاً في مدحهم، وتعبيراً عما يجيش في نفوسهم، كذلك كان الشعراء والكتاب من ندماتهم، الأمر الذي كان يدعو الشعراء الآخرين الطامعين في المال إلى التشوف لهذه المناصب والتشوق لتلك المراكز فيرسلون مدائحهم إلى الملوك والوزراء أو يتجولون بين الممالك طمعاً في أن يستقر أحدهم في مركز بمملكة أو منصب في دويلة، فكان يتحقق لبعضهم شيء من ذلك ويعز على الكثيرين، لكن المهم أن مدائحهم تظهر، فتصل إلى الناس، بصفتهم وسيلة إعلامية صدقت أم كذبت؛ نالت جائزة أم لم تنل؛ بقيت على المدح أم لم تبقى، حافظت على الوفاء بعد موت الملك أو سقوت المملكة أم لم تحافظ.

والمهم في هذا الأمر أنهم لو صدقوا ممدوحيههم وجماهيرهم فكان ممدوحهم على ما زعموه فيهم من العدل والعقل والكرم والشجاعة وما إلى ذلك لما تساقطوا بين يدي المرابطين؛ تساقطهم المذل والمذهل، ولما تحول أكثر شعرائهم عنهم؛ إلى غيرهم ممن صار قادراً على الدفع؛ من هنا راجت سوق الشعر وأعلن التكسب عن نفسه حتى قيل أن بعض الشعراء المطلوبين للمدح جعل لمدحته ثمناً لا يقل عن مائة دينار.

قد يقترن المدح بموضوعات الشعر الأخرى، فمن ذلك :-

#### أ . الغزل:

اعتاد الشعراء أن يفتتحوا مدائحهم بالغزل، وهو منهج تقليدي معروف منذ القدم وقد بقي في الأندلس لكنه تطور فابتكر وسائل جديدة للوصول إلى قلوب الممدوحين، منها ما تقدم في الغزل من فعل ابن اللبانة، والقراز حين قسم كل منهما؛ كل بيت من أبياته، فجعل الصدر غزلاً والعجز مدحاً.

ب . وصف الطبيعة:

قد يمتزج المدح بوصف الطبيعة إذ كانت مجالسهم في الرياض الغناء والحدائق الفيحاء التي تشقها السواقي والأنهار، فكانت مجالسهم تلك في الليل أو في النهار فهم يصفون ذلك كله مجتمعاً أو يذكرون صفات واحد مما يحيط بهذه المجالس من مكونات الطبيعة أو فعاليتها ومن ذلك قول أبي زيد عبد الرحمن بن مقان الأشبوني؛ يمدح إدريس بن يحيى الحمودي أمير مالقة :-

وكأن الشمس لما أشرقت  
فانثنت عنها عيون الناظرين<sup>196</sup>  
وجه إدريس بن يحيى بن علي  
بن حمود أمير المؤمنين

ادخلوها بسلام آمينين <sup>197</sup>	خطاً بالمسكِ على أبوابه
يَمّموا قصر أمير المسلمين	وينادي الجودُ في آفاقه
خاشع لله رب العالمين	ملكٌ ذو هيبَةٍ لكنهُ
خفقت بين جناحي جبرئيل <sup>198</sup>	وإذا ما رُفعت رايتهُ
صدعَ الشكَّ بمصباح اليقين	وإذا أشكلَ خطبٌ معضلاً
وبيمناه لواء السابقين <sup>199</sup>	وإذا راهن في السبقِ أتى
لأبيكم كان رُفد المسلمين	يا بني أحمد <sup>200</sup> يا خير الوري
في الدجى فوقهمُ الروحُ الأمين <sup>201</sup>	نزل الوحي عليه فاحتبى
وجميع الناس من ماءٍ وطين	خَلِقُوا من ماء عدلٍ و تقى
إنه من نور رب العالمين <sup>203</sup>	انظرونا نقتبس من نوركم <sup>202</sup>

فهو يشبه ممدوحةً بالشمس التي تبهر الناظر فلا يستطيع النظر إلى مركزها، ومعلوم أن الشمس جانب من جوانب الطبيعة، ولأن إدريس الممدوح ينتسب إلى الرسول (ص) فإنه يصفه ويصف آل بيت الرسول (ص) بما وصفهم به، مقتبساً من القرآن الكريم أو متناصاً معه، كما هو موضح في الهوامش .

ج . امتزاج المدح بالهجاء :-

قد يمدح المادح شخصاً ويهجو أعداءه مثلما فعله أبو الحسن بن الجد حين مدح يوسف بن تاشفين وهجا من أسقطهم من ملوك الطوائف في الأندلس حين قال :-

نلقاهُ أو يتلقانا به خيرُ	في كل يومٍ غريبٍ فيه معتبرُ
دوائر السوء لا تبقي ولا تذرُ	أرى الملوك أصابتهم بأندلس
لو صح للقوم في أمثالها النظرُ	قد كنت أنظرها و الشمس طالعةٌ
قَدَّرَ هوى بأنجمهم خسفاً و ما شعروا	ناموا و أسرى لهم تحت الدجى
تحدو به مذهلات الناي و الوتر	و كيف يشعروا من في كفه قَدَحُ

- 197 - (ادخلوها بسلام آمينين) القرآن الكريم (الحجر:46) يريد ادخلوا الجنة.....الخ.
- 198 - يريد جبرائيل الملك ، و هي لغة فيه تقلب اللام نوناً ، و قد أجتلبها لإقامة الوزن و ضرورة القافية .
- 199 - فيه تناص مع قوله تعالى (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ وَأُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) القرآن الكريم (الواقعة الآيات:10،11)
- 200 - ينسب إدريس وأهله إلى الرسول (ص) لأنه ينتسب إلى الإمام علي (ع) لأن أبناء علي (ع) من فاطمة الزهراء (ع) ينسبون إلى الرسول (ص).
- 201 - فيه تناص مع قوله تعالى:-( نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ) القرآن الكريم (الشعراء:193)
- 202 - مقتبس من قوله تعالى:-(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّاظُرُونَا نَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) القرآن الكريم (الحديد:13)
- 203- الذخيرة م 2 ص 468-470 .

صَفَّتْ مَسَامِعُهُ عَنِ غَيْرِ نَعْمَتِهِ<sup>204</sup>  
 تَلَقَاهُ كَالعَجَلِ<sup>205</sup> مَعْبُوداً<sup>206</sup>  
 وَ حَوْلَهُ كُلُّ مَغْتَرٍ وَ مَا عِلْمُوهُ  
 فَقُلْ لِمَنْ نَامَ أَصْبَحَتْ، انْتَبَهْ، فَلَقَدْ  
 وَانظُرْ إِلَى الصُّبْحِ سَيْفًا فِي يَدِي مَلِكٍ<sup>208</sup>  
 يَرِى الرِّعَايَا بِطَرْفِ سَاهِرٍ يَقِظُ  
 رَدُّوا مَوَارِدَ قَدْ أُورِدْتُمْ حَنْقًا  
 كَأَنِّي بِكُمْ قَدْ صَرْتُمْ سَمْرًا  
 أَمَاتَكُمْ قَبْلَ مَوْتٍ سَوْءٍ فَعَلَكُمْ  
 وَوَأَصْحَاحَ اخْتِلَاطِ مَدْحِ يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ بِهَجَاءِ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ .  
 د . اِمْتِزَاجِ مَدْحِ مَلِكِينَ بِالْهَجَاءِ :-

المعتاد في المديح أن يمدح الشاعر ممدوحاً واحداً وقلماً زاد عن ذلك، لكن بعض الشعراء  
 الأندلسيين فعلوا ذلك وهجوا أعداء الممدوحين في مثل قول أبي عبد الله بن عبادة الذي مدح كلاً  
 من المعتمد بن عباد الذي جرح في إحدى المعارك ويوسف بن تاشفين حين قال :-  
 وَقَالُوا كَفَّهُ<sup>211</sup> جَرَحْتَ فَقَلْنَا  
 وَمَا أَثَرَ الْجِرَاحَةَ مَا رَأَيْتُمْ  
 وَلَكِنْ فَاضَ سَيْلُ الْبَاسِ مِنْهَا  
 وَقَدْ صَحَّتْ وَ سَحَّتْ بِالْأَمَانِي  
 رَأَى مِنْهُ أَبُو يَعْقُوبَ<sup>213</sup> فِيهَا  
 أَعَادِيهِ تَوَاقَعَهَا الْجِرَاحُ<sup>212</sup>  
 فَتَرَهَبُهَا الْمَنَاصِلُ وَالرَّمَاحُ  
 فَفِيهَا مِنْ مَجَارِيهِ انْسِيَاخٍ  
 وَفَاضَ الْجُودُ مِنْهَا وَالسَّمَاحُ  
 غَقَابًا لَا يُهَاضُ لَهَا جِنَاحُ

- 204 - يريد أنه كان دكتاتوراً متسلطاً لا يسمع كلام الله ، فهو لا يسمع كلام الناصحين .  
 205 - فيه تناص مع قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلِيَّتِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَمْ يَبْرُؤُا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) القرآن الكريم (الأعراف:148)  
 206 -فيه تناص مع قوله تعالى (فَأَخْرَجَ هُمُ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) القرآن الكريم (طه:88)  
 207 - الصَّغْفُ وَ سَقُوطِ الهِمَّةِ .  
 208 - يريد يوسف بن تاشفين وفيه التماس جانب من جوانب الطبيعة حيث شبه الصبح بسيف في يد ملك .  
 209 - يريد عمر بن الخطاب (رض) .  
 210 - الذخيرة م 2 ، ص 158 - 159 .  
 211 - يريد المعتمد بن عباد .  
 212 - تحفظ .  
 213 - يريد يوسف بن تاشفين ملك المرابطين .

فقال له لك القِدْحُ المَعْلَى إذا صُرِبَتْ بمشهدك القِداح<sup>214</sup>.

وفيها هجاء خفيف لأعداء المعتمد .

مثل ذلك ما فعله عبد الجليل بن وهبون حين مدح المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين إذ

قال :-

فتار<sup>215</sup> إلى الطعان حليف صدق  
نُمي في حمير<sup>216</sup> وَنَمَتْكَ لَحْمٌ<sup>217</sup>  
فيوسفُ يوسف<sup>218</sup> إذ أَنْتَ منه  
نهجت لسيله نهجاً فوافى  
فَهَيْلٌ به كَثِيبُ الكفر هَيْلاً  
وصاروا فوق ظهر الأرض أرضاً  
عديداً لا يشارفه حسابُ  
تَأَلَّقَتْ الوجوش عليه شتى  
فإن ينجُ اللعينُ فلا كحراً

وفيه بالإضافة إلى مدح يوسف بن تاشفين والمعتمد هجاء واضح للأفونسو الملك الذي

حاربه الرجلان، وجيشاهما .

214 - الذخيرة م 2 ص 151 .

215 - الفاعل ضمير مستتر والمراد به يوسف بن تاشفين .

216 - كان يوسف بن تاشفين يزعم أنه ينتسب إلى حمير من عرب اليمن .

217 - يريد المعتمد بن عباد الذي ينتمي إلى قبيلة لحم العربية اليمانية أي أئهما أخوان عربيان يمانيان ، دون أن يهتم بأن

أحدهما /و هو المعتمد\ عربي و الآخر /و هو ابن تاشفين\ من البربر .

218 - يشبه يوسف بن تاشفين بالصديق يوسف بن يعقوب نبي الله .

219 - يريد به بنيامين بن يعقوب أخوا يوسف (ع) /و إنما تلاعب بالاسم بُغية إقامة الوزن\ و يشبه به المعتمد ، لأن

المعتمد أصغر سنأ من ابن تاشفين .

220 - الأرض ذات التراب اللين .

221 - الذخيرة م 2 ص 151-152 .

هـ . اجتماع مدح المادح لنفسه مع مدح الممدوح :-

ومن القصائد الشائعة في هذا المجال، قصيدة لأبن عمار الأندلسي في خمسة وأربعين بيتاً؛ يمدح فيها المعتضد بن عباد الإشبيلي؛ مهناً إياه بعيد النحر؛ مبيناً مزاياه بصفته شاعراً مادحاً طالباً نوال الممدوح؛ أعجبت الكثيرين، فذاعت وانتشرت ومنها :-

والنجم قد صرف العنان عن السرى	أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى
لما أسترده الليل منا العنبرا	والصبح قد أهدى لنا كافوره
لما سألت به الغمام الممطرا	وعلمت <sup>222</sup> حقاً أن روضي <sup>223</sup> مخصبٌ
أبصرت إسماعيل <sup>225</sup> فيه خنصرا	يا سائلي ما حمص <sup>224</sup> إلا خاتمٌ
من لا تسابقه الرياح إذا جرى	من لا توازنه الجبال إذا احتبى
إن كنت شبهت الكتائب أسطرا	لا شيء أقرأ من سفار خسامه
فقرأته في راحتيه مفسراً <sup>226</sup>	وجعلت معنى الجود حتى زرتة

فإلى اجتماع مدح الشاعر نفسه؛ مع مدحه للممدوح، فقد وصف مجلساً من مجالس الخمر؛ في أحضان الطبيعة الجميلة؛ قرب الفجر ليتخلص من ذلك كله إلى مدح نفسه ثم إلى مدح ممدوحه؛ في ديباجة جميلة، فكأنه لم ينتقل من موضوع إلى موضوع، وهي ظاهرة واضحة عند المجيدين من الشعراء الأندلسيين .

هكذا كان المدح في الأندلس، أفكان الشعراء المداحون كلهم؛ مداحين كاذبين يطلبون النوال؛ يأتون للاستجداء ولا يعرفون الوفاء أم كانوا محبين لممدوحهم؛ يمدحونهم أحياناً أو أمواتاً؛ ملوكاً أو مجردين من الملك ؟

هذا سؤال مهم يطرحه الكثيرون، فيجيبون عنه إجابات مختلفة؛ يغلب على أغلبها التعميم؛ والتعميم في موضع التخصيص؛ خطأ يستحق التصحيح، فالشعراء ناس من الناس فيهم الأمين الوفي، وفيهم الكاذب المخادع؛ فيهم الصالح وفيهم الطالح، والإنسان حالات، تختلف باختلاف الظروف والأشخاص، فقد يفي في ظرف مع شخص بينما يخرج عن سمت الوفاء في الظرف نفسه مع شخص آخر، فهذه مسألة تحكمها الحالة الإنسانية الآنية التي تحكم نفسية الشاعر، بصفته إنساناً؛ لأن صفة الشاعر؛ صفة مضافة إلى صفات الناس العاديين، فصحيح أنه ليس كل إنسان شاعراً، لكن كل شاعر إنسان، والناس يختلفون في صفاتهم لذلك يختلف الشعراء، على هذا الأساس نرى شعراء أخلصوا لممدوحهم منهم ابن اللبانة الداني وابن حمديس الصقلي اللذان أخلصا لبني

222 - يريد الممدوح و هو المعتضد.

223 - يريد نفسه، فالممدوح /المعتضد\ قد علم أن روض شعر المادح /ابن عمار\ مخصب ..... الخ .

224 - يُريد أشبيلية التي كانوا يشبهونها بمحص؛ المدينة الشامية المعروفة.

225 - يريد المعتضد بن عباد.

226 - محمد بن عمار الأندلسي رقم 1 ص 189.

عباد وزارا المعتمد في أسره ومدحاه ورثياه بعد موته، وقد تقدم الحديث عن ابن عبدون الذي أخلص لبني الأفطس بعد زوال دولتهم .

وإذ صار للشعراء ما صار من حظوة ومكانة ونيل مال؛ نتيجة لمدح الملوك والكبراء، وحاجة هؤلاء إلى هذا المدح، فقد لبس زي الشعراء الكثيرون؛ لذلك عرف بعض ملوك الطوائف الشعراء ففرقوا بينهم وبين المتشاعرين، فأرسلوا إلى الشعراء، وطلبوهم ومن ذلك ما فعله المعتمد بن عباد حيث أرسل إلى شاعرين معروفين هما:- أبو العرب الصقلي وأبو الحسن الحصري الكفيف؛ أرسل إلى كل منهما خمسمائة دينار، صلة يتزود بها، ليفد عليه، فوفد عليه أبو العرب، وتخلف عن الوفود إليه أبو الحسن؛ خوفاً من عبور البحر .

لم يزود المعتمد بن عباد؛ الشعراء للوصول إليه حسب، لكنه امتحن بعضهم، فنجح ابن حمديس وهو أحد أكبر شعراء الأندلس وفشل ابن عمار في الامتحان مع أنه من أكبر شعراء الأندلس؛ فشل حينما كانا يسيران على النهر، فطلب المعتمد إليه أن يجيز قوله:- (نسج الريح من الموج زرد) فلم يتمكن من إجازته، وأجازته فتاة كانت على النهر هي:- (اعتماد الريمكية) التي قالت:- (أي درع لقتال لو جمد) فكانت جائزتها أن طلب المعتمد التزوج بها، وذلك تقدير ليس بعدة تقدير؛ ينال شاعر من ممدوح .

ومع أن شعر المديح؛ بقي في دولتي المرابطين والموحدين، حيث استمر الشعراء المداحون في المدح، واستمر الممدوحون في قبول المدائح، فإن الشعر بصفة عامة قد ضمّر إلا ما كان من شعر كبار شعراء الطوائف، ونوابغ تلمذوا لهم ولمن جاءوا بعدهم؛ استمروا في نظم الشعر عامة ونظم المدح خاصة .

لم يكتف شعراء المديح بمدح ممدوحيههم بألسنتهم بل راحوا يمدحونهم على ألسنة بعض منجزاتهم، من ذلك ما فعله لسان الدين بن الخطيب على لسان قبة العرض فوق مجلس أبي حجاج يوسف الأول في الزهراء لتزوين بها تلك القبة فقال على لسانها تسعة أبيات منها:-

أبصرت مني في المصانع قبةً	تأنق في السعد من كل جانب
فتتلى سطور الكُتب فوقي دائماً	وتغرض من تحتي سطور الكتائب <sup>227</sup>

لم يمدح شعراء الأندلس الرجال فحسب، لكنهم مدحوا النساء كذلك في مثل قول ابن خفاجة يمدح في قصيدة جميلة مريم زوج تميم يقول فيها:-

مشهورة في الفضل قدماً و النهى	والجود شهرة عزة في أدهم <sup>228</sup>
تولى الأيادي عن يد نزل الندى	منها بمنزلة المحب المكرم
حمل الثناء بها القريض وإنما	حمل الحديث رواية عن مسلم <sup>229</sup>

227 - ينظر ديوان ابن الخطيب المسمى:- ((الصيب و الجهام و الماضي و الكهام)) تحقيق الدكتور قاهر (طبع الجزائر)



وهكذا يتألق شعراء الأندلس في مدائحهم؛ مستثمري كل وسيلة تؤدي بهم إلى ما يريدون من مدح ومدوحهم؛ سواء كان ذلك عن طريق مزج المدح بغيره من موضوعات الشعر، بألسنتهم أو بالسنة أشياء أخرى يؤنسونها يمنحونها الصفات البشرية مقتبسين من القرآن الكريم أو متناصين معه؛ مستثمري كل ما عندهم من علوم، وهم في مدائحهم لا ينسون الرسول الأعظم وآله الطيبين وصحبه الكرام، لكنني أحرث الحديث عن مدائح الرسول الكريم إلى موضوع (الزهد والتصوف والمدائح النبوية)، لأنني وجدت مكانه هناك أقرب، وإن كان مدح الرسول (ص)؛ من المدح الذي نرجو أن يكون صادقاً.

ثم أنهم لم يكتفوا بمدح الرجال، بل تجاوزوهم إلى النساء؛ متغزّلين بهن، فالتغزّل بالنساء؛ شكل من أشكال المدح، فكانوا يمدحون من يستحق المدح أو لا يستحقه؛ يمدحونه طلباً لنواله أو حباً حقيقياً له وهكذا هم الناس، وهكذا هو الفن عموماً والشعر خصوصاً.

## ثالثاً

### الثناء:-

يبدو موضوع الرثاء في الشعر العربي من أشهر موضوعاته وأهمها، وهو أمر طبيعي، ذلك أن الإنسان منذ وجد على هذه الأرض وجد نفسه تفقد عزيزاً عليها، فتتألم لفقده، وتأسى عليه، فتحتاج إلى من يعزيها عنه، كما ترى أنه سبقها إلى مصير، لا بد أن تصير إليه، والمؤكد أن هؤلاء الناس؛ أنتجوا وسائلهم في التعزية، لكن المهم بالنسبة لنا هو الرثاء عند العرب، فقد عرف العرب الرثاء في جاهليتهم، فكان الرثاء من شأن الرجال والنساء، وإن تفوقت فيه النساء، ولعل أشهر شاعرة عرفت بالثناء؛ كانت الخنساء الشاعرة المخضمة بين الجاهلية والإسلام، والتي استنشدتها رسول الله (ص)، فأنشدته التي بكت أخويها صخراً ومعوية، ثم تطور الرثاء في الإسلام وكثر الشعراء الذين رثوا وفاءً أو استجداءً وأهل الأندلس؛ ناس من الناس؛ لم يكونوا ليختلفوا عن غيرهم من الناس الذين يفقدون عزيزاً، فيحتاجون إلى من يعزيهم به أو يقدم لهم العبرة فيه، لذلك دار الرثاء الأندلسي في جملة مدارات أهمها:-

1. التآبين:- وهو ذكر محاسن الشخص ومزاياه حياً أو ميتاً، لكنه قُصِرَ فيما بعد على الأموات، حيث تذكر مناقب الميت ومحاسنه.
2. الندب:- وهو إظهار حزن النادب على المندوب وهو الميت مع البكاء والعيول، مما يثير أشجان الآخرين فيدفعهم إلى البكاء والنحيب؛ مشاركة للنادب في حزنه، وإعلاناً عن حزنهم معه.
3. العزاء:- وهو تبصير أهل الميت ومواساتهم على من فقده، مع إظهار الحزن واللوعة المشتركة لهذا الفقيد.

4. الاعتبار :- وهو فلسفة الموت وأخذ العبرة من هذه الفلسفة؛ استفادة من مثل قوله تعالى :- (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) <sup>230</sup> أو قوله تعالى :- (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) <sup>231</sup> وما إلى ذلك مما جاء في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو آثار الصالحين وأقوال الحكماء والفلاسفة وأهل الرأي، ففي الموت عظة لمن ينعظ وعبرة لمن يعتبر. وهذه المدارات التي تدور فيها القصيدة الرثائية؛ قد تجتمع في قصيدة واحدة، أو تنفرد الرثائية بواحد أو أكثر من هذه المدارات.

وأهم من يهتم بهم الناس أهلهم من والد أو والدة؛ زوج أو ولد؛ أخ أو أخت، و من ذلك رثاء الحصري لأبنة البالغ تسع سنين، ومع ذلك فقد كان يحفظ القرآن الكريم ويعرف قراءته ويجيد ترتيله؛ فكان رثاؤه إياه في ديوان ضم 2600 بيت على حروف الهجاء سماه (اقتراح القريح) ومن هذا الديوان قوله على روي الهمزة :-

حاشاك من نار على الأحشاء	يزداد ضعفاً حرها بالماء <sup>232</sup>
عزيتني فيما ترى وعزوتني	للصابرين ولات حين عزاء
من لي بأجر الصابرين وأعظمي	موهونة من أعظم الأرزاء
أودى الذي في وجهه ويمينه	ماءان ماء حيا وماء حياء
لو كان كل ابن نجيباً مثله	منع الإباء بكا على الأبناء
تسعى الرجال فلا تنال بحرصها	ما نال في تسع من العلياء
سالت حشاشة نفسه من أنفه	فشهدت منه مصرع الشهداء <sup>233</sup>

ليس فقد الولد وحده؛ مثيراً للحنن، لكن مما يثير الحزن كذلك؛ فقد المرأة الزوج الصالح، أو فقد الرجل الزوج الصالحة، ومن شعراء الأندلس؛ الذين فقدوا أزواجهم، فبكوهن بكاءً مرأ؛ الشاعر الزاهد أبو إسحاق الألبيري، والأعمى التطيلي الذي رثى زوجه آمنة ومن رثائه لها قوله :-

ونبتت ذاك الوجه غيره البلى	على قرب عهد بالطلاق والبشر <sup>234</sup>
وما فعلت تلك المحاسن في الثرى	فقد ساء ظني بين أدري ولا أدري
أأمن <sup>235</sup> إن أجزع عليك فيأمني	رزئتك أحلى من شبابي ومن وفري
أأمن لا والله مازلت موفياً	لبينك لو أني أخذت له حذري

230 - القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآيتان 26-27.

231 - القرآن الكريم، سورة آل عمران، من الآية 185 ، و تنظر سورة الأنبياء 35 و العنكبوت 57.

232 - تحفظ أربعة أبيات.

233 - أبو الحسن الحصري 273.

234 - تحفظ أربعة أبيات.

235 - فيه ترخيم بحذف التاء المربوطة و إبدال الفتحة التي سبقتها، بالضم على طريقة من لا ينتظر؛ تحبياً.

ونبتت ذلك الجيد أصبح عاطلاً  
 خذي اللؤلؤ الرطب الذي لهجوا به  
 خذي أدمعي إن كنت غضبي على الدر  
 محارته عيني ولجته صدي<sup>236</sup>

فكان واضح التمييز في رثاء النساء؛ مما أهله لرتاء بعض نساء المرابطين .  
 ولعل أهم من رثى زوجته في الأندلس ابن جبير الرحالة الأندلسي الذي نظم ديواناً كاملاً عن  
 (أم المجد) سماه (نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح).  
 وتابع هؤلاء آخرون منهم ابن الزقاق (ت 530 هـ) يرثى زوجته درة، ومن الشعراء الموحدين  
 أبو عامر بن العمارة وهو مما يبين أهمية المرأة الصالحة في الأندلس، ومكانتها في قلب الرجل  
 خصوصاً إذا كان ذلك الرجل، زوجاً لها .  
 لم يرث الشعراء الأندلسيون أبناءهم وأزواجهم فحسب بل رثوا غيرهم من أهليهم ذلك إن  
 ابن حمديس مثلاً رثى أباه و زوجته وجاريته.  
 ولم يعبر الشعراء الأندلسيون عن عواطفهم الجياشة برثاء أهليهم فحسب، لكن بعضهم  
 رثى نفسه مثلما فعل المعتمد بن عباد الذي أوصى أن تكتب هذه الأبيات على قبره، يقول :-  
 قبر الغريب سقاك الرائح الغادي  
 بالحلم، بالعلم، بالنعمة إذا اتصلت  
 حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد<sup>237</sup>؟!  
 بالخصب إن أجدبوا، بالرّي للصادي  
 بالموت أحمر بالضرغامه العادي  
 بالبدر في ظلم بالصدر في النادي  
 من السماء فوافاني لميعاد  
 أن الجبال تهادى فوق أعواد  
 رواك كل قطوب البرق رعاد  
 تحت الصفيح بدمع رائح غاد  
 من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد  
 على دفينك، لا تحصى بتعداد<sup>238</sup>

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي  
 بالحلم، بالعلم، بالنعمة إذا اتصلت  
 بالطاعن الضارب الرامي إذا اقتتلوا  
 بالدهر في نغم، بالبحر في نعم  
 نعم، هو الحق حاباني به قدر  
 ولم أكن قبل ذلك النعش أعلمه  
 كفاك فارق بما استودعت من كرم  
 يبكي أخاه الذي غيبت وابله  
 حتى يجود بدمع الطل منهمرا  
 ولا تزال صلاة الله دائمة

ومع إن هذه الأبيات ليست معارضة لقصيدة مالك بن الريب وزناً ولا قافية إلا أنها قريبة  
 منها نفسياً، من حيث غربة الشاعرين، أقول هذا مع احترامي لما ذهب إليه الدكتور منجد  
 مصطفى بهجت حين تصور مشاعر ابن شهيد وهو يسوّغ انتحاره أنه يرثى نفسه كما فعل مالك  
 بن الريب يقول الدكتور “وإذا كانت الاتجاهات الطريفة تستوقفنا، والتيارات الجديدة تستهويننا  
 وتجعلنا نتبعها ونسبر أغوارها، فإن مما يذكر بيائية مالك بن الريب التي رثى فيها نفسه  
 بقصيدته التي مطلعها:

236 - ديوان الأعمى التطيلي رقم 24، 129/2.

237 - تحفظ أربعة أبيات.

238 - تاريخ الفكر الأندلسي، بالنبيا، ص 105.

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة      بجنب الغضا أُرْجِي القلاص التواجيا  
أبيات ابن شهيد التي قالها في مرض موته وكان قد عزم على الانتحار سنة  
(426هـ)، وفيها لوعة شديدة وحرقة مريرة حيث يقول:  
أنوح على نفسي وأندب نبها      إذا أنا في الضراء أزمعتُ قتلها  
رضيئت قضاء الله في كل حالة      عليّ و أحكاماً تيقنتُ عدلها  
أظللّ تعيد الدار تجنّبي العصا      على ضعف ساقٍ أوهن السقم رجلا  
وأنعى خسيسات ابن آدم عاملاً      براحة طفل أحكم الضر نصلها<sup>239</sup>  
وواضح أن ابن شهيد، يسير في طريق شعري، ويسير مالك بن الربيع؛ في طريق شعري  
آخر .

ومن أبواب الرثاء التي أكثر الشعراء النظم فيها، رثاء الملوك والقادة والأصدقاء وقد  
اختلقت بعض أشعارهم بالعبرة ورثاء المدن والممالك حيث رثوا المعتمد بن عباد بعد زوال ملكه  
وابن الأفطس كذلك.

وإذا كانت عواطف الإنسان؛ تجيش لفقد عزيز أو لتوقع فقدان النفس، فقد لا تجيش بل لا  
تتوفر إذا كان الرثاء موجهاً لغير هؤلاء، من هنا اضطر شعراء الرثاء إلى أن يتوسلوا بوسائل  
تعوضهم عن العواطف الإنسانية الجياشة كالتفلسف والاعتبار ومن ذلك ما فعله ابن وهبون وهو  
يرثي صديقه وأستاذه الأعم الشنتمري بأن قال :-

سبق الفناء فما يدوم بقاء      تفنى النجوم وتسقط العلياء  
نفسي وجسمي إن وضعتهما معاً      آلٌ يذوبُ وصخرةٌ خلقاء  
إنا لنعلم ما يراد بنا فلم      تعيا القلوب وتغلب الأهواء  
لم ينكر الإنسان ما هو ثابت      في طبعه لو صحت الآراء  
ونظير موت المرء بعد حياته      أن تستوي من جسمه الأعضاء  
طيف المنايا في أساليب المنى      وعلى طريق الصحة الأدوية  
فأنت ترى في الشطر الثاني من البيت الأول مبالغة في تصويره فناء النجوم وقرنه هذا الفناء  
بسقوط العلياء، وواضح أن هذا من نتائج ضعف العاطفة التي تبدو في مجمل الأبيات، مثل هذا  
ما فعله الأعمى التطيلي حين مزج رثاءه (ابن ييناقي) بسقوط الدول تعزياً واعتباراً حين قال :-

خذا حدثاني عن فل وفلان      لعلي أرى باق على الحدثان  
وعن دول حسن الديار وأهلها      فنين وصراف الدهر ليس بفان  
وعن هرمي مصر الغداة أمتّعا      بشرخ شباب أم هما هرمان  
ثم يقول :-  
فذلّت رقاب من رجال أعرّة      إليهم تناهى عز كل مكان  
وأي قبيل لم يصدّع جميعهم      ب بكر من الأرزاء أو بعوان

239 - الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص 139.

ونبهني ناعٍ مع الصبح كلما تشاغلته عنه عن لي وعناني  
أغمض أجفاني كأني نائمٌ وقد لجأت الأحشاء في الخفقان  
أقول كأني لست أحفل وانبرت دموعي فأبدت ما يجنُّ جناني<sup>240</sup>  
فقله :- (قد لجت الأحشاء بالخفقان)؛ مما يدلّ على ضعف عاطفته، فالقلب هو الذي يخفق،  
فما بال بقية الأحشاء؟!

لم يكن لوجود كلمة (الأحشاء) سبب غير أنها تقيم الوزن، أما كلمة (القلب)، فإنها تكسره .  
ومما قد يؤكد قلة جيشان عواطف الشعراء وهم يرثون الموتى من غير أعزائهم اختلاط  
رثائهم بالتهنئة ومثاله قول ابن الحنات الكفيف يرثي أبا حزم بن جهور أمير قرطبة ويهنئ  
ولده أبا الوليد بالإمارة حين يقول :-  
إنّا إلى الله في الرزء الذي فجعا والحمد لله في الحكم الذي وقعنا<sup>241</sup>  
أبّ كريمٌ عدا الفردوس مسكنه وابنٌ نجيبٌ تولّى الأمر واضطجعا  
لله شمس ضحى في اللحد قد غربت فأعقبت قمراً بالسعد قد طلعا<sup>242</sup>  
وظاهرة الرثاء والتهنئة في قصيدة واحدة؛ ظاهرة واسعة الانتشار في الأندلس؛ مارسها  
العديد من الشعراء .

وقد رثى مقدم بن معافي القبري سعيد بن جودي زعيم العرب بسينية فاترة العاطفة لا  
تعدو صفات الرثاء المعتادة حين قال :-

من ذا الذي يُطعمُ أو يكسو وقد حوى جِلْفَ التَّدَى رَمَسُ  
لا اخضرت الأرض ولا أورق الـ عودٌ ولا أشرقت الشمسُ  
بعد ابن جودي الذي لن ترى أكرم منه الجنُّ والإانسُ  
دموع عيني في سبيل الأسي على سعيد أبداً حُبْسُ<sup>243</sup>

لكن ما تقدم لا يعني عدم وجود الشعراء المخلصين الأوفياء في الأندلس، فبغض النظر عن  
كل شيء، فقد تقدم رثاء ابن عبدون لدولة بني الأفتلس، كما وجد بنو عباد ولا سيما المعتمد بن  
عباد في ابن حمديس وابن اللبانة الداني وغيرهما؛ من يرثيهم .

ومن الطبيعي ألا تكون المراثي للأشخاص أو للأسر خاصة لكننا نجد من يرثي مملكة هوت أو  
مدينة سقطت، وقلما سقطت مدينة أو هوت مملكة دون أن يبنه المثقفون المسؤولين إلى مواطن  
الضعف ومفاصل المخاطر، بل كثيراً ما استصرخوا الأصدقاء فوجدوا من يجيبهم، أو لم يستجب  
لاستصراخهم أحد، وهكذا هوت وتهوي المدن والدول، إذا لم تستمع إلى نداءات أهل الرأي،

240 - الديوان ص 224 .

241 - تحفظ .

242 - الذخيرة م 280/1

243 - المقتبس: الجزء الخاص بالأمير عبد الله بن محمد.

فتنصف الناس الذين قد يحتملون الظلم والخطأ ساعة بل ساعات، لكن لا يمكن احتمال الظلم والخطأ إلى قيام الساعة .

**رابعاً:-**

### **الزهد والتصوف والمدائح النبوية**

مع إن كلمتي (الزهد) و (التصوف) كلمتان شائعتان في الفكر العربي وضمن موضوعات الشعر العربي إلا أن ثانيتهما غير موجودة في القرآن الكريم، أما أولاهما فقد جاءت خامتها في آية واحدة هي قوله تعالى:- (وَشَرُّهُ <sup>244</sup> بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَّعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الرَّاہِدِينَ) <sup>245</sup> فكان معناها هو معناها اللغوي وهو:- (الرغبة عن الشيء) أي عدم المبالاة به ف (يوسف) (ع)؛ كان مرغوباً عنه؛ عند من باعوه، وعند من اشتروه إذ لو كان البائعون له؛ مبالين به لطلبوا له ثمناً باهظاً، ولما قبلوا بيعه بثمن بخس دراهم معدودة كما تقدم في قوله تعالى فالزهد إذن هو الرغبة عن الشيء أي شيء وإن تخصصت الكلمة بالرغبة عما في الدنيا؛ طلباً لما عند الله سبحانه وتعالى في الآخرة .

أما في الاصطلاح، فهو "ترك المباح المحبوب المقذور عليه لأجل الله" <sup>246</sup>

ومن الطبيعي أن ترتبط مشاعر الزهاد الأندلسيين، بمشاعر إخوانهم الذين عاصروهم او سبقوهم إلى الزهد في المشرق؛ ابتداءً من عهد النبوة واستمراراً في العهود التالية حيث تطور الزهد وشعره وبدأت بواكير التصوف؛ نتيجة لانقضاء بعض المسلمين ولا سيما الحكام على الدنيا وتفقاتهم طلباً لها، ومن ثم ردة الفعل الناتجة عن منابع الفكر الإسلامي؛ الراض للانغماس في اللذائذ والشهوات؛ بعيداً عن التوسط الإسلامي، لكن ذلك لم يظهر واضحاً في بداية فتح المسلمين للأندلس، لأن الأوضاع في الأندلس لم تكن مستقرة، وكان الناس منشغلين بأمورهم المختلفة، فلما قامت ثورة الربض <sup>247</sup>؛ ضد الحُكْم الرِّبْضِي؛ الذي أحرق دور أهل الربض الذين ثاروا عليه، ثم هجرهم إلى خارج الأندلس، وجد مخالفوه فعله ضرباً من ضروب القسوة الشديدة، الأمر الذي حرك في نفوسهم طبيعتها الزاهدة، فكان شعراؤهم ينظمون قصائدهم التي يعرضون فيها بحُكْم الحُكْم الرِّبْضِي، وينشدونها في الليل، كيما لا يُعرف المنشد ومن يستمعون إليه .  
ومما زاد الزهد تأججاً؛ عوامل ذاتية من أهمها:-

---

244 - المراد بالهاء يوسف عليه السلام.

245- القرآن الكريم ، يوسف:20

246- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص 140.

247 - وقعت ثورة الربض سنة 202 هـ ضد الحُكْم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس آنذاك فأوقع بأهل

الربض وأحرق بيوتهم وأخرجهم من الأندلس؛ مشردين في المغرب و صقلية و جزيرة أفریطش /كربت حالياً\ لذلك

فهو معروف بالحُكْم الرِّبْضِي، و الربض ضاحية كانت قريبة من قرطبة في جنوبها.

أ. انغماس بعض أبناء المدن الأندلسية؛ باللهو والمجون<sup>248</sup>.

ب. اندفاع البعض نحو التقوى؛ إيماناً بالإسلام أصلاً أو كردة فعل على لهو اللاهين ومجون الماجنين، قد يكون ذلك عند الشباب، وقد يكون عند الشيوخ الذين شعروا بأنهم قد فرطوا في شبابهم، ومن ذلك (محصات) ابن عبد ربه، وهي القصائد التي نظمها في شيخوخته، تحميصاً لقصائد الغزل التي نظمها في شبابه.

ج. قد يكون جانب من زهد الأندلسيين المسلمين؛ نابغاً من تشدد المسيحيين الذين أسلموا في زهدهم.

د. تأثر الشعراء الأندلسيين بتيار شعر الزهد في المشرق، ولا سيما شعر أبي العتاهية الزهدي السهل الذي ذاع في المشرق، ووجد قبولاً في نفوس بعض الأندلسيين الساخطين على الواقع الذي لم يرتضوه؛ من هنا تشيع السهولة في شعر الزهد الأندلسي.

هـ. قد يكون للزهاد المفكرين من أمثال ابن مسرة وابن طفيل وابن عربي وغيرهم أثر في تقوية روح الزهد لدى أتباعهم ومن تأثر بهم من الأندلسيين.

ومن الطبيعي ألا يقتصر الزهد على جنس واحد من جنسي البشر، فكما أن هناك رجالاً زاهدين، فهناك نساء زاهدات جاءت أسماءهن في كتب التراجم مقترنة بأسماء الرجال، ومن هذه الكتب؛ كتاباً:- الصلة لابن بشكوال، والتكملة لابن الأبار.

والأليبري من الشعراء الأندلسيين؛ الذين استلهموا الفكر الإسلامي في قصائدهم الزهدية؛ فقد جعل في بعض قصائده كلمة واحدة تمثل قافية القصيدة، ومن ذلك كلمة:- (النار)، فهو يتحدث في تلك القصيدة عما يجري في النار للعصاة والمتمردين اللاهين المقبلين على الشهوات الدنيوية؛ في النار التي يندمون فيها على ما فعلوه في الدنيا؛ مستغيثين؛ تائبين؛ طالبين الرحمة، لو قبل الله سبحانه وتعالى توبتهم ووجدت رحمته عز وجل سبيلها إليهم، يقول:-

ويل لأهل النار في النار  
ماذا يقاسون من النار<sup>249</sup>

تنقذ من غيظ فتغلي بهم  
كمرجل يغلي على النار

وكلهم معترف نادم  
لو تقبل التوبة في النار<sup>250</sup>

ومن ذلك تقفيته قصيدة أخرى في ثلاثة وخمسين بيتاً بلفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى مسبحاً إياه قائلاً:-

يا أيها المغتر بالله  
فر من الله إلى الله

ولذ به وأسأله من فضله  
فقد نجا من لاذ بالله

وقم له والليل في جنح  
فحبذا من قام لله

248- تقدم شيء من شعر اللهو و المجون.

249 - تحفظ.

250 - ديوان الأليبري ص 90.

وأُتل عن الوحي ولو آية

تُكسُ بها نوراً من الله<sup>251</sup>

وإذا كان حديثه في القصيدة الأولى؛ عما يجري لأهل النار؛ في النار، فقد كانت القصيدة الثانية حديثاً إلى المفترين بصبر الله على العصاة؛ عبر أوامر متتالية؛ يصدرها الشاعر إليهم تتخللها أخبار بما يتحقق لمنفذ هذه الأوامر .

وفي هاتين القصيدتين؛ خرج الألبيري على ما اعتاده الشعراء العرب من استعمال ألفاظ مختلفة في قافية أبيات قصيدة واحدة، وقد يعد عمل الألبيري هذا؛ تجديداً في الشعر قلما التزمه غيره، وقد يعد خروجاً على المعتاد من الأساليب الشعرية العربية، ولكل رأي.

وإذا بدا الألبيري مسبحاً لله سبحانه وتعالى مخوفاً من ناره، فقد عرض أبو وهب عبد الرحمن العباسي القرطبي فقره، بل رضاه عن هذا الفقر الذي لم يجد له معه بيتاً يلتجأ إليه، ولا كسوة يخاف عليها شر اللصوص ولا فراشاً يفترشه، بل لا وسادة عنده غير إحدى يديه اليمنى فإن تعبت، استعاض عنها بالأخرى اليسرى وهو مع ذلك زاهد في هذا كله إذ يرى غناه في أنه أحسن الناس حالاً لأن بيته حيث ما شاء من الأرض وهو يشرب الماء الزلال؛ ترى أمثل هذا الرجل فقير أم غني؟! إنه زاهد في متاع الدنيا مغتنٍ عنه بما يجد إذ يقول :-

أنا في حالتي التي قد تراني	إن تأملت أحسن الناس حالا
منزلي حيث شئت من مستقر الـ	أرض أسقى من المياه زلالا
ليس لي كسوة أخاف عليها	من مغير ولا ترى لي مالا
أجعل الساعد اليمين وسادي	ثم أنثني إذا انقلبت الشمالا <sup>252</sup>

وهو موقف فلسفي قد نرفضه لأنه لا يحث على العمل، لكنه موقف شعري يعبر عما كان يعانيه بعض أهل الأندلس من شظف العيش وصعوبة الحياة .

وقد يتجه إلى هذا الاتجاه نفسه أبو الحجاج يوسف المنصفي في قوله :-

قالت لي النفس : أتاك الردى وأنت في بحر الخطايا مقيم<sup>253</sup>

هلا أخذت الزاد قلت اقصري هل يحمل الزاد لدار الكريم

فهو يجري محاورة بين الشاعر ونفسه التي ترى نفاذ العمر واقتراب الردى وصاحبها سادر في غيه مقيم في بحر الخطايا، لا يحمل زاداً من العمل الصالح، من هنا فهي تسأله :- (هلا حملت الزاد)؟! فيردعها بقوله :- (اقصري) كفي عن الملام متسائلاً :- (هل يحمل الزاد لبيت الكريم)؟! إنها تراه قليل الزاد نادر العمل الصالح الذي يواجه به ربه عز وجل، أما هو فيرى أن ربه رب كريم، لذلك فهو لا يحمل الزاد العمل الصالح إليه .

251 - م، ن، ص 65.

252 - ينظر في :- أي وهب و ترجمته و شعره ص 58 .

253 - تحفظ .



وفي كلا الأمرين تقصير، فمهمة الإنسان أن يعمل على إعمار الأرض ولا تعمر الأرض إلا بالعمل الصالح، لكن لكل رؤية .

أما لسان الدين بن الخطيب الشاعر بخلطه فإنه يسأل ربه سبحانه وتعالى أن يقيه من خطئه ويعفو عنه؛ مقسماً عليه بالحجج وما يفعلونه في مناسكهم حيث الأماكن التي يحجون إليها، كذلك يقسم عليه برسول الله (ص) وبصحة الكرام مجلاً له داعياً إياه بما يستحقه من صفات منادياً راجياً الصفح ورأب الصدع مكرراً طلب الإقالة حين يقول :-

إلهي بالبيت المقدس والمسعى  
وبالموقف المشهود يا رب في منى  
وبالمصطفى والصحب عجل إقالتني  
صدعت وأنت المستغاث جنابه  
وإذا كان الناس العاديون؛ محتاجين إلى مدائح الرسول (ص)، وكان الشعراء العاديون يلبون مثل تلك الحاجة، فمن الطبيعي أن يتداخل شعر الزهد والتصوف مع المدائح النبوية، إذ أننا نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بمدح الرسول (ص) وهو ما فعله ابن العريف الصوفي حين قال :-

وحقك يا محمد إن قلبي  
يُحبك قربة نحو الإله<sup>254</sup>  
جرت أمواه حُبك في فؤادي  
فهام القلب في طيب المياه

فإذا كان ابن الخطيب يقسم على الله سبحانه وتعالى بالمصطفى (ص) وصحبه، فإن ابن العريف يقسم بالرسول الكريم (ص) ويذكر أنه يحبه قربة إلى الله تعالى، وإذا كان أبو إسحاق الألبيري؛ قد قفى بكلمة واحدة أبيات كل قصيدة من قصيدتيه السابقتين، فإن ابن العريف الصوفي قد بدأ كل بيت من أبيات قصيدة له بقوله للرسول الكريم (ص)، (صلى)، ومنها قوله :-

صلى الإله على النبي الهادي  
صلى عليه الله ما أسود الدجى  
صلى عليه الله ما أنبلج السنا  
فابيض وجه الأرض بعد سواد  
ما لاذت الأرواح بالأجساد  
فكسا حياءً الأفق بُردُ جداد

وهكذا نجد أشعار الزهد والتصوف والمدائح النبوية الرقيقة البسيطة المتدفقة عاطفة؛ تشيع في الأندلس؛ قريبة من المزاج الشعبي الطافح بالمحبة لله سبحانه وتعالى والرسول (ص) وأمل الخير في الله العزيز القدير؛ الهادي الكريم، وبعض هذه الأشعار على ما فيها من جدية تحوي شيئاً من الدعابة تعبر عن حالة الإنسان حين يتواءم مع نفسه؛ على الرغم من كل الظروف الاجتماعية القاسية .

وهكذا نكون قد عرضنا بصورة سريعة وموجزة لبعض موضوعات الشعر الأندلسي، مشيرين إلى أصولها منبهين إلى بعض أهم اتجاهاتها؛ منتبهين إلى إن هناك الكثير مما ينبغي أن يقال وأن يعرف، لكننا نكتفي بهذا القليل المشير إلى الكثير الجميل المثير الذي ينبغي التعرض له والتعرف عليه بشكل شخصي .

## من خصائص الشعر الأندلسي

قرأت في ما تقدم شيئاً قليلاً عن الأندلس طبيعةً ومجتمعاً وفكراً ونصوصاً يسيرة من الشعر الأندلسي الذي عبر عن هذا كله، فهل توصلت إلى شيء من خصائص هذا الشعر؟ إذا كنت قد توصلت إلى بعض هذه الخصائص، فحاول أن تقارنها مع ما سيأتي منها، ذلك أن العلماء بالشعر الأندلسي والباحثين فيه ومؤرخيه، يختلفون اختلافاً واسعاً في تحديد هذه الخصائص، وإن كانوا يتفقون على حد أدنى منها أو يقتربون من هذا الحد فما أهم خصائص الشعر الأندلسي؟

من السمات الواضحة في الشخصية الأندلسية، المنعكسة على الشعر الأندلسي :-

1. عدم توحيد الشخصية الأندلسية مع البيئة الجديدة، والمجتمع الجديد لعدم انصهارها فيهما وشعورها بأنها غريبة في بيئة غريبة، وقد تعبر عن ذلك أبيات عبد الرحمن الداخل التي تحدث فيها عن نخلة غريبة رآها في الرصافة، ولها أشباه ونظائر كثيرة في شعرهم ونثرهم، حتى لتبدو الغربة واضحة عند (ابن حزم) فيما سيأتي من شعره وعند (لسان الدين بن الخطيب)، بوصفهما شاعرين ناثرين مثيرين مؤثرين .

2. يلاحظ انصراف أغلبية العرب والبربر في الأندلس عن العمل في الثقافة وتفرغهم للحرب لكثرة الحروب التي خاضوها والفتن التي وقعت ولأن مردودات الحرب من حيث المال والشهرة أكثر من مردودات الثقافة وأسرع، وكثير من الناس يُقبل على الربح السريع، مع ما قد يترتب عليه من مخاطر ليست بعيدة عن المثقفين، من هنا يبدو تذرماً أديب الأندلس وشعرائها من الأوضاع المتقلبة المتغيرة التي يعبرون عنها رمزاً وتلميحاً أو يذكرونها بصراحة، لذا أتضح التكسب بالشعر، فصار الشاعر المتكسب، يستجدي الممدوح ملكاً كان أم غير ملك طامعاً في عطائه، حتى إذا كان الممدوح ملكاً أو وزيراً؛ طمح أن يكون في حاشيته كاتباً أو وزيراً أو ذا وزارتين، وقل الذين مدحوا الممدوح بما هو فيه أو بقوا على حبهم له بعد أن أدارت الدنيا له ظهرها .

وأقل منهم من مدح غير متكسب، وهناك من وقف ضد الحكام وظلمهم فنقدتهم أو نقد المجتمع، وهي أمور قد تتضح عند شاعر ما أو تختلط في شعر شاعر آخر، حسب موقف الشاعر وهدفه من الشعر وكل ذلك موضع في مكانه من هذا الكتاب .

3. صور الشعر بعض الكوارث الطبيعية كانت أم اجتماعية وفي أبيات المعتمد بن عباد مثال على كارثة اجتماعية حولت الملك إلى أسير ونقلت بناته الأميرات إلى مجرد (غزالات) كما أن في أبيات ابن عبدون شعوراً بانهيار دولة وتفكيراً في ما تأول إليه الدول فهو يرثي مملكة زائلة، مثلما بكى المعتمد ملكة الزائل، وفي أبيات السميصر شعور بالظلم وتخويف من مخاطر الثورة التي يبين بعض أسبابها، وهو شكل من أشكال التنبيه إلى المشكلة بغية حلها قبل وقوع الكارثة، ومثله الاستنجد بالدول الصديقة للمساعدة في إنقاذ مدينة ما أو دولة ما، فقد استنجد المعتمد

بن عباد بدولة المرابطين لمساعدته على حرب خصومه، كما استنجد أبو عبد الله القاضي الأندلسي، بصاحب أفريقيا أبي زكريا ابن أبي حفص للدفاع عن مدينة بلنسية ومن هذه القصيدة قوله:-

أدرِكْ بخيلِك خيلَ الله أندلساً      إن السبيل إلى منجاتها درسا<sup>255</sup>  
وهب لها من عزيز النصر ما التمتست      فلم يزلُ منك عز النصر ملتتمسا

وهكذا يبدو الشعر الأندلسي، مصوراً للكوارث قبل وقوعها، كي يتخذ المسؤولون الأبهة لتداركها، فإن لم يتداركها المسؤولون أو تداركوها فعجزوا عن صدها، صورها الشعراء آسفين، متفكرين، ولكن هل من مذكر؟!

4. "إن أكبر مميزات الشعر الأندلسي التي تطلعننا أنه شعر حضري لا جاهلية له وليس يُشبهه من ذلك شعر قطر من الأقطار العربية"<sup>6</sup> وفيه نظر، ذلك أن من الصحيح أن الشعر الأندلسي شعر حضري، لكن هذا الشعر يستند إلى شعر العرب الذي كان فيه شيء من البداوة، بل إن بعض الشعر الأندلسي؛ يذكر ما كان يذكره الجاهليون والإسلاميون من مواضع في جزيرة العرب، حتى أن الدكتورة هدى شوكت تقول:- "احتذى الشاعر الأندلسي في مقدماته مثال الشاعر المشرقي في المضمون واللغة وجاراه في الأوصاف والتشبيهات وبخاصة وصف محاسن الحبيبة وأورد أسماء مواضع من الجزيرة العربية تشوق إليها، وذكر أسماء نساء عرفت في الشعر العربي، والاهتمام بمعاني الوقوف والسلام على الطلل والبكاء"<sup>7</sup> الخ وسيأتي ما يدل على الكثير من ذلك، في (الموشح الأندلسي بين الأصالة والإبداع) من هذا الكتاب ثم أن الشعراء الذين دخلوا الأندلس مع الجيش الذي فتح الأندلس أو الذين دخلوها بعد الفتح كانوا شعراء عرباً متأثرين بما عرفوه من الشعر في الأقاليم العربية التي انتقلوا منها إلى الأندلس، هذه الأقاليم العربية التي انتقلوا منها إلى الأندلس تغيرت حالتها متطورة؛ متأثرة بالإسلام وبالحضارات التي تداخلت معه، فلم تعد تلك الأقاليم بدوية صرفاً، وإنما صارت أقاليم فيها جوانب من البداوة، مثل التمسك بالقبيلية، والتشبث بالتأثر، في الوقت نفسه تأثرت بالإسلام وتفاعلت مع الحضارات التي تداخل معها وبدا على جانب منها تأثير الثقافة من حيث الملبس والمأكل وطريقة الحياة ونوعية العمل ووسائله، وهكذا تكون أولية الشعر الأندلسي وبداوته هي أولية الشعر العربي وبداوته باعتبار رأي أكبر مؤرخيه ومنهم ابن بسام الذي ألف كتاب الذخيرة، لأنه تألم من تبعية شعراء الأندلس لشعراء المشرق أو حب الأندلسيين لما في المشرق وإهمالهم لما عندهم من شعر وأدب، وخوفاً

255 - يحفظ المبيان.

256- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ص 59 .

257- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي دراسة موضوعية فنية، د. هدى شوكت بجمام، ص 333، ويُظن

الفصلان الأول والثاني من الكتاب نفسه.

على هذا الشعر والأدب الأندلسيين من الضياع ألف ابن بسام ذخيرته، لكن مع ذلك اقتدى<sup>258</sup> بالثعالبي الذي ألف يتيمة الدهر، وهو مشرقي، كما أن ابن بسام رجع بالكثير من معاني شعر الشعراء الأندلسيين؛ إلى شعر شعراء المشرق، بل إن إعجابه بالمشرق وأهله؛ واضح لكل من يقرأ كتاب الذخيرة.

5. "تسرب بعض الأفكار العلمية، على نحو ما نجد من أبيات ابن عبد ربه التي يناقض فيها فكرة (مسلم بن أحمد ابن أبي عبيدة) الفلكي المعروف بصاحب القبلة (ت 295 هـ) وذلك في قصيدة تنكر كروية الأرض، وهي من الأبيات الطريفة التي تُنبئ عن التقدم العلمي الذي أحرزته علماء الأندلس :-

أبا عبيدة ما السؤال عن خبر	تحكيه الاسواء والذي سألا
أبيت إلا شذوذاً عن جماعتنا	ولم تُصَب رأي من أرجى <sup>259</sup> ولا اعتزلا <sup>260</sup>
وقلت أن جميع الخلق في فلك	بهم يحيط وفيهم يقسم الأجل
والأرض كروية خُفَّ السماء بها	فوقاً وتحتاً وصارت نقطة مثلاً
صيفُ الجنوب شتاً للشمال بها	قد صارَ بينهما هذا وذا دولا <sup>261</sup>

ومع أن في الأبيات السابقة جانباً من الأفكار العلمية إلى أنها جاءت لنقض هذه الأفكار واستهجانها مع أن بعض الأندلسيين غني بالمسائل العلمية فعلاً فـ (مسلم بن أحمد ابن أبي عبيدة) الفلكي المعروف بصاحب القبلة قال بكروية الأرض لأنه عالم وأنكر ابن عبد ربه ذلك لا لأنه أديب، ولا لأنه لم يكن عالماً، بل لأن الشائع في ذلك الوقت كان انبساط الأرض لا كرويتها، لكن الجدل في ذلك الوقت بدأ بين العرب والمسلمين؛ حول هذه المسألة التي أخذت وقتاً طويلاً، وجهداً جهيدا في العالم؛ قبل أن يتم تثبيتها.

لقد حاول بعض الأندلسيين الطيران فعلاً أو تخيلاً، وقد أشار الشعر والنثر إلى بعض ذلك ففي رسالة التوابع والزواع "نجح (ابن شهيد) في تخيل حصان طائر أغناه عما فعله (عباس بن فرناس التاكرني) حين :- "أحتال في تطيير جثمانه، فكسا نفسه الريش على سرق الحرير، فتهيأ له أن استطار في الجو من ناحية الرصافة، واستقل في الهواء، فخلق فيه حتى وقع على مسافة بعيدة وقال فيه مؤمن :-

يطمُّ على العنقاء في طيرانها إذا ما كسا جثمانه ريش قشعمر

258- تُنظر مقدمة الذخيرة م 1 ص 1 - 3 .

259- الذي أرجى : أي الذي أرجأ / على لفظ أهل الأندلس ، و هو جازز في الشعر \ أي من فرقة المرجنة و هي فرقة كانت معروفة في ذلك الزمان تُرجى أمر الخلق إلى حساب الخالق .

260- من اعتزل فهو منسوب إلى فرقة المعتزلة . و الفرقتان : فرقة المرجنة و فرقة المعتزلة ؛ فرقتان منكرتان عند أغلب حكام الأندلس و فقهاءها .

261 - تاريخ علماء الأندلس ص 126 باب مسلم.

وتوفي في أعقاب أيام محمد بن عبد الرحمن سنة أربع وسبعين ومائتين“<sup>262</sup>،<sup>263</sup>،  
ومن يقرأ أدب الأندلس شعره ونثره يجد تأثيرات علمية مختلفة؛ على مستويات متعددة؛ منها ما  
يرفض الفكر العلمي، ومنها ما يستثمر العلم ولا سيما الفلك استثماراً سطحياً، ومنها ما يستفيد  
من العلم استفادة عالية مثلما فعل ابن طفيل في رسالته القصصية الفلسفية الشهيرة (حي بن  
يقظان) وهي مسألة طبيعية لأن الأدب يتأثر بالمحيط الذي ينشأ فيه، ويؤثر فيه؛ معبراً عنه؛  
عبر ما يجيش في ذهن الأديب أو الشاعر، فللشعراء مستوياتهم العلمية المتعددة، وقدراتهم  
المختلفة؛ في التعبير عن العلم، بل أن لهم تصورات متنوعة للعلم؛ كل هذا وسواه ينعكس على  
مرآة ذهن الشاعر الذي ينتج عنه الشعر .

6 . نظم الفنون والعلوم والقراءات والعروض والبديع والفقهاء :-

لم يتأثر شعر الأندلسيين وأدبهم بالعلم حسب لكنهم أجمعوا في نظم العلوم والفنون  
مبكرين، إمعاناً قلماً ألفه شعراء المشاركة، ومما نظموه أرجوزتا ابن عبد ربه في التاريخ<sup>264</sup>  
والعروض، ولعل أشهر أرجوزة نظمت النحو يعرفها القاضي والداني من طلاب العربية؛ هي ألفية  
ابن مالك في النحو والصرف، فهي أرجوزة أندلسية صاحبها من أهل الأندلس .

وهناك غير هذه الأنموذجات متون علمية أندلسية منظومة؛ كثيرة، وقد عني الأندلسيون  
بهذه المنظومات العلمية، بصفاتها وسيلة من وسائل الإيضاح؛ تُيسر للمتعلم حفظ العلم، وهو  
أسلوب شعري قد لا يُقره أكثر المحذنين، لكنه أسلوب مفيد في ذلك الزمان، وقد أفاد بعض أبناء  
الأزمة التالية .

7 . الازدواج اللغوي :-

وذلك بانتقال بعض الألفاظ من عامية الأندلس الرومانثية إلى الشعر الفصيح، وهي ظاهرة  
لم تقتصر على عصر ما بل اتصلت بالعمر المديد الذي عاشته الأندلس، عبر الشعر وتزداد نسبة  
العامية واللحن النحوي في الموشحات، في حين أن الرجز يُنظم بالعامية الأندلسية المتداولة  
وسياتي الحديث عن ذلك .

هذا بعض أهم خصائص الشعر الأندلسي التي تشارك الأدب الأندلسي خاصة في بعضها  
إلى هذا الحد أو ذاك، وتشارك شعر العرب وأدبهم عامة بهذا الشكل أو ذاك، فهي غير مقصورة  
على الشعر الأندلسي خاصة، ولا منثورة في كل الأدب العربي عامة، لكن المشتركات تبدو  
والمختلفات تتضح من خلال الاطلاع الواسع على الأدب العربي وعبر أدبائه المتفردين وبالنظر إلى  
النصوص المتميزة، فهناك مقتربات لا تخفى على العين البصيرة واختلافات تتضح للفكر النير .

262- المغرب في حلى المغرب ، ص 333 ، و ينظر تأريخ الأدب العربي ، ج 4 ، ص 135 .

263- ملامح قصصية في الرسائل الأندلسية د. خليل محمد إبراهيم، ص 69، المركز العلمي العراقي - بغداد، دار  
ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان بيروت 2013.

264- تقدم جانب منها عند الحديث عن ابن عبد ربه .

## الموشحات الأندلسية

### النظم عند العرب :-

اعتاد العرب ومنذ جاهليتهم على نظم الشعر بأسلوب أساسي واحد هو البيت القائم على الشطرين في قصيدة لها قافية واحدة، وقد يُصرَع شطرا البيت الواحد فيكونان بقافية واحدة؛ يغلب أن يكون هذا البيت في بداية القصيدة، وقلما يُقَفَى شطرا بيت واحد داخل القصيدة، استمر هذا الوضع حتى انتهى العصر الأموي في الشرق، وظهر من سماهم مؤرخو الأدب :- ب (الشعراء المولدين) الذين ثاروا على النمط الشعري القديم، بهذا الشكل أو ذاك، فظهر في بادئ الأمر الشعر المزدوج الذي يُقَفَى فيه شطرا كل بيت بقافية واحدة، لا يلتزمها الشاعر في الأبيات الأخرى مما يوحي بأن الشعراء العرب التفتوا إلى ضرورة التجديد في أساليب نظم الشعر شكلاً ومضموناً، ليس هنا مجال التفصيل فيه، لكنه يلفت النظر إلى أن ما حدث في الأندلس من تغيير في أسلوب النظم الشعري الذي سُمِّيَ بـ (الموشح)، لم يكن أمراً غريباً، فما هو الموشح ؟

الموشحات تعريفها وأهم عناصرها :-

### أ . تعريف الموشح :-

فن شعري عربي جديد في زمنه لعل شعراء الأندلس؛ استنبطوه؛ مخالفين فيه بعض القواعد المرعية في أوزان الشعر وقوافيه .

### ب . من أساليب نظم الموشح :-

تعتمد أساليب نظم الموشح على الأقفال والبيوت في تركيب يختلف باختلاف أنواعها وعليه فإن الموشحات تتألف من أسماط أو أقفال، ومن أبيات تتفرع إلى أغصان أي أجزاء وفقرات . فالقفل هو بيت أو مجموعة من الأبيات الشعرية تبتدئ بها الموشحة في أغلب الأحيان، وتتكرر قبل كل بيت منها .

ويسمى القفل سمطاً لأنه كالقلادة في الموشح، ويسمى أيضاً اللازمة، للزوم تكراره عند كل بيت .

يشترط في الأقفال التزام القافية، والوزن، والأجزاء، وعدد الأبيات الشعرية . ولما كان القفل ذا روي واحد لا يتبدل كان نتيجة الأجزاء فقط دون الفقرات والفقرة في الأصل تتألف من القافية أو الروي في كلمة واحدة أو تضم إلى تلك الكلمة بعض الكلام القليل المنظوم قبلها والقفل لا يكون أقل من جزأين وقد تبلغ أجزاءه الثمانية، ويندر أن تزيد عن ذلك فمثال القفل المكون من جزأين :-

شمسُ قارنت بدرًا راحُ ونديم<sup>265</sup>

ومثال القفل المركب من ثلاثة أجزاء :-

خلت يدُ الأمطار أزرّة النّوّار فيأخذني<sup>266</sup>

ومثال القفل المركب من أربعة أجزاء :-

أدر لنا أكواب يُنسى بها الوجدُ واستحضر الجُلاس كما اقتضى الودُ<sup>267</sup>  
فهذا القفل بيتان وإن تركب من أربعة أجزاء وهكذا في الأقفال ذات الأجزاء الخمسة أو  
الستة أو سواها .

والبيت هو ما نُظم بين القفلين من أبيات شعرية، وهو يسمى الدور .  
ويشتمل البيت على أجزاء تسمى أغصانا وهي تتعدد بتعدد الأغراض والمذاهب ويتألف  
البيت على الأغلب من ثلاثة أجزاء مثال على ذلك :-

أرى لك مُهندً أحاط به الإثمُ فجردَ وما جردُ  
فيا ساهر الجفنِ حُسامكُ قَطَّاعُ<sup>268</sup>

وقد يتألف من جزأين أو ثلاثة أجزاء ونصف مثال ذلك :-

مَنْ أودعَ الأجفانِ صوارمَ الهندِ  
وأنبتَ الريحانِ في صفحةِ الخدِ  
قضى على الهيمانِ بالدمعِ والسهدِ  
أتى وللكتمانِ !...<sup>269</sup>

ويتألف جزء البيت من فقرتين أو ثلاث فقرات أو أربع، وقد يكون الجزء مفردا أي غير  
مؤلف من فقرات ومثال البيت المركب من أربع فقرات وثلاثة أجزاء :-

بأبي ظبِّي جِمي تَكْنِفُهُ أُسدُ غَيْلِ<sup>270</sup>

مذهبي رشفَ لِمى قَرَقَنهُ السلسبيلِ

يَسْتَبِي قَلْبِي بما يَعْطِفُهُ إِذ يَمِيلِ<sup>271</sup> ...

والخرجة هي القفل الأخير من الموشح، وقد اشترطوا فيها أن تكون فكاهة، ملحونة

الألفاظ، جارية على لسان ناطق أو صامت، فهي عادةً عامية غير معربة إلا في بعض المدح  
وهنا نعرض نموذجا (يبتضخ معه ما سبق أن ذكرناه من اشتغال الخرجات كثيرا على ألفاظ من  
عامية الأندلس التي تمتاز فيها العربية بـ (الرومانثية) .

266- يحفظ

267- يحفظ

268- يحفظ

269- يحفظ

270 - يحفظ

271 - الموشحة لابن بقي تنظر في جيش التوشيح ص 5، تصنيف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ، حققه  
وقدم له وترجم لوشاحيه هلال ناجي، أعد أصلاً من أصله محمد ماضور، مطبعة المنار- تونس.

يقول بعض الأندلسيين :-

ثم يستمر الوشاح في ذكر أغصان موشحته وأقفالها، حتى يختتمها بهذه الأَشْطَر :-

ديّ ذا العنصرَ حقا	ألبُ ديةِ إشتِ ديةِ
ونشقُ الرمحَ شقا	بشترى موَ ألمدبجُ
متعت قلبي عشقا	لحظاتٍ بابليةِ
لائمي منه موقى	ولمى ثغر مفلجُ
ساكن مثواه قلبي	بأبي لو رق قلبه
أو يرى روعة سربي	قلما يأمن سربه
فأنا قد ضاع حسبي	حسبُ عدالي وحسبه
من سمات الحب حقا	هذه يا عادليةِ
وهي في دمعي غرقى	زفرات تتوهجُ



فهذا الختام الذي ختمت به الموشحة مزيج من ألفاظ عربية وأخرى (رومانثية) والفقرة الأولى معناها:- (هذا اليوم يوم فجري)) أي مشرق. فالكلمة الأولى منها وهي كلمة (ألب) من الكلمة الأسبانية alba بمعنى فجر، والكلمة الثانية وهي (ديه) معناها:- يوم، وهي في الأسبانية dia والكلمة الثالثة وهي (إشت) معناها:- هذا. وهي في الأسبانية este أما الفقرة الثانية فمعناها (يوم العنصرة حقاً)، والعنصرة عيد من أعياد الأندلسيين. والكلمة الأولى وهي (دي) معناها:- يوم، ويبدو أنها كانت تنطق (ديه) و(دي).. وأما الفقرة الثالثة، فمعناها (سأل بس مدبجي) والكلمة الأولى وهي (بشترى) هي التي صارت في الأسبانية vestire أي سألبس. والكلمة الثانية وهي (مو) هي ضمير المتكلم للمفرد المذكر، وقد صارت في الأسبانية mi أو mio وأما الفقرة الأخيرة فهي عربية كلها وعلى ذلك يكون معنى هذا الختام بجملته:- هذا اليوم يوم فجري، وإنه عيد العنصرة. سوف ألبس ثوبي المزين. واشق الرحم شقاً)<sup>272</sup>

### ج. الموشح بين بغداد والأندلس<sup>273</sup> :-

#### أصل الموشحات وأشهر أصحابها:-

#### تجرب شعريّة عباسية؛ تسبق أيها الساقى:-

لعل أول من ابتدأ الموشحات؛ في الأندلس وكان المخترع لها مقدّم بن معافر الفريري أو محمد بن محمود القبري على اختلاف المؤرخين والمؤلفين في الأدب الأندلسي وبرع بعد ذلك في هذا الفن وشاحون كثيرون كأبي عبد الله محمد بن عبادة ابن القزاز، وابن باجة الفيلسوف الأندلسي وابن زهر الحفيد الطبيب وابن سهل، وابن الخطيب، وابن زمرك، وغيرهم كثير، فالموشح؛ فن شعري موصوف بأنه (أندلسي)، لأنه كثر وانتشر وتطوّر؛ في (الأندلس)، وهو مفهوم ما ذهب إليه (ابن بسام الشنتريني)، لذا أحببت إثبات رأيه؛ في مسألة أولية الموشحات، وأول من نظم بها لتبليان الترّجّح حولها، فقد قال في حديثه عن أبي عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز:- "من مشاهير الأدباء الشعراء. وأكثر ما اشتهر اسمه وحفظ نظمه في أوزان الموشحات التي كثر استعمالها عند أهل الأندلس، وقد ذكرت فيما اخترت في هذا القسم من أخبار عبادة بن ماء السماء من برع في هذه الأوزان من الشعراء. وهذا الرجل ابن القزاز، ممن نسج على منوال ذلك الطراز، ورقم ديباجه، ورضع تاجه. وكلامه نازل في المديح، فأما ألفاظه في هذه الأوزان من

272 - نقلت هذا الجانب من الموشح مع خرجته وشرحها، من كتاب الادب الاندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ص

150، 151، 152، رغبة في ان نعرف على المراد من الموشح من حيث القفل والبيت والخرجة والمعاني غير العربية/

الاعمجية \ التي في الخرجة، وقد اعتمدت كتابا حديثا، لأن الكتب القديمة لا تقدم ترجمة للخرجات عادة، فالقراء يعرفون تلك المعاني.

-محاضرة ألقاها الباحث على قاعة (الجواهري) في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق بتاريخ 26/6/2013؛

منشورة في مجلة، المجلد 41، العدد الاول لسنة 2014 ص133. 273

التوشيح فشهادة له بالتبريز والشفوف، وتلك الأعرىض خارجة عن غرض هذا التصنيف.<sup>274</sup> فابن بسام يرى أن نظم الموشحات كثر في الأندلس، فأين قلّ نظم الموشحات؟!

هذا ما لم يتحدث ابن بسام عنه، وهو ما سئلت النظر له بعد قليل، وقال ابن بسام في حديثه عن أبي بكر عبادة بن ماء السماء:- " ... وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، ووضعوا حقيقتها، غير مرقومة البرود، ولا منظومة العقود، فأقام عبادة هذا منادها، وقوم ميلها وسنادها، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه، ولا أخذت إلا عنه، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته .

وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب. وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا واخترع طريقتها- فيما بلغني- محمد بن محمود القبري الضريير . وكان يصنعها على أشطار الأشعار . غير أن أكثرها على الأعرىض المهمله غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب (العقد ) أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا . ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز، يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة . فاستمر على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن . ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التصفير، وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز .

وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان إذ أكثرها على غير أعرىض أشعار العرب.<sup>275</sup>

فظاهر كلام ابن بسام؛ أن أصل الموشحات أندلسي، وقد انتشرت في بلاد الأندلس، لكن ابن بسام وإن اعتمد البديع والسجع في كلامه، فإنه يجتهد في أن يكون كلامه معتبرا عما يجيش في نفسه، ويبدو أن في نفسه شيئا من هذه المسألة، وقد تقدّم شيء من ذلك، حين تكلم مرتين؛ عن كثرتها في الأندلس، فأين قلّت؟!

ومثل ذلك تراه يقول في النص السابق:- "وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقتنا واخترع طريقتها" ..، ألخ، وقال:- "وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب (العقد ) أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا." فأنت ترى أنه يستعمل تعبيرات مثل قوله:- (في أفقتنا) أو كلمات مثل:- (عندنا)، فهل كان خارج أفقهم وعند غيرهم من هذا الأمر؛ على قلّته شيء؟!

هذا ما ينبغي بحثه، وإنما اهتممتُ بهذين النصين، لأن ابن بسام؛ من أول الأندلسيين الذين أشاروا إلى فن التوشيح أو تكلموا فيه وفي من غني به، وهو مع ذلك لم يجد بعد اسما لأصحاب

274- الذخيرة، م 1، ص 500.

275- الذخيرة، م 1، ص 292.

هذا الفن، فيُسميهم (الشعراء)، فلم تظهر في عهده كلمة الوشاحين، وهكذا يبدو القلق في أولية الموشح .

"ولعل من أسباب نشوء الموشحات احتكاك العرب بالأدب الغالي الأسباني ومراعاة مطالبب الغناء"<sup>276</sup>، وفي هذه العبارة تصوران لسبب نشأة الموشحات هما :-

1 . تلاقح الشعر العربي مع الشعر الأسباني الشعبي؛ مما ولد الموشح، وهو تصور محتمل، غير أنه لا دليل عليه إلا في بعض الخرجات التي تتضمن كلمات أسبانية وقد تقدم لكن هناك خرجات، لا تتضمن كلمات أسبانية؛ مثل قول (ابن سهل الإشبيلي) :-

هذا الرقيب ما أسواه بطن  
إش لو كان الإنسان مريب  
يا مولتي قم نعملو  
ذاك الذي ظن الرقيب<sup>277</sup>

فصحيح أن فيها هنات لغوية وربما خُلقية، لكن ليس فيها كلمة أسبانية، وإن كان فيها ما فيها من العامية الأندلسية، ولها أمثال كثيرة، ونظائر .

2 . حاجة الغناء إلى شعر يختلف عن الشعر المعتاد، وهو تصور آخر محتمل، ويمكن الجمع بين هذين التصورين :- حاجة الغناء إلى نمط شعري مختلف؛ لعله كان موجوداً في الشعر الشعبي الأسباني، لكن واقع الحال في شعر المشاركة قد تغير زمن نشوء الموشحات، حيث ظهر في الشعر المشرقي؛ المزدوج والمربع والمخمس، بل ابتدع المشاركة من دوائر (الخليل بن أحمد الفراهيدي) العروضية بجزراً لم تعرفها العرب من قبل<sup>278</sup>، مما يعبر عن شعور المشاركة بضرورة الشروع في تغيير الأنماط والأساليب الشعرية المعتادة، وقد فعلوا، فنجحوا حيناً، ولم ينجحوا في أحيان أخرى، هنا يبدو تصوران آخران لسبب نشأة الموشح؛ أولهما :- أن الأندلسيين أحسوا إحساس المشرقيين بالحاجة إلى تطوير أنماط الشعر العربي وأساليبه، فظهر عندهم الموشح، بصفته شكلاً من أشكال التطور الشعري .

276 - ينظر تاريخ الأدب العربي، حنة فاخوري، ص 805.

277- ديوان إبراهيم بن سهل الإشبيلي، 643هـ، حققه ورتبه الدكتور محمد فرح دغيم، ص 402، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1998. 277

278- ينظر:- تاريخ الأدب العربي 3، دكتور شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 193 وما بعدها، دار المعارف

بمصر. 278

ثانيهما:- أن بداية الموشح ظهرت في المشرق، ففي بعض مخطوطات ديوان ابن المعتز الشاعر العباسي المعروف توجد موشحة مطلعها:-

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع<sup>279</sup>

وقد نفى البعض هذه الموشحة عن ابن المعتز ومنهم الدكتور يونس السامرائي محقق (شعر ابن المعتز) الذي قال:- "غير أن أهم ما جاء في هذه النسخ من الزيادات وأخطرها هو الموشح الذي نسب إلى ابن المعتز والذي مطلعاه:

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

وخطره يتجلى فيما يترتب عليه من خلاف بين الدارسين في العصر الحاضر فيما يتصل بأصله وزمنه وقائله .

ونحن لا نريد أن نخوض في أمثال هذه الامور ، ولا ان نفصل القول فيها ، لانها في الحقيقة لا تمت الى دراستنا لشعر ابن المعتز بالكثير ، ولاننا في الاساس نشك كثيرا في صحة نسبة هذا الموشح الى الشاعر<sup>280</sup> ، ومع أن أستاذنا الدكتور؛ لم يرد الخوض في أمثال هذه الأمور، ولا أن يفصل القول فيها، لأنها لا تمت إلى دراسته لشعر (ابن المعتز) بالكثير، فقد خصها بأكثر من ثلث الفصل، وهو ثماني صفحات<sup>281</sup>؛ من أصل إحدى وعشرين صفحة هي صفحات الفصل الثاني المعنون:- "المنحول من شعر بن المعتز"<sup>282</sup>، من الباب الثاني المعنون:- "شعر ابن المعتز"<sup>283</sup>، فماذا كان سيفعل، لو أنه أراد التفصيل فيها؟!

ثم أنه يقول:- "ولأننا في الأساس نشك كثيرا في صحة نسبة هذا الموشح إلى الشاعر." فهل يصحّ لباحث جاد أن يشكّ بشيء قبل تحديد أسباب الشك؟!

هاتان هما النقطتان اللتان تتفان أمام الباحث، وهو يناقش الأستاذ المرحوم (يونس السامرائي)، مع أنه ليس المشكك الوحيد بنسبة هذه الموشحة إلى (ابن المعتز)، فقبله بكثير، نسبها لسان الدين بن الخطيب إلى ابن زهر الحفيد<sup>284</sup>، وقد قدم محقق جيش التوشيح جملة كتب في هوامش الموشحة تشير إلى أنها لابن زهر، ولم يشر إلى نسبتها لابن المعتز، مثل ذلك ما

---

279 - ينظر:- شعر ابن المعتز؛ صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي؛ دراسة وتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي، ق2، ص138؛ وزارة الثقافة والفنون- الجمهورية العراقية؛ سلسلة كتب التراث (67) دار الحرية للطباعة والنشر/ 1978.

- م.ن، ق2، ص132. 280

281- هي الصفحات من ص132- نهاية ص139، من (شعر ابن المعتز) ق2 المتقدم ذكره، وقد تضمنت أربع عشرة هامشا/ تبدأ من الهامش رقم 49، وتنتهي بالهامش رقم 62\ من أصل أربعة وأربعين هامشا يتضمنها الفصل الثاني المتحدث عنه.

282- م.ن، ق2، ص124. 282

283- م.ن، ق2، ص97، وما بعدها. 283

284 - تنظر الموشحة ضمن موشحات ابن زهر الحفيد في جيش التوشيح ص 202 ، منسوبة إلى ابن زهر الحفيد.

فعله (مصطفى عوض الكريم) حيث نسبها لابن زهر الحفيد<sup>285</sup>، لكن وجود الموشحة في بعض نسخ ديوان ابن المعتز وقبول الدكتور (صفاء خلوصي) وغيره من العلماء الذين ذكر الدكتور (يونس السامرائي) عددا منهم، والمضام التي ذكروا فيها نسبتها إلى ابن المعتز يضع الباحث المحقق بإزاء ضرورة بحث أدق وأكثر جدية؛ في مسألة أولية الموشح؛ يقول الدكتور صفاء خلوصي:- "وباعتقادنا أنه<sup>286</sup> ظهر أول ما ظهر في العراق وهو لا يزال مظهراً رائعاً من مظاهر الشعرية الحقة عند العراقيين وأول موشحة في تاريخ الأدب العربي هي موشحة:

أيها الساقى إليك المشتكى  
قد دعونك وإن لم تسمع

وفيها كما يرى الفاحص المدقق نَفْسُ أمير متفنن، ولسنا نستكثر نسبة هذه الموشحة الجميلة إلى ابن المعتز وهو الذي وضع (علم البديع) وقواعده<sup>287</sup>... الخ.

ويقدم الدكتور صفاء خلوصي على أن الموشح عراقي الأصل من منجز ابن المعتز الشعري أدلة قوية؛ بعضها قابل للمناقشة منها قوله:-

"وأكبر الظن أن الموشح تطور عن فنون أخرى أكثر بساطة سبقته كالمزدوجات والمثلثات والرباعيات والمخمسات والمسمطات، وهذه الفنون ترينا مراحل منتظمة في التطور يتوجها ظهور الموشحات، وكل هذه المراحل ظهرت في بغداد في العصر العباسي، فلماذا نعتز بعباسية هذه المراحل وننتزع هذه الصفة من المرحلة الختامية وهي مرحلة الموشحات؟

إن الموشح فن عباسي قبل أن يصبح أندلسياً أو أوروبياً، والتنوع في القوافي بدأ بصورة جدية في بغداد قبل أي مكان آخر.

وإلى ذلك فإن الذي حفز على انتقال هذا الفن البديع إلى الأندلس مغلّ عراقي هو زرباب الذي ذهب إلى الأندلس وكانت متطلبات غنائه وطريقته باعثاً على قيام الموشحات وانتشارها عن طريق تلامذته الذين انبثوا في طول إسبانيا العربية وعرضها<sup>288</sup> وهو مما يدعم رأي من يرى أن للغناء أثره في تطوّر الموشح، والمغني الذي عمد إلى الكشف عن هذه الحاجة؛ إنما هو مطرب عراقي فرّ من (بغداد) إلى الأندلس؛ هو (زرباب) يُضاف إلى ما تقدم أن هناك فنونا أخرى منسوبة للأندلسيين، أثبتنا أنها عراقية.<sup>289</sup>

وإذ قد تقدم ذكر أسماء تجارب شعرية عراقية؛ سبقت الموشح فما من شيء يولد كاملاً فهناك تجارب أقدم من (ابن المعتز) العراقي منها ظهور بيت من شطرين؛ يتكوّن الشطر الواحد

285 - تنظر الموشحة في فن التوشيح، مصطفى عوض الكريم، ص 198، ط الثقافة بيروت 1959.

286 -يريد الموشح.

287 -فن التقطيع الشعري و القافية، ص 302-303.

288 - فن التقطيع الشعري و القافية، ص 305.

289 - ينظر مبحث (التقليد والتجديد في الأدب الأندلسي) في هذا الكتاب.

من تفعيلة واحدة، فقد قال (ابن رشيق):- "وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزعين، نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن:

يا ليتني فيها جَدْعٌ                      أُحْبَبُ فيها وَأَصْغُ  
حتى صنع بعض المتعقبين - أظنه على بن يحيى، أو يحيى بن على المنجم - أرجوزةً على جزء واحد، وهى:

طيفَ أَلَمْ \* بذي سَلَمٌ                      بعد العَتَمَ \* يطوى الأَكَمُ  
جاد بِفَمٌ \* ومَلْتَرَمٌ                      فيه هَضَمٌ \* إذا يُضَمُّ  
ويقال: إن أول من ابتدع ذلك سَلَمُ الخاسر، يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادى:  
موسى المطر \* غَيَّبَتْ بَكَرٌ                      ثم انهمر \* ألقى المرر  
كم اعتسر \* ثم ايتسر                      وَكَمْ قَدَرٌ \* ثُمَّ غَفَرُ  
عَدَلُ السَّيْرِ \* باقى الأثر                      خَيْرٌ وَشَرُّ \* نَفَعٌ وَضُرُّ  
خَيْرُ البَشَرِ \* فَرَعٌ مُضَرُّ                      بَدَرٌ بَدَرٌ \* والمفتخر

لمن عَبْرُ

والجوهرى يسمى هذا النوع المقطع.<sup>290</sup>، وقال (ابن منظور)؛ ناسبا إلى (أبي نواس) قصيدة على هذا الوزن:- "ومن مرقص شعر أبي نواس قوله في قصيدة:

سلاف دن                      كشمس دجن                      كدمع جفن  
كخمر عدن  
رأيت علجا                      ببا طرنجا لها ترجى  
فلم يثن  
فاحت بريح                      كريح شبح يوم صبوح  
وغيم دجن"<sup>291</sup>... إلخ.

ومع أن هذه القصيدة المكونة من تسعة مقاطع تجربة شعرية؛ تشبه التجريبتين الشعريتين السابقتين اللتين لم يُسمَّهما أحد (موشحَين)، بل سماهما (الجوهري):- (المقطع)، فهي على رأي (الجوهري):- (مقطع) لكن محقق (أخبار أبي نواس) أدرجها تحت عنوان (موشح)<sup>292</sup>، وعلق عليها قائلا:- "هذا ضرب من الشعر أعتقد أنه بداية الموشح في الشعر العربي، بل هو ذاته موشح

---

290- . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبى على الحسن بن رشيق، القيرواني، الأزدى، 390-456 من الهجرة، حققه وفضله وعلق حواشيه محمد محبى الدين عبد الحميد، ج1، دار الجليل، بيروت لبنان، ص184، 185.  
291- أخبار أبي نواس، تأليف ابن منظور الأنصاري، عني بتحقيقه شكري محمود أحمد، ص67، مطبعة المعارف، بغداد، 1952. 291  
292- م.ن، ص67. 292

ينسجم مع أصوات العيدان، ونقر الدفوف، لما فيه من أشطر قصيرة تتفق مع الغناء.<sup>293</sup>... إلخ، ثم أن الدكتور (شوقي ضيف) يقول :- "وقد أنشد الدميري لأبي نواس خمسا ختمه بهذا الدور :

يا ليلةً قضيتها خلوةً  
مرتشفاً من ريقها قهوةً  
تُسكّر مَنْ قد بيتفى سكره ظننتها من طيبها لخطه  
يا ليت لا كان لها آخرُ

وقد اختار لآخر الخمس - كما هو واضح - صيغة يبدو من تركيبها أنها عامية، وكأنه هو الذى ألهم الوشاحين الأندلسيين أن يختموا بعض موشحاتهم بأقوال عامية.<sup>294</sup>، والدكتور (شوقي ضيف) يقترب بهذا مما تقدم من تصوّر أستاذنا الدكتور (صفاء خلوصي) أن المزدوجات والمثلثات والرباعيات والخمسات والأصمات؛ تطوّرت فأدت إلى الموشح الذي نظمه (ابن المعتز)، وواضح أن هذا الموشح؛ موشح بسيط؛ أقرب إلى الرباعيات؛ منه إلى أي شيء آخر، لولا أن قفله مكون من شطرين، فهو لا يحتاج كل هذه الضجة، ولو ناقشنا أستاذنا الدكتور (يونس السامرائي) في ما ذهب إليه؛ من نفي الموشح عن (ابن المعتز) لوجدناه مستندا إلى أدلة تسهل مناقشتها، فهو يقول :- "ويظهر ان اول من أثار الغبار في وجه نسبة هذا الموشح الى ابن المعتز من المحدثين هو الاستاذ طه الراوي، فقد كتب مقالا في مجلة الرسالة حول هذا الموشح أشار فيه الى الوهم الشائع من نسبته الى ابن المعتز والى ان صاحبه هو أبو بكر محمد ابن زهر المتوفى سنة 596هـ، واستشهد بياقوت الحموي وابن ابي اصيبعة اللذين ذكراه في كتابيهما منسوباً الى ابن زهر .

وحمل الاستاذ الراوي في مقاله على أصحاب المجاميع الادبية وحملَ وزر هذا الوهم، ديوان ابن المعتز المطبوع في بيروت فقال: (ولا ادري أي شيطان سول لبعض المتأخرين ان ينسب هذه الموشحة الى عبد الله بن المعتز فتهافت على هذا الخطأ جماعة من المعاصرين الذين أخرجوا للناس مجاميع ادبية، فجزموا بنسبة هذه الموشحة الى ابن المعتز مع ان ابن المعتز نفسه لا يعرف شيئاً عن الموشحات، ولا عهد لاهل زمانه بشيء منها.. وابن المعتز نفسه لم يشر ولم يومئ الى هذا الضرب من ضروب الشعر في كتابه الذي ألفه في البديع...)<sup>295</sup>، واعتماد الأستاذ (طه الراوي) على وجود الموشح في كتابي (ياقوت الحموي) و (ابن أبي أصيبعة)، ليس دليلاً على شيء مهم، فالكتابان؛ كتابان عامان، لا يختصان بالموشح؛ من قريب أو من بعيد، ف (معجم الأدباء) ل (ياقوت الحموي)؛ كتاب أدب عام؛ قد يُصيب مثله وقد يخطئ، وبالرجوع إلى الموشح فيه، فنسجد أنه يبدو ب (أيها الشاكي) وليس صحيحاً كما تقدم، وسيأتي دليلاً على هذا الاحتمال، وأما كتاب (ابن أبي أصيبعة)، فليس إلا كتاباً يتحدث عن تراجم الأطباء، فلعله يُصيب في قضايا الأدب أو يخطئ،

293- م، ن، الهامش الأول من ص 67. 293

294- العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص 199. 294

295- شعر ابن المعتز، ق 2، ص 135-136. 295

فهُمَا كتابان لا يختلفان كثيراً عن المجاميع الأدبية التي أنكر الأستاذ الفاضل؛ الاستناد إليها، ولو اعتمد سيادته على كتاب مهتم بالموشحات، لكان مَمَّن يُعْتَد برأيه .

ثم أن الدكتور (يونس السامرائي)؛ يبدأ نقله عن الأستاذ (الراوي) قائلاً:- " (ولا ادري أي شيطان سول لبعض المتأخرين ان ينسب هذه الموشحة الى عبد الله بن المعتز) .. إلخ، فهل يتحدث العلماء بهذه الطريقة؟! "

ألا يمكن استعمال كلمة؛ أرحم من كلمة (شيطان)؟! "

ومما نقله الدكتور (السامرائي) عن الأستاذ (الراوي) قوله:- " فتهافت على هذا الخطأ جماعة من المعاصرين الذين أخرجوا للناس مجاميع ادبية ، فجزموا بنسبة هذه الموشحة الى ابن المعتز مع ان ابن المعتز نفسه لا يعرف شيئاً عن الموشحات، ولا عهد لاهل زمانه بشيء منها." وهو كلام غريب، فهل كان الأستاذ (الراوي) من معارف (ابن المعتز)، حتى يعرف ما يعرف (ابن المعتز) وما يجهل؟! "

وكم هم الذين نعرفهم، وهم يُخفون عنا ما يعرفون؟! "

وإذا لم تكن هذه المعرفة ممكنة؛ فكيف تمكن من معرفة أن أهل زمان (ابن المعتز)، لا يعرفون شيئاً عن الموشح؟! "

ألم يتقدم قول (ابن بسام) أن (ابن عبد ربه) كان ممن نظموا شيئاً من الموشحات؟! "

ألم يكن (ابن عبد ربه) من مزامني (ابن المعتز)؟! "

وأكثر من هذا، فقد قال (ابن خلدون):- " وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهدبت مناخيه وفنونه، وبلغ الترميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح، ينظمونه أسماطاً أسماطاً... وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد مرواني . وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه، صاحب كتاب العقد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر<sup>296</sup>، وهذا يعني أن هناك من سبق (ابن عبد ربه) في معرفة الموشحات، والنظم فيها، وإن ذهب موشحاتهما، فكيف لا يكون أهل زمان (ابن المعتز)؛ عارفين ب (الموشح)؟! "

وهذا الإفراط في تصوّر الإنسان لعلمه؛ خطير؛ في العمل العلمي، فمن تواضع العلماء أن يُقرر أنه لا يتصور (ابن المعتز) وأهل زمانه على معرفة بشيء عن الموشح، وعند ذلك؛ يكون قد أعطى العلم بعض حقه، وقدر نفسه قدرها .

ويقول الدكتور (السامرائي) نقلاً عن الأستاذ (الراوي):- " (وابن المعتز نفسه لم يشر ولم يومئ الى هذا الضرب من ضروب الشعر في كتابه الذي ألفه في البديع...)، فهل كان ل (ابن المعتز) كتاب واحد اسمه (البديع)؟! "

295- مقدمة ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق د. حامد أحمد الطاهر، ص756، دار الفجر للتراث-

القاهرة، الطبعة الأولى، 1425هـ- 2004م.



أليست له كتب معروفة غير (البديع) مثل كتاب (طبقات الشعراء) و (فصول التماثيل)؟!  
ألم ينشر الدكتور (يونس السامرائي) نفسه كتاباً عنوانه:- (من فصول ابن المعتز ورسائله  
ونصوص من كتبه المفقودة وأخباره)<sup>297</sup>، إذن، فل (ابن المعتز) كتب مفقودة، وأخرى غير  
مفقودة منها كتاب صغير هو كتاب (البديع) ألا يحتمل أن يكون قد ذكر الموشحات تصريحاً أو  
تلميحاً في غير (البديع)؟!

بل ألا يحتمل أن يكون قد ذكر هذا الموشح أو أنشده في واحد من كتبه؛ لم نعرفه أو لم  
نعثر عليه بعد؛ خصوصاً أن الدكتور السامرائي يقول:- "ان أخباره"<sup>298</sup> التي وصلت إلينا لم تكن  
كثيرة." <sup>299</sup>؟!

إنها مشكلة حقيقية .

ويواصل الدكتور (السامرائي) نقله عن الأستاذ (الراوي) قائلاً:- "ثم قال: (وانا لم أكتب في  
دفع هذا الوهم الا لما رأيته فاشيا بين الشداة من المتأدبين الذين يعتمدون على ما تخطفه اقلام  
المعاصرين من غث أو سمين، ولا يكلفون أنفسهم مؤونة الرجوع الى الاصول للتثبت من صحة تلك  
النقول.."<sup>300</sup>، فهل ما يقوله القدماء من غير المتخصصين من أمثال الكاتبيين الفاضلين؛ اللذين  
استند الأستاذ (الراوي) إليهما أهمُّ من الباحثين العلماء المتخصصين المعاصرين، حتى لو  
تثبتوا؟!

إنها فكرة غريبة، تتمثل في تقديس القديم لقدمه، لا لشيء آخر، وصحيح أن الأستاذ  
(الراوي) كتب مقالته في "مجلة الرسالة العدد 459 السنة العاشرة 1942 ص464."<sup>301</sup>، وقد سبق  
الأستاذ (الراوي)؛ مَنْ أثبت الموشح ل (ابن المعتز)؛ ممن أثاروا سخطه، ولا أريد مناقشته حولهم،  
لكن أَيْعَدُّ رجل مثل الدكتور (صفاء خلوصي) من الشداة؟!

إذا كان أمثال الدكتور (صفاء خلوصي) من الشداة المتأدبين، فَمَنْ هُم العلماء المتخصصون  
المتثبِّتون؟!

إذن وبغض النظر عن كل شيء فقد أثبت الموشح للرجل مَنْ أثبته، ونفاه عنه مَنْ نفاه من  
المتأدبين الشداة، والمتخصصين العلماء .

وبدون مناقشة لرأي الأستاذ (الراوي) ينقل الدكتور (السامرائي) رأي الأستاذ (عبد المنعم  
خفاجي)، حين يقول:- "وممن استبعد نسبة هذه الموشحة الى ابن المعتز الاستاذ عبد المنعم

---

296- ينظر:- من فصول ابن المعتز ورسائله ونصوص من كتبه المفقودة وأخباره، جمع وتحقيق الدكتور يونس أحمد  
السامرائي، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة خزائن التراث، الطبعة الأولى، بغداد 2002.

298- يريد (ابن المعتز)، بالضمير المتصل.

299- شعر ابن المعتز، ق 2، ص 358.

300- م. ن، ق 2، ص 136.

301- م، ن ق 2، الهامش 58 في ص 136.

خفاجي الذي يراها ( بعيدة عن روح الشاعر وعواطفه ولا تمثل شيئاً من نظراته في الحياة، ولا فنه الادبي في نظم القريض، وليس فيها تشبيه واحد من التشبيهات التي عرف بها، وليس فيها شيء من خصائص فنه في الشعر)<sup>302</sup>، وهي دعاوى كبيرة، ليس عليها دليل، فما هي روح (ابن المعتز) التي ليس منها هذا الموشح؟!

وما هي عواطفه؟!

وما خصائص فنه؟!... إلخ

ومرة أخرى؛ يُقدم الدكتور (السامرائي) رأي الأستاذ (عبد المنعم خفاجي) غفلا من المناقشة، وينتقل لنقل نص قاله الأستاذ (سيد الأهل) حين قال :- "وحاول الاستاذ سيد الاهل ان يدفع نسبة هذه الموشحة عن ابن المعتز بكثير من الادلة قال : (فهذه الموشحة الكاملة لم تسبق بمحاولات، ولا نظم مقطوعات صغيرة من نوعها ، او قريب منها لتفضي بعد عهد الى هذا الكمال، بل لم تتبع بمحاولات اخرى من ابن المعتز ولا من طبقته حتى نحكم بأنها له، ونقطع بهذا الحكم او نسبها للمشاركة على الوجه الاقل .. فالظاهر ان بعض الادباء نسبها للمشرق والى من تشبهه ويشبهها، ووجد في حرية ابن المعتز في مذهبه الشعري ما يقبل هذه النسبة فنسبها اليه ليكون كلامه اكثر قبولا ولان المغرب مولع بالشرق .. ولم لم تتواتر وراياتها<sup>303</sup> لابن المعتز وهي حدث جليل في الشعر اولى بالكلام والضجيج"<sup>304</sup>، وواضح أن ما جاء به الأستاذ (سيد الأهل) دعاوى أقل صمودا من دعاوى الأستاذ (عبد المنعم خفاجي)، فقول الأستاذ (سيد الأهل) "فهذه الموشحة الكاملة لم تسبق بمحاولات، ولا نظم مقطوعات صغيرة من نوعها ، او قريب منها لتفضي بعد عهد الى هذا الكمال، بل لم تتبع بمحاولات اخرى من ابن المعتز ولا من طبقته حتى نحكم بأنها له، ونقطع بهذا الحكم او نسبها للمشاركة على الوجه الاقل.."، فقد تقدم، وسيأتي ما يُبين غير ما تفضل به الأستاذ الفاضل، من وجود محاولات سبقت عمل (ابن المعتز) إن كانت هذه الموشحة من عمله ثم يقول الأستاذ (سيد الأهل):- " فالظاهر ان بعض الادباء نسبها للمشرق والى من تشبهه ويشبهها، ووجد في حرية ابن المعتز في مذهبه الشعري ما يقبل هذه النسبة فنسبها اليه ليكون كلامه اكثر قبولا ولان المغرب مولع بالشرق .. ولم لم تتواتر وراياتها لابن المعتز وهي حدث جليل في الشعر اولى بالكلام والضجيج؟" وواضح أن رده في ما قال، ف (ابن المعتز) من الشعراء الأحرار شعريا، فقد يجرب ما لم يُسبق إلى تجربته، وهو أمر طبيعي من كل شاعر مجرب، فهو يرى نفسه متميزا؛ متقدما على سواه، ووجود نص واحد من شكل مختلف عن سواه من الأشكال الشعرية المعروفة، لشاعر ما، لا ينفي النص عن صاحبه، ولو نُفي النص الواحد عن صاحبه، لكان أصحاب (الواحدة) من أمثال (مالك بن الربيب) و (ابن زريق

302- م.ن، ق2، ص136.

303- لعله خطأ طباعي صوابه:- (رواياتها).

304- شعر ابن المعتز، ق2، ص137.

البغدادي) أولى بنفي نص كل منهما عنه، فلعل (ابن المعتز) قال الموشح، ولم يقل غيره، بل تركه لسواه، وهو أمر جاز بين الشعراء، فلما جاء الأندلسيون؛ نسجوا على منواله .

ولم لا؟!

ألم يذهب الدكتور (يونس السامرائي) إلى أن بعض أهل المشرق والمغرب من الشعراء قد تأثر ب (ابن المعتز)؟!

وسُئني هنا بأهل المغرب وحدهم، فقد قال :- "ونجتزئ ببعض النماذج لبعض من اقتفى أثره .

1 . فممن كان يجري في طريق ابن المعتز ويسلك سبيله من الشعراء أبو

القاسم الحسين بن علي الوزير المغربي ...

2 . وتميم بن المعز<sup>305</sup>... إلخ، فإذا صحَّ عند الدكتور السامرائي، ومَن نقل عنهم أن شاعرين كبيرين من شعراء المغرب قد اقتفيا أثر (ابن المعتز) شعريا، فلماذا لا يقتفي أندلسيون؛ أثره من حيث التوشيح؟!

ومما يشير إليه هذا الموضوع، وفيه رد على أن لم تتواتر روايات أخرى لمثل هذا النص، فهذا شأن الشاعر، وليس من شأن الناقد، وليس من حقه التساؤل عن هذه القضية؛ خصوصا إذا كان المناقش شاعرا مثل (ابن المعتز)؛ قد فقد الكثير من كتبه، وربما الكثير من شعره أيضا .

والأستاذ (سيد الأهل) يقول :- "ولم لم يتحدث عنها أبو الفرج في اغانيه وهي أقرب الشعر اتصالا بفننه الغنائي وأقرب الاحداث الادبية في عصره"<sup>306</sup> ومع أنه ليس من حق أحد أن يطلب إلى كاتب ما، أن يكتب ما لا يُريد، فتساؤل الأستاذ (سيد الأهل) مردود بنصين تقدما من كتاب (الذخيرة) ل (ابن بسام)، الذي لم يذكر شيئا من الموشحات، لأنها خارجة عن منهج كتابه، ولأن أعاريضها ليست من أعاريض العرب، فلعل هذا ما منع (أبا الفرج) من أن يذكر هذا النمط من الشعر، لأنه ليس من شأنه .

والأستاذ (سيد الأهل)؛ يواصل مناقشته فكرة نفي الموشحة عن (ابن المعتز) إذ يقول :- "وهناك في طبيعة الاختصاص بفن ابن المعتز ما يثبت انها ليست له (فهي) لا تتصل بفننه في النسخ وأدب الشرب والفضل"<sup>307</sup> فعن ماذا يتحدث الموشح إذن؟!

هنا ينبغي أن نقرأ نص الموشح، لنرى مدى دقة الأستاذ (سيد الأهل) في تصوّره بعدها :-

أَيُّهَا السَاقِي <sup>308</sup> إِلَيْكَ الْمُشْتَكِي قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ

305- م، ن شعر ابن المعتز ، 2ق، ص346، 347.

306- م، ن ، 2ق، ص137.

307- م، ن، 2ق، ص137.

308- نقل الموشح/ كما هو موضح في الهامش القادم \ من كتاب متخصص في الموشحات، مما يظهر معه خطأ تسمية

الموشح في معجم الأدباء/ الذي نحترمه\ فكيف الحال في غير هذا؟!

وَنَدِيمٌ هَمَّتْ فِي غَرَّتِهِ  
 وَسِقَانِي الرَّاحِ مِنْ رَاحَتِهِ  
 فَاذَا مَا صَحَّ مِنْ سَكْرَتِهِ  
 جَذَبَ الرِّقَّ إِلَيْهِ وَإَتَكِي      وَسِقَانِي أُرْبَعًا فِي أَرْبَعِ  
 غُصْنِ بَانٍ مَالٍ مِنْ حَيْثُ اسْتَوَى  
 بَاتَ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ خَوْفِ النَّوَى  
 قَلِقَ الْأَحْشَاءِ مَهْضُومِ الْقُوَى  
 كَلَّمَا فَكَّرَ فِي الْبَيْنِ بَكَى      مَا لَهُ يَبْكِي لِمَا لَمْ يَقَعِ  
 مَا لِعَيْنِي غَشِيَتْ بِالنَّظَرِ  
 أَنْكَرْتَ بَعْدَكَ ضَوْءَ الْقَمَرِ  
 فَاذَا مَا شَتَّتْ فَاسْمَعِ خَبْرِي  
 شَقِيتَ عَيْنِي مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ      وَبَكَى بَعْضِي عَلَى بَعْضِي مَعِي  
 لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلْدُ  
 يَا لِقَوْمِي عَذَلُوا وَاجْتَهَدُوا  
 أَنْكَرُوا شَكْوَايَ مِمَّا أَجِدُ  
 مِثْلَ حَالِي حَقُّهَا أَنْ تَشْتَكِي      كَمَدَ الْيَأْسُ وَذَلَّ الطَّمَعُ  
 كَبِدِي حَرَى وَدَمْعِي يَكْفُ  
 يَعْرِفُ الذَّنْبَ وَلَا يَعْتَرِفُ  
 أَيُّهَا الْمَغْرُورُ عَمَّا أَصِفُ  
 قَدْ نَمَّا حُبُّكَ بِقَلْبِي وَزَكَا      وَتَقَلَّ إِنِّي فِي حُبِّكَ مُدْعِي<sup>309</sup>  
 فَمَعَ أَنْ الْمَوْشِحَ وَاضِحَ الْإِنْتِسَابِ إِلَى فَنِي الْخَمْرِ وَالغَزْلِ، فَلَا بَأْسَ فِي إِشَارَاتٍ تَثَبَّتْ مَا أَقُولُ،  
 فَالْمَوْشِحَ مَعْرُوفٌ بِعَنْوَانِ: - (أَيُّهَا السَّاقِي)، وَالكَلِمَتَانِ مُثَبَّتَتَانِ فِي أَوَّلِ مَطْلَعِ الْمَوْشِحِ، فَأَوَّلُ مَطْلَعِ  
 الْمَوْشِحِ نَدَاءٌ مُوجِهٌ إِلَى السَّاقِيِ الْمُشْتَكِيِ؛ الْغَافِلُ أَوْ الْمُتَغَافِلُ الَّذِي (لَمْ يَسْمَعْ)، فَهَذَا السَّاقِيِ  
 الْمُشْتَكِيِ؛ مَاذَا كَانَ يَسْقِي؟!  
 وَعَنْ مَاذَا غَفَلَ أَوْ تَغَافَلَ، فَلَمْ يَسْمَعْ؟!  
 إِنَّ الدُّورَ الْأَوَّلَ يَبْوَضِحُ أَنَّهُ (سَاقِيِ خَمْرٍ)، ثُمَّ أَنَّ الدُّورَ الْأَوَّلَ مِنَ الْمَوْشِحِ؛ خَمْرِي بِامْتِيَازٍ، وَفِيهِ  
 إِشَارَةٌ غَزَلِيَّةٌ صَرِيحَةٌ، فَمَاذَا يَقُولُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَقُولَ: - "وَنَدِيمٌ هَمَّتْ فِي غَرَّتِهِ"؟!  
 إِنَّ لَمْ يَكُنْ هَذَا غَزَلًا، فَمَاذَا يَكُونُ؟!  
 ثُمَّ يُوَاصِلُ الدُّورَ بِأَنَّهُ سَقَاهُ الرَّاحَ مِنْ رَاحَتِهِ، وَمَا هُوَ الرَّاحُ غَيْرَ كَأْسِ الْخَمْرِ؟!  
 ثُمَّ يُوَكِّدُ أَنَّهُمَا سَكَرَانَانِ وَمَعَ ذَلِكَ، فَهَمَا يَسْتَقِيَانِ بِقَوْلِهِ: -  
 فَاذَا مَا صَحَّ مِنْ سَكْرَتِهِ

جَذَبَ الرِّقَّ إِلَيْهِ وَاتَّكَى وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ

فماذا يعني هذا غير دور غزلي خمري؟!

وإذا لم يكن هذا وأمثاله في الغزل والخمر، فلا مقال لقائل، أما الدور الثاني، فهو غزل صريح، فإذا لم يكن حديثه عن غصن بان مال من حيث استوى، وقد بات من يهواه من خوف النوى قلق الأحشاء مهضوم القوى متعبها كلما فكر في البين البعد بكى، وهو يتساءل عن سبب بكائه لما لم يقع من البعد؛ أقول إذا لم يكن هذا غزلاً، فما هو الغزل؟!

وتستمر الموشحة على هذه الطريق حتى تنتهي إلى نداء موجه للمتغزل به هو:-

أَيُّهَا الْمَفْرُورُ عَمَّا أَصْفُ

قَدْ نَمَّا حُبُّكَ بِقَلْبِي وَزَكَا وَتَقَلُّ إِيَّاي فِي حُبِّكَ مَدَّعِي

فعلى ماذا يدل إنشاد هذا الموشح؛ إذا لم يدل على أن النافي؛ لم يقرأ الموشح، أو قرأه قراءة

سريعة لم تؤد به إلى الفهم الصحيح؟!

وحينما نستعيد إنشاد الموشح؛ يتبين أن تكرار كلمة (بكى) و(يبكي) ليس من التكرار الممل، بل قد جاء في مكانه مع احترامنا لقول الأستاذ (سيد الأهل):- "ومثله لا يقع في التكرير الكثير الذي كان للفظلة بكى ويبكي والبكا في فقرات قريبة من الموشحة.."<sup>310</sup>، ومن لم يعلم أن هذا الموشح؛ في الخمر والغزل، لا يقبل منه فيه مثل قوله:- "وسداجة المعاني وخلوها من الترتيب والتعليل وتنقلها السريع من فكرة الى فكرة.."<sup>311</sup>، فما هو ناظم الموشح؟!

أهو شاعر؛ يطير على أعصان العواطف؟ أم هو عالم يرتب، وفيلسوف يُعَلِّم، ويصف

ويُفَصِّل؟!

إنها مشكلة حقيقية، حين لا نعرف مهمة الذي نتكلم عنه.

وأكثر من ذلك، فالأستاذ (سيد الأهل)؛ يرى الموشح في بداية حديثه عنه كاملاً، وينسبه إلى الكمال؛ ثم يتهمه في آخر حديثه ب(السداجة)، وبكل منقَر، فهل كانت الموشحة (كاملة)،

كما جاء في بداية الكلام؟ أم هي (سداجة) كما جاء في آخره؟!

إن هذا أمر متناقض، لا يصدر عن شخص متفكر في ما يقول.

ويوشك الدكتور (يونس السامرائي) ألا يمر على ما قاله منكرو نسبة الموشح إلى (ابن المعتز) إلا مروراً سريعاً، فإنه يُقدم تصوّره لإنكار نسبة الموشح إلى (ابن المعتز) استناداً إلى خمسة أدلة؛ الرابع والخامس منها قائمان على احتمالات؛ قد تصح، وقد لا تصح، والدليلان الآخران مستندان إلى نسخ الديوان المخطوطة؛ التي بين يدي سيادته، والتي استند إليها في التحقيق، وقد تقرر عنده أن فيها زيادات ونقائص؛ يمكن الرجوع إليها في أغلب هوامش الديوان، إذ هي

310- شعر ابن المعتز، ق2، ص137.

311- م، ق2، ص137.

تخلوهُ، لكن هل أن المخطوطات التي استند إليها رحمه الله تعالى هي كل المخطوطات التي في العالم؛ والتي تضم (شعر ابن المعتز)؟

هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه ب (نعم)، فالمجهول من المخطوطات ما يزال كثيرا، وغير المحقق من المخطوطات المعروفة، ليس قليلا، فمن يضمن أنه لا يأتي يوم تظهر فيه مخطوطة ل (شعر ابن المعتز) أو لغيره يظهر فيها هذا الموشح ل (ابن المعتز) أو يفتح أبوابا للبحث فيه؟! ومع ذلك، فبالإمكان الاستفادة من أقوال الدكتور الفاضل نفسه، لإثبات ما أقول، فقد قال رحمه الله تعالى بعد تصوّر كلمات لم تكن موجودة في زمان (ابن المعتز) معقبا: - "هذه نماذج اخترناها مما في تلك النسخ من الزيادات خايرنا الشك في صحة نسبتها الى ابن المعتز، وهناك مقطوعات أخرى غيرها تدور في فلحها من حيث تأخر زمن مصادر رواياتها ومن حيث بعدها عن طابع شعر ابن المعتز وروحه. نكتفي بالاشارة الى ارقامها فيما يأتي"<sup>312</sup>، ويذكر أرقام خمس عشرة قصيدة ومقطوعة؛ يخامره الشك فيها كما تقدم من قول سيادته ولا أدري من أين له أن هذه الكلمات التي شك بوجودها في زمن (ابن المعتز) لم تكن موجودة، ولا معروفة؛ في ذلك الزمان؟!

ثم يقول :- "وهناك أمثلة أخرى منسوبة لابن المعتز وهي لشعراء آخرين : كتميم بن المعز، وسعيد بن حميد، وأبي تمام وابن تميم وابن الرومي والصنوبري والعلوي وعروة بن أشيم وكشاجم وغيرهم ونكتفي بالاشارة الى ارقامها الآتية"<sup>313</sup>، ويذكر من ذلك ثمانياً وعشرين قصيدة ومقطوعة في الملحق، فإذا صحّ ذلك استنادا إلى ما يقوله الدكتور الفاضل نفسه فكم يمكن الثقة بمن جمع الشعر أو نسخه؟!

لا مجال لمناقشة هذا هنا، فلم يبقَ إلا الدليل الأول الذي نصه :-

1 - اننا لم نعثر على هذا الموشح منسوباً لابن المعتز في أي كتاب آخر مخطوط او مطبوع يرقى الى أبعد من هذا التاريخ اي تاريخ وفاة النهروالي"<sup>314</sup>، فهل توصل سيادته إلى كل ما تمّ خطه أو طبعه دون استثناء؟!

من المعلوم؛ أن هناك الكثير من المطبوعات ناهيك عن المخطوطات ليست بين الأيدي، من هنا، ولما كان الدكتور (يونس السامرائي) من المحققين المتمسكين بقواعد التحقيق؛ فقد كان لا بأس على سيادته أن يترك لنفسه ولغيره؛ مجالا للتراجع عن رأي قد ينقضه ظهور مطبوع لم يصل إليه أو مخطوط يتمّ تحقيقه فيما بعد وهو ما لا يقول أحد أنه سينتهي يوما ما. وإذ ينتهي سيادته من الحديث عن أنكره نسبة الموشح ل (ابن المعتز)، فهو يناقش من رأى أنه له، وأهمُّ من رأى ذلك، وناقشه كما يبدو إنما هو الدكتور (صفاء خلوصي)، في كتابه :-

---

312- شعر ابن المعز، ق2، ص131.

313- م. ن، ق2، ص141.

314- شعر ابن المعز، ق2 ص138، (وقد ذكر الدكتور/ على الصفحة نفسها\ وفاة (النهروالي) في سنة 990هـ).

(فن التقطيع الشعري والقافية) حيث يقول الدكتور السامرائي:- "ويرى بعض آخر من الدارسين<sup>315</sup> ان الموشح جاء نتيجة تطور فنون اخرى اكثر بساطة، كالمزدوجات والمثلثات والرباعيات والمخمسات والمسمطات ويرى ان هذه المراحل لتطور الموشح ظهرت كلها في بغداد في العصر العباسي .

غير اننا لم نجد في شعر ابن المعتز الذي قمنا بتحقيقه شيئاً من هذا، ما عدا مزدوجتين له احدهما في المعتضد والاخرى في ذم الصبوح.<sup>316</sup>، وهنا نتساءل:- ألا تكفي مزدوجتان ل (ابن المعتز) إحداهما في (ذم الصبوح)، وأخرهما في (المعتضد) تقع في 420 بيتاً كما يقول الدكتور الفاضل:- "المزدوجة التاريخية:

يبدو ان حب ابن المعتز لشخصية المعتضد الفذة جعله يفكر في أن يخلد حياته واعماله في عمل ادبي كبير ، فأنشأ ارجوزة تقع في نحو عشرين واربعمئة بيت<sup>317</sup>

فهذا دليل أول كافٍ على أن (ابن المعتز)؛ لم يكن شاعراً ملتزماً بتقنية شعره في القصيدة الواحدة، كما أن الدكتور السامرائي يقرر أنه لم يكن مبتدع هذا الفن حين يقول:- "لم يكن الشاعر<sup>318</sup> أول من اتجه بالشعر هذا الاتجاه<sup>319</sup>، وانما بدأ هذا النمط من النظم منذ القرن الثاني الهجري، ولعل أول من نظم فيه هو (أبان اللاحقي) الذي نظم كليلة ودمنة في نحو أربعة عشر ألف بيت<sup>320</sup>، وذكر بعد ذلك أربعة مزدوجات كبيرة، أي أننا لو اكتفينا بما ذكره سيادته من المزدوجات، لتبين أن هناك سبعة مزدوجات عراقية كبيرة، ألا يدل هذا على شيء؟!

كما أنه كانت ل (ابن المعتز)، تجارب في أوزان داخل أوزان (الخليل) أو فيها تجديد عليها أو تداخل بين البحور يُناقشه دارسو (ابن المعتز)، ومنهم الدكتور السامرائي<sup>321</sup>، ومن ذلك ابتداء (ابن المعتز) قبل (معروف الرصافي)؛ عروضاً من بحر المنسرح؛ يفصلها ضمن الصفحات المذكورة في الهامش (320)، ويُقدمها بوصفها نتيجة من نتائج الدراسة حين يقول:- " (21) انه<sup>322</sup> ابتدع عروضاً جديدة من بحر المنسرح."<sup>323</sup>، فهذا كله وسواه يدفع إلى تصوّر احتمال أن يكون (ابن المعتز)، مبتدعاً للموشح .

---

315- يريد الدكتور (صفاء خلوصي).

316- شعر ابن المعتز، ق2، ص134.

317- م. ن، ق2، ص246.

318- يريد (ابن المعتز).

319- يريد المزدوج في الشعر.

320- شعر ابن المعتز، ق2، ص246.

321- ينظر كل ذلك في شعر ابن المعتز، ق2 ص 326-331.

322- يريد بالضمير المتصل:- (ابن المعتز).

323- شعر ابن المعتز، ق2، ص360.

وبواصل الدكتور السامرائي مُناقشته مَنْ قبلوا نسبة الموشح إلى (ابن المعتز) قائلاً:-  
"وجهد بعضهم<sup>324</sup> - وقد رأى موشحاً واحداً ينسب إلى الشاعر - في اختلاق الظروف والأسباب التي  
جعلت هذا الموشح فرداً أو يتيماً فقال: (أما إنه - أي ابن المعتز - لم ينظم سوى موشحة واحدة  
فهذا لا يقوم دليلاً على أنه لم يخترعه ، فلعل موشحاته الأخرى ضاعت أو لعله نظمها في أخريات  
أيامه ولم يمد الله في أجله ليتحفظنا بالمزيد منها) .

ويبدو لنا أن القول بصياغ موشحات ابن المعتز المزعومة ، وأنه نظم هذه الموشحات في  
أخريات أيامه قول يحمل في طياته من الوهن أكثر مما يحمل من القوة . فكيف تضيع موشحاته  
كلها - أن وجدت - في حين يبقى شعره الآخر ، ونحن نعرف أن شعره قد رواه غير واحد من الأدباء  
في عصره منهم أخوه وأستاذه وصديقه الصولي ، الذي انبرى لجمع شعره في ديوان خاص ، ثم  
اختار له نماذج كثيرة في كتابه الأوراق . ومنهم حمزة الأصبهاني الذي جمع شعره فكان أوفى  
وأوسع مما جمعه الصولي ، بل أن الشاعر نفسه كان يضمن كتبه بعض شعره وشعره الخمري بصورة  
خاصة ، كما فعل في كتابه فصول التماثيل في أكثر من خمسة وأربعين موضعاً .

أما القول بأنه نظمها في أخريات أيامه ، ولم يمد الله في أجله ليتحفظنا بالمزيد ، فقول فيه  
من الحذقة أكثر مما فيه من الحقيقة ، فنحن نعرف أن الشاعر بقي متصلاً براوي شعره أبي بكر  
الصولي إلى آخر أيامه ، وأنه كان يوقفه على كل ما يجد له من شعر ، على أن بعض الدارسين يرى  
أن هذه الموشحة لو صحت لكانت من شعر الشباب لأنها تمثله " <sup>325</sup> ، أما نحن ، فلا يعيننا أن يكون  
الموشح من موشحات أيام الشباب أو أخريات الحياة ، فالمهم أنه موجود ، في بعض نسخ ديوانه  
المخطوطة ، الذي حققه الدكتور السامرائي ، وقد تقدم مع نُفي سيادته له عنه ، وقد تبين سابقاً أن  
انفراد ، وعدم وجود أخ له من أولاد (ابن المعتز) ، لا يكفي لنفي بنوته له ، لكن من المناسب  
التساؤل عن السبب الذي دعا أستاذنا المرحوم السامرائي إلى تصوّر أن (الصولي) أقرب إلى معرفة  
الموشح لو كان ل (ابن المعتز) من (حمزة الأصبهاني) مع أن المجموع الثاني كان أوسع من مجموع  
الأول ، كما ذكره الدكتور الفاضل أكثر من مرة ، فقد قال :- " (3) أن هناك ما يشير إلى أن حمزة  
الأصبهاني قد جمع ديوان ابن المعتز ورتبه على بحور العروض ، وأن جمعه للديوان كان أوسع من  
جمع الصولي ، بدليل الاستدراكات في هوامش النسخة (ل) . والنسخة (ي) ، والتي كان الكثير منها  
من رواية الأصبهاني ."<sup>326</sup> ، كما يقول :- " (7) أن النسخة (ل) تشتمل على استدراكات في هوامشها  
من رواية حمزة الأصبهاني وغيره لم ترد في بقية النسخ ."<sup>327</sup> وهنا نتساءل :- أين مجموع (حمزة  
الأصبهاني) ؟!

324- يريد الدكتور (صفاء خلوصي) .

325- شعر ابن المعتز ، ق2 ، ص134 ، 135 .

326- م ، ن ، ق2 ، ص356 .

327- م ، ن ، ق2 ، ص357 .



لماذا لم يتفضل الدكتور بالرجوع إليه لو كان موجودا ليقارن معه ما في النسخة ( ل ) من مخطوطات الديوان التي كانت بين يدي سيادته؟! أليس لأنها مفقودة؟! وهنا نتساءل:- ألا يحتمل وجود هذا الموشح وغيره فيها إذا كانت القضية؛ مجرد قضية احتمالات؟!!

وما هدفْتُ إليه من هذا، إنما هو أن الكلام؛ كان يحتاج إلى إعادة نظر وتمحيص، فليس كل ما يكتب؛ لا ينبغي أن يناقش ويَشَدَّب، فإذا كانت رواية (حمزة الأصبهاني) أوسع من رواية (الصولي)، فمن الطبيعي أن يحتمل ضمها لما لم يضمه ما هو أقل منها إلا إذا كان ذلك معنيا بما لم يعْتَنِ الآخر به، وحينما نعلم أن في الديوان نقائض وزوائد واختلافات في رواية القصائد والمقطوعات؛ تحتاج إلى تحقيق ومناقشة، فلا غرابة في إهمال نص ما، لسبب ما، وليس غريبا أن يكون هذا النص من غير المعتاد شعريا، فجامع الشعر، غير الشاعر، والشاعر معني بتجربته، أما جامع الشعر، فقد يفوته منه شيء، وقد لا يفوته، لكنه يهمله، لعدم اهتمامه به، ولعدم تصوره قيمته الحالية والمستقبلية، ولا مرأى في أن الموشح آنذاك، ما كان معروفا، ولا كانت قيمته الشعرية معروفة، فقد يفوت الجامع شيء من هذا، ولا يهتم به ولا يعنيه.

إذن، فقد تقدّمت تجارب لشعراء عراقيين، فيها نكهة الموشح من الناحيتين الشعرية والموسيقية لكنها لم تنعت في زمانها ب (الموشح)، دون الكلام على موشح (أبيها الساقى) المختلف حوله.

لم يكن العراقيون كما يبدو هم الوحيدون الذين انشغلوا بهذه التجارب الشعرية المتنوعة، لكن (شوقي ضيف) ينتبه إلى أن ل (ديك الجن الحمصي) تجربة من هذا القبيل حيث يقول:- "ونفس الموشحات نجد صورة تقترب منها اقتراباً شديداً سواء من حيث الأدوار والمراكز أو الأفعال، إذ يُنسَبُ لديك الجن صنعه لمنظومة على هذا النحو"<sup>328</sup>...إلخ، فيثبت المنظومة. والدكتور (شوقي ضيف) يقتبس المنظومة من (خزانة الأدب) للحموي (طبعة بولاق)، ص 97.<sup>329</sup>، لكن الأستاذ (مظهر الحجي) يُقدم المنظومة مخرجة في ديوان ديك الجن الحمصي حين يقول:-

" وقال يتغرّل [من مجزوء الكامل ]

- |                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| 1 - قُولِي لِطَيْفِكَ يَنْثِي  | عَنْ مَضْجَعِي عِنْدَ الْمَنَامِ |
| " عند الرُقَادِ، عند الهُجُوعِ | عند الهُجُودِ، عند الوَسْنِ "    |
| 2- مَعَسَى أَنَامُ فَتَنْطَفِي | نَارَ تَأَجَّجٍ فِي الْعِظَامِ   |

328- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص 199.

329- ينظر:- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الهامش 7، ص 199.

" في المُؤَاد، في الصَّلُوعُ	في الكُبُود، في البَدَنُ "
3- جَسَدٌ تُقَلِّبُهُ الأَكُ	فَأُ عَلَى فِرَاشٍ مِنْ سَقَامٍ
" مِنْ فِتْنَادٍ، مِنْ دُمُوعٍ	مِنْ وَفُودٍ، مِنْ خَزَنٍ "
4- أَمَا أَنَا فَكَمَا عَلِمُ	تِ فَهَلْ لَوْصَلِكِ مِنْ دَوَامٍ
" مِنْ مَعَادٍ، مِنْ رُجُوعٍ	مِنْ وُجُودٍ، مِنْ نُثْمَنٍ "

#### المناسبة :

جاءت هذه الأبيات في (خزانة الأدب) : ص 78 شاهداً على التَّخْيِيرِ، وهو أن يأتي الشاعر ببيت يسوغ فيه أن يُقَمَّى بقوافٍ شَتَّى، فيختار السامع منها قافيةً مرَّجحةً على سائرهما، يُسْتَدَلَّ باختيارها على حسن اختياره. وقد قام أحد المتأخرين بإجراء التَّخْيِيرِ على الأبيات، فوردت في كتاب (نَفْحَةُ اليَمَن) : ص 33-34 مع حكاية طريفة تتَّهَمُ ديكَ الجِنِّ بالجنون<sup>330</sup>.

يقول : " قيل خرج هرون الرشيد متكرراً

= إلى بعض الفرج، فوجد صبياناً يلعبون، وفيهم غلام ذميم ضعيف البدن قاعد يحفظ ثيابهم، وهو يقلب ثوباً، وينشد شعراً ويقول :

قُولِي لِطَائِفِكَ يَبْنِي	عَنْ مَقْلَتِي عِنْدَ الْهَجُوعِ
كَيْمَا أَنَامَ فَتَنْطَلِي	نَارٌ تَوَقَّدُ فِي ضَلُوعِي
أَمَا أَنَا فَكَمَا عَهْدُ	تِ فَهَلْ لَوْصَلِكِ مِنْ رُجُوعِ
دِنْفٌ تُقَلِّبُهُ الأَكُ	فَأُ عَلَى فِرَاشٍ مِنْ دُمُوعِ

قال، فتعجب الرشيد من قوله مع صغر سنه، وشرع يؤانسه ويحادثه ويقول : لمن هذا الشعر ؟ والغلام يصد عنه، ثم اعترف أنه شعره . فعظم ذلك عند الرشيد، فقال له : إن كان شعرك حقاً كما

خلافاً لما جاء على الصفحات 20، 33، 34 من رأي محقق ديوان ديك الجن الحمصي، عبد السلام بن رغبان، 161-236-230هـ، جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004.

زعمت ، فأبقي المعنى وغيّر القافية . فأنشد في الحال وقال شعراً :

قولي لطيفك ينثني  
كما أنام فتنطفي  
عن مقلتي عند المنام  
نارٌ توقد في عظامي  
أما أنا فكما عهدُ  
ذنبٌ ثقَلَبُهُ الأُكُ  
تِ فهل لوصلك من دوام  
فأُ على فراشٍ من سقام

فتعجب الرشيد، وقال : أحسنت، إلا أن هذا مَحْفُوظٌ معك . قال : فامتحن . قال : فغيّر القافية واطرِك المعنى . فأنشد في الحال وقال شعراً :

قولي لطيفك ينثني  
كما أنام فتنطفي  
عن مقلتي عند الرقادِ  
نارٌ تأججُ في فؤادي  
أما أنا فكما عهدُ  
ذنبٌ ثقَلَبُهُ الأُكُ  
تِ فهل لوصلك من نفاذِ  
فأُ على فراشٍ من قتادِ

فقال الرشيد : أخبرني من أنت . فأخذ ثياب الصبيان على رأسه وصاح : قاق، قاق . فعلم الرشيد إنه ديك الجن<sup>331</sup> هـ .

#### التخرج :

خزانة الأدب: ص 78 . وقد أورد النص كاملاً . -نفحات الأزهار ص 229 - 230 . أورد النص كاملاً . - نفحة اليمن: ص 33-34 . أورد = النص كاملاً . - حلية البديع: ص 82 . الشطر الأول من البيت (1) .<sup>331</sup> ، وبغض النظر عن أسطورية ما جاء في (نفحة اليمن) الناتجة عن كثير من الهنات التي منها :-

- 1 . من هذا الذي قام بالتخيير ؟!
  - 2 . متى كان ذلك ؟!
  - 3 . أكان ذلك يوم كان (الرشيد) أميراً أم بعد ذلك ؟!
  - 4 . أكان ذلك في (بغداد) حيث عاصمة (الرشيد) ؟ أم في (حمص) موطن (ديك الجن) ؟!
- وإذا كان (ديك الجن) صغيراً فكيف عرف (الرشيد) أنه ديك الجن ؟!
- ثم أن المعروف عن (ديك الجن) أنه قليل السفر<sup>332</sup> ، فأين لقيه (الرشيد) ؟!

331- ديوان ديك الجن الحمصي، ص 204-205 .

331- "لم تكن لديك الجن علاقات واسعة برجال عصره، فهو لم يرح ببلاد الشام قط، كما تقول معظم كتب التراث، وأغلب الظن أنه قضى معظم أيام حياته في مدينة حمص . وعلى الرغم من أن العراق كان قبلة الشعراء في زمنه، إلا أنه لم يزره، ولم يفتد على بلاطات خلفائه أو وزرائه وأمرائه، لأنه لم يكن شاعراً مباحاً متكسباً بشعره." 332- (ديوان ديك الجن الحمصي)، ص 47 .

إذن، فهذا قريب من الأسطورة إن لم يكن أسطورة فعلاً، لكن المهم أن (الحموي) في (خزانة الأدب) جعل هذا النص؛ شاهداً على (التخيير)، فهذا يعني أنه مما هو شائع في ذلك الزمان، لكن لا أحد ممن ذكرهم الأستاذ (مظهر الحجّي) محقق (ديوان ديك الجن الحمصي) نسب هذه المقطوعة إلى الموشحات؛ من قريب أو من بعيد، لكنها بالحققة لا تبتعد عن أن تكون تجربة من تجارب الموشح، التي نصّ عليها الدكتور (شوقي ضيف) حين قال معلقاً عليها:- "وواضح أن هذه المنظومة نشأت من فكرة بسيطة هي تكرار قافية البيت بروي جديد، وكأنما وقعت هذه المنظومة لمقدم بن معافى القبري الأندلسي شاعر الأمير عبد الله بن محمد المرواني (275-300هـ) فنظم على نمطها بعض منظوماته إعجاباً بها، واستحساناً لها. وكتب لهذا النمط أن يشيع بعده في الأندلس باسم الموشحات وأن يسكب الوشاحون فيه من الأنعام ما يمتع الأسماع والأفئدة".<sup>333</sup> فإذا صحَّ ذلك، بدا أن للمشرقيين؛ تجارب قبل (ابن المعتز) تتجه نحو الموشح، مما يمكن من تصوّر (ابن المعتز)؛ مبشراً بال (موشح) الذي انتشر في الأندلس، بفضل (زرياب) وتلاميذه من ناشري المدرسة الموسيقية العراقية الجديدة، وما احتاجته من تطوير الشعر للغناء، فانتعش (الموشح) في الأندلس.

وهكذا يبقى في النفس شيء من قلق عن هذه القضية؛ يحفز على دراسة أوسع وأدق، وأكثر مناسبة، لإلغاء ترجّح الموشح، بين (بغداد) المبدعة، والأندلس.

#### د. موضوعات الموشحات:-

تُعَدُّ موضوعات الموشحات؛ موضوعات الشعر العربي المعتاد نفسها؛ غير أن الوشاحين اعتنوا بالفزل والخمر والمجون ووصف الطبيعة أكثر من اعتنائهم بالموضوعات الأخرى مثل المدح والهجاء والرتاء والزهد، لكن ذلك لا يعني انعدام النظم في هذه الموضوعات.

#### هـ. من مميزات الموشحات:-

1 . يغلب أن تكون معاني الموشحات لطيفة، ولا بأس عند الوشاح أن يكرر معنى سبقه إليه غيره وهو ما يعده نقاد الشعر؛ سرقة .

2 . قلما يُعنى الوشاحون بجزالة مباني الموشحات، فلا ينكر عندهم المبنى السخيف الضعيف، فهم يقبلونه ويُقبلون به على متلقيهم، وقد كسوه بالمحسنات البديعية والبيانية ذات الموسيقى المطربة؛ إخفاءً لما هناك من سخف في المعنى وضعف في المبنى، وهو ما قد يُلاحظ على بعض ما يسمى:- (الأغنية الشبابية) في الوقت الحاضر .

#### و. أثر الموشحات:-

كان للموشحات انتشار عظيم بين الناس؛ ملوكاً وسوقة، فهم يرون الموشحات؛ ترفاً ممتعاً؛ يمكن التخلي عنه في حين يرون للشعر فضلاً كبيراً عليها، فلا غنى لهم عنه، فالخلود للشعر وبه،



وهكذا يلحظ التردد في مسألة أولية الموشحات بين بغداد والأندلس بل بين أكثر من أندلسي لكن المؤكد أنها شاعت في الأندلس غير أن أهل الأندلس قلما اعتنوا بجمع الموشحات، ولم يُعْثَرُوا بتحديد قواعد الموشحات في مؤلف قبل (ابن سناء الملك) المصري وإن تكونت لديهم أعراف ومفاهيم حول الموشح؛ حاول (ابن سناء الملك) التعرف عليها والتعريف بها في هذا الكتاب المهم لكل باحث في الموشح الأندلسي .

## وشاحون أندلسيون وموشحات أندلسية لسان الدين بن الخطيب

هو محمد بن عبد الله المعروف بلسان الدين بن الخطيب؛ ولد في غرناطة سنة 713هـ ونشأ فيها وتعلم وعمل، أدرك الوزارة في مملكة بني نصر المعروفين ببني الأحمر؛ اشترك في عدد من الفتن السياسية؛ ساءت العلاقة بينه وبين الغني بالله؛ سلطان غرناطة الذي مدحه بالموشحة التالية ارتحل ابن الخطيب إلى مراكش، لكن الدسائس لم تبعد عنه بل لاحقته هناك حيث تم سجنه ثم قُتِلَ في سجنه بمدينة فاس سنة 776هـ، فتم دفنه ونبش قبره ليحرق، ثم يُعاد دفنه في قبر يُعرَف الآن ب (قبر المحروق) حزنا عليه من أصدقائه المحبين، وذمًا له من أعدائه المبغضين . من مؤلفاته التي نُوِّقت عن السنين (الإحاطة في أخبار غرناطة)، و (جيش التوشيح)، فكان على هذا وشاحاً شاعراً أديباً ناثراً مؤرخاً عالماً؛ تميز بهذا كله وبغيره، لكن السياسة كانت عمله فبلغ مرتبة ذي الوزارتين القلم والسيف تُعد موشحته (جاذك الغيث) من أهم الموشحات الأندلسية وأجملها، إذ امتازت بأمور غير الرقة والجمال؛ من هذه الأمور جمعها بين الغزل ووصف الطبيعة والزهد والمدح، وقلما اجتمعت هذه الموضوعات في موشحة واحدة. ثم أن هذه الموشحة عارضت واحدة من أشهر وأجمل وأرق الموشحات الأندلسية وهي موشحة ابن سهل الإشبيلي الإسرائيلي الذي عرفه ابن الخطيب في الموشحة بقوله:- (عارضت لفظاً ومعنى وحلى قول من أنطقه الحب فقال) وكنى عن ابن سهل بمن انطقه الحب فقال؛ معبراً عن جمال الموشحة بقوله عارضت معنى ولفظاً وحلى ثم يأتي بالقفل الأول من موشحة ابن سهل توكيداً لهذا التعريف بل حلاً للغز، إذ كثيرون هم الذين أنطقهم الحب فقالوا، فكانت الموشحتان؛ فرسي رهان تتسابقان في أذهان محبي الأندلس وموشحاتها، على أن ابن الخطيب؛ وإن كان قد جمع كما تقدم بين الغزل ووصف الطبيعة والزهد والمدح مشيداً بابن سهل وموشحته، فإن ابن سهل؛ كان السابق، وقد فرغ موشحته من كل شيء سوى الغزل والوصف، ولكل راية في الموشحيتين اللتين لا يختلف عارفان بالموشح الأندلسي؛ على أنهما عيانان من أجمل عيونه، وجنتان فاتنتان من أحلى فنون فتونه:-

يا زمانَ الوصلِ بالأندلسِ<sup>339</sup>  
 في الكرى أو خلسة المختلسِ  
 ينقلُ الخطو على ما ترسّمُ  
 مثلما يدعو الحجيجُ<sup>340</sup> الموسمُ  
 فتغورُ الزهرِ فيه تبسّم  
 كيف يروي مالكٌ عن أنسِ  
 يزدهي منه بأبهى ملبسِ<sup>341</sup>  
 بالدجى لولا شمسُ الغررِ  
 مستقيم السيرِ سعد الأثرِ  
 أنه فرّ كلمح البصرِ  
 هجم الصبح هجوم الحرِ  
 أثرت فينا عيون النرجسِ  
 فيكون الروض قد مكن فيه  
 أمنت من مكره ما تنقيه  
 وخلا كل خليل بأخيه  
 يكتسي من غيظه ما يكتسي  
 يسرقُ السمع بأذنّي فرسِ  
 وبقلبي مسكنٌ انتم به<sup>342</sup>  
 لا أبالي شرقه من غربه  
 تُغتقوا عانيكم من كربِه  
 يتلاشى نفساً في نفسِ  
 أفترضون عفاء الخبسِ ؟  
 بأحاديث المنى و هو بعيدُ  
 شقوة المفرى به و هو سعيدُ  
 في هواه بين وعدٍ و وعيدُ  
 جال في النفسِ مجال النَّفسِ  
 ففؤادي نهبه المفتسرِ

جادك الغيثُ إذا الغيثُ همي  
 لم يكن وصلك إلا حلماً  
 إذ يقودُ الدهرُ أشتات المنى  
 زُمرأً بين فرادى وثنّى  
 والحيّا قد جال الروضَ سنا  
 وروى النعمان عن ماء السّما  
 فكساهُ الحُسنُ ثوباً مُعلما  
 في ليالٍ كتمت سرّ الهوى  
 مال نجم الكأسِ فيها وهوى  
 وطرّ ما فيه من عيبِ سوى  
 حين لد النوم شيئاً أو كما  
 غارت الشهبُ بنا أو رُبما  
 أي شيءٍ لإمرئٍ قد خلصا  
 تنهب الأزهار فيه الفرصا  
 فإذا الماء تناجى والحصى  
 تُبصر الورد غيراً برما  
 وترى الآس لبيباً فهما  
 يا أهيلَ الحيّ من وادي الفضا  
 ضاق عن وجدي بكم رجب الفضا  
 فأعيدوا عهد أنسٍ قد مضى  
 واتقوا الله وأحيوا مفرماً  
 حبس القلبَ عليكم كرماً  
 و بقلبي منكم مقترّبُ  
 قمرٌ أطلع منه المغربُ  
 قد تساوى محسنٌ أو مذنبُ  
 ساحرُ المقلةِ معسول اللمي  
 سدّد السهم و سقى و رمى

339 - للحفظ ثلاثة أفعال و بيتان.

340 - و في رواية الوفود.

341- وصف الطبيعة الذي سيمتج بوصف الخمر والغزل.

342- ذكرى غزل و طموح لعودة أيامها.

و فؤاد الصبّ بالشوق يذوبُ  
ليس في الحبّ لمحبوبٍ ذنوبُ  
في ضلوعٍ قد براها و قلوبُ  
لم يراقبُ في ضعافِ الأنفسِ  
و مجازي البر منها و المسي  
عاده عيد من الشوق جديد  
قوله :- ((إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ))<sup>343</sup>  
فهو للأشجان في جهد جهيد  
فهي نار في هشيم اليبسِ  
كبقاء الصبح بعد الغلسِ  
و اعمرى الوقت برجعى و مناب  
بين عتبي قد تقضت و عتاب  
ملهم التوفيق في أم الكتاب<sup>346</sup>  
أسد السرج و بدر المجلس  
ينزل الوحي بروح القدس<sup>347</sup>  
الغني بالله عن كل أحد  
و إذا ما قَبَحَ الخطب عقد  
حيث بيت النصر مرفوع العمد  
و جنى الفضل زكي المغرسِ  
و الندى هب إلى المغترسِ  
و الذي إن عثر الدهر أقال

إن يكن جازَ و خاب الأملُ  
فهو للنفسِ حبيبٌ أوّلُ  
أمره معتملٌ ممتثلُ  
حَكَمَ اللّحظَ بها فاحتكما  
مُنصِفُ المظلومِ ممن ظلما  
ما لقلبي كلما هبت صبا  
كان في اللوح له مكتتبا  
جلب الهم له و الوصبا  
لا عج في أضلعي قد أضرمنا  
لم يدع من مهجتي إلا ذما  
سلمي يا نفس في حكم القضا<sup>344</sup>  
و اتركي ذكرى زمان قد مضى  
و اصرفي القول إلى المولى الرضى<sup>345</sup>  
الكريم المنتهى و المنتمى  
ينزل النصر عليه مثلما  
مصطفى<sup>348</sup> الله سمي المصطفى  
من إذا ما عقد العهد وفى  
من بني قيس بن سعد و كفى  
حيث بيت النصر محمي الحمى  
و الهوى ظل ظليل خيما  
هاكها<sup>349</sup> يا سبط أنصار العلا

343 - مقتبس من القرآن الكريم، إبراهيم من الآية 7.

344 - يكشف الزهد هنا عن نفسه

345 - بدء المدح.

346 - لعله أخذه من قوله تعالى: - ((وإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَلِيلًا لِّعَلِيٍّ حَكِيمٍ)) (الزخرف:4)، القرآن الكريم، و تنظر الآية

7 من سورة آل عمران، و الآية 39 من سورة الرعد.

347 - لعله استلهم هذا الشطر من قوله تعالى: - ((قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)) (الحل:102)، القرآن الكريم، و تنظر في القرآن الكريم الآيات 87 و 153 من سورة البقرة و

110 من سورة المائدة .

348 - كان أسم السلطان الذي مدحه ابن الخطيب بهذا الموشح مصطفى، و لقبه الغني بالله.

349 - يمتزج المدح بوصف الموشحة.



غادة ألبسها الحسن ملا  
عارضت لفظاً و معنى و حلى  
“هل درى ظبي الحمى أن قد حمى  
فهو في حر و خفق مثلما

تبهر العين جلاءً و صقال  
قول من<sup>350</sup> أنطقه الحب فقال :-  
قلب صب حله عن مكنس  
لعبت ريح الصبا بالقبس<sup>351</sup>

---

350 - يريد ابن سهل الإسرائيلي الذي سيأتي قفل موشحته التي عارضها ابن الخطيب؛ فورا.  
351 - فن التوشيح لمصطفى عوض الكريم ص 210 ، و تنظر موشحة ابن سهل في نفع الطيب للمقري ج 9 ص  
.271

## ابن الصائغ السرقسطي

اشتهرت موشحة ابن باجة، أبي بكر محمد بن الحسين بن الصائغ السرقسطي<sup>352</sup> (ت 533 هـ) وذاعت، لذلك عارضها عدد من الوشاحين فجعلوا مطلعها خرقة لموشحاتهم ومنهم ابن عربي (ت 668 هـ) وابن الصباغ، وقد روي أن ابن باجة لما ألقى على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحته التي نص قفلها الأول :-

جرر الذيل أيما جرر وصل الشكر منك بالشكر

طرب ابن تيفلويت، ولما ختمها بقوله، عقد الله راية النصر، صاح واطرباه! وشق ثيابه، وقال ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلف الأيمان المغلظة إلا يمشي صاحب الموشحة إلى داره إلا على الذهب، فخاف الفيلسوف الوشاح سوء العقاب، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه.

جرر الذيل أيما جرر وصل الشكر منك بالشكر<sup>353</sup>

(2)

ذاك ضوء الصباح قد لاحا

ونسيم الرياض قد فاحا

لا تقدر في الظلام مصباحا

خل عنه وشعشع الراحا

حيث تنهل ادمع القطر وترى الروض باسم الثغر<sup>354</sup>

(3)

نظمت جوهر العلا سلكا

كن ملك يزين الملكا

ما برا الله مثله ملكا

لاح بدرأ وفاح لي مسكا

كالحياء، كالأمان كالدهر

كعلي في الحرب أو عمرو

(5)

كلما لاح وهو ملتئم

كهلال تحفة ديم

خافقاً فوق رأسه علم

غنت العرب فيه والعجم<sup>355</sup>

352- تنظر ترجمته في قلائد العقبان 346 .

353 - للحفظ ثلاثة أفعال و بيتان .

354 - لم تذكر هذه الموشحة كاملة، لذا تم ترقيم الأبيات و الأفعال لمعرفة الخدوف منها.

355- لعله أخذه من قول الفرزدق في مدح زين العابدين؛ علي بن الحسين (ع):-

عقد الله راية النصر  
وقال ابن زمرك<sup>357</sup> أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت بعد 792 هـ)، في موشحته :-

نسيم غرناطة عليل  
وروضها زهره بليل  
لكنة يبيريء العليل  
ورشفه ينقع الغليل  
(2)

عقيلة تاجها سبيكة  
تطبع عن عسجد سبيكة  
تطل بالمرتب المنيف  
كأنها فوقه مليكة  
شموها كلما تطيف  
أبدعك الخالق الجليل  
يا منظرأ كلهُ جميل  
وقبلنا قد صبا جميل<sup>358</sup>  
قلبي إلى حُسنه يميل  
(3)

وزاد للحسن فيك حسناً  
جدد للفخر فيك معنى  
محمد الحمد والسماح  
في طالع اليمن والنجاح  
تدعى رشاداً وفيك معنى  
يخصك الفأل بافتتاح  
فالنصر والسعد لا يزول  
لأنه ثابت أصيل  
سعد وأنصاره قبيل  
آباؤه عترة الرسول  
(7)

يا سرحة في الحمى ظليلة  
روضك الله من خميلة  
كم نلت في ظلك المنى  
يجني بها أطيب الجنا  
وبرقها صادق المخيلة  
مازال بالغيث محسنا  
أنجز لي وعدك القبول  
فلم اقل مثل من يقول  
يا سرحة الحي يا مطول  
شرح الذي بيننا يطول<sup>359</sup>

---

هذا ابن فاطمة إن كنتَ تجهله العرب تعرف من أنكرتُ والعجم

356 - ديوان الموشحات الأندلسية 1 / 406 .

357 - تُنظر ترجمته في الكتيبة الكامنة 282 الدرر الكامنة 4/412، نشر فرائد الجمان 326، جذوة الاقتباس 98/4، فن التوشيح 145.

358 - يُريد الشاعر الأموي جميل بن معمر المعروف بجميل بثينة لتعلقه بها في قصة هوى عذري معروف.

359 - ديوان الموشحات الأندلسية 2/503-506 .

## ابن زهر الحفيد

“ولد بإشبيلية سنة 507 هـ و حفظ القرآن وسمع الحديث، وأخذ الطب عن أبيه و جدّه و ضرب بسهم وافر في الأدب واللغة، روي أنه كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب، وأنه حفظ صحيح البخاري أسانيد ومتوناً فضلاً عن أشعار الجاهليين والمولدين، كان رفيع المنزلة عند أمراء عصره، سمحاً جواداً، نفاعاً بجاهه وماله، قوي البنية، متين اليدين، قوي النفس، محباً للخير، وكان إمام الوشاحين في عصره دون منازع .

وقد خدم ابن زهر الحفيد دولتي المرابطين والموحدين ومن مؤلفاته: الترياق الخمسيني ورسالة في طب العيون، وفي سنة 595 هـ وفد ابن زهر على مراکش لتجديد بيعة الخليفة أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف فُدس إليه السم بأمر وزير المنصور عبد الرحمن بن يوجان، حسداً وبغضا، فمات وصلى الخليفة عليه ودفن بروضة الأمراء في مراکش<sup>360</sup> .

حيّ الوجوه الملاحا  
هل في الهوى من جناح  
أو في نديم وراح  
رام النصح صلاحي  
وكيف أرجو صلاحا  
أبكى عيون البواكي  
تذكارُ أختِ السماءِ  
حتى خمّام الأراكِ  
بكى بشجوي وناحا  
ألقي إليها زمامه  
صبّ يداري غرامه  
ولا يطيق اكتتامه  
غدا بشوقٍ و راحا  
يا غائباً لا يغيبُ  
أنت البعيد القريبُ  
كم تشتكك القلوبُ  
أثخنْتَهْنَ جراحا  
يا راحلا لم يودّع

وحيّ نُجَلّ العيون<sup>361</sup>  
بين الهوى والمجون  
على فروع الفصون  
ما بين شتى الظنون  
فاسأل سهام الجفون

360 - جيش النوشيح ، ص 273.

361 - للحفظ ثلاثة أفعال و بيتان.

رحلت بالأنس أجمع

والبحر يعطي ويمنع

حوت عيناك الملاحة

362 سحرا وما ودعوني

وهكذا تتعدد موضوعات الموشحات وأغراضها ولكن يبقى الغزل والوصف طاغيين كما تمتلئ الموشحات بالشجى والشجن؛ يطبعها طابع الحزن، وقد اخترت هنا بعضاً من أشهر الموشحات الأندلسية وأجملها وأرقها وأقربها إلى الذوق العربي المعتاد.

## النثر الأندلسي

اهتم العرب في ما اهتموا به بالأدب عامة بجناحيه الشعري والنثري، لكن حبهم للشعر واهتمامهم بنظمه وحفظه وروايته؛ فاق اهتمامهم بالنثر، فكان للنثر مكانه المهم في وقته؛ يؤثر في من ينبغي أن يؤثر بهم؛ التأثير الممكن، ثم لا يلبث أن يُنسى أو يوشك أن ينسى لقلّة اهتمام العرب برواية النثر الذي قلما تتكرر الحادثة التي يقال فيها، ثم أن باب النثر مفتوح، ليس فيه وزن ولا قافية إلا إذا كان مسجوعاً، فللنثر أن يجنح إلى الخيال وللخيال أن يجمع في النثر، فيفعل النثر فعله وينتهي أمره، لانتهاء الحاجة إليه، غير أن هذا لا يعني انتفاء الحاجة إليه، من هنا كانت الخطب قبل الإسلام، ومن هنا كان الاختلاف في روايتها، مما أدى بالبعض إلى نفي النثر الجاهلي، لكن نزول القرآن الكريم على الرسول (ص) بلسان عربي مبين؛ بين العرب الذين فهموه بل أعجبوا به يدعو إلى تصور وجود نثر ذي شأن؛ وصلنا شيء منه أو لم يصل على اختلاف العلماء.

ثم أن الخطابة والرسائل انتعشت وازدادت في العهد النبوي الكريم وتطورت في عهد الراشدين والأمويين والعباسيين، حتى جمع الشريف الرضي من خطب الإمام علي (ع) ورسائله وحكمه كتاباً مهماً أسماه (نهج البلاغة)؛ نال من اهتمام الشراح والباحثين والدارسين والمهتمين؛ من الأدباء والمثقفين ما نال، فلما كان فتح الأندلس، كان في الجيش الفاتح من الخطباء والشعراء؛ من كان، ممن لم تصلنا أخبارهم ولا آثارهم، لولا ما أنشدناه من خطبة طارق بن زياد قائد الفتح الأندلسي الأول، وما دار حول صحتها من مناقشات طويلة، بيتاً رأينا فيها في محله.

وعلى هذا، فنحن عاجزون عن تقويم هذه الآثار إن وجدت ولم تصلنا، أما إن لم توجد، فقد كفانا الله شأنها، لكن من القليل الذي وصلنا من النثر في فتح الأندلس؛ خطبة (طارق بن زياد) قائد أول حملة عربية على الأندلس تلك الخطبة التي تخوف المقاتلين المسلمين الغرباء

من الهرب وتحثهم على القتال، وتبين لهم موجبات القتال حيث تمنيههم بالمال والنساء الحسان، وهي خطبة جميلة من الناحية الأدبية، وقد تقدم إنها مصوغة صياغة تخدم الحرب أولاً، والسياسة ثانياً، فالجانب الأدبي فيها خادم لا مخدوم ونص هذه الخطبة الجميلة؛ تقدم في مبحث (طارق بن زياد قائد الفتح العربي الأول للأندلس وخطيبه) في هذا الكتاب.

وهي خطبة واضحة مفهومة للعمامة والخاصة؛ اختلف مؤرخو الأدب في نسبتها إلى طارق بن زياد، بسبب كونه بربرياً، وأياً كان الأمر فهي خطبة تعبر عما يجيش في قلب قائد جيش؛ يريد أن ينقله إلى أفراد الجيش، ويبدو أن هذه الخطبة؛ قد أدت واجبها، إذ أثرت أثرها في مستمعيه بغض النظر عن جنسه أو أجناسهم، وبغض النظر عما إذا ألقاها بالبربرية، ثم تمت ترجمتها إلى العربية في وقتها أو في وقت آخر، لكن قول طارق بن زياد:- “وقد أنتخيتكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً”... ألخ يدل على أن أفراد الجيش المقاتل كانوا من العرب أو المتكلمين بالعربية، فتقوى فكرة أن الخطبة ألقىت آن ذاك، وأنها ألقىت بالعربية أيضاً.

وإذا كانت النصوص الشعرية التي وصلتنا قليلة في هذه الفترة، فقد كان طبيعياً أن تصلنا عن هذه الفترة؛ نصوص نثرية أقل؛ من هنا صح قول الدكتور حازم عبد الله خضر:- “إن نثر ما قبل القرن الرابع لم يكن مستقلاً متميزاً وإنما كان في نطاق محدود وبخاصة في القرنين الثاني والثالث إذ لم يتجاوز الخطب والمراسلات السياسية والدينية في نطاق معين. وإن النهضة الثقافية التي كانت من خصائص وسمات القرن الرابع شكلت حجر الأساس والبذور الأولى للثقافة الواسعة والنتاج الخصب في شتى المستويات الثقافية والأدبية وفي مقدمتها النثر”<sup>363</sup>

وعلى هذا الأساس سنتجاوز القرنين الثاني والثالث من الناحية النثرية متجهين إلى القرون التالية حيث أثمرت الجهود الثقافية السابقة من جهة وحاجة الأمويين أمراء أمراء وخلفاء ووزراء ومن ثم ملوك الطوائف إلى الشعراء والناثرين من جهة أخرى، وتنوع الشعراء والناثرين ما بين مؤيد للعهد السابق الأموي أو العامري طالب للعمل مع ملوك الطوائف أو رافض للعمل معهم أو ممن أراد العمل معهم؛ ممن لم يكن له شأن بالعهد السابق؛ كل هذه الأمور وسواها أدت إلى انتعاش الثقافة عامة، والثقافة السياسية خاصة؛ ممثلة بالشعر والنثر، وإذا كنا قد تحدثنا عن الشعر؛ بشكل مبسط؛ فلا بد من أن نتحدث عن النثر كذلك؛ غير أن هناك مسألة جديرة بالاهتمام قبل هذا الحديث؛ هي أن أغلب الشعراء الأندلسيين؛ ناثرون، وأغلب الناثرين الأندلسيين؛ شعراء لكن غلب الشعر على بعضهم فعددها شاعراً كما فعلنا مع ابن زيدون حيث ذكرنا جانباً من رسالتيه الجديدة والهزلية وقد ناقشناها حين درسناه.

363- النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دكتور حازم عبد الله خضر ص567.

في القرن الرابع ولد شعراء ناثرون كثيرون ظهوروا وأبدعوا في القرن الخامس، كما ولد ناثرون شعراء كثيرون ظهرت أهميتهم ومكانتهم الشعرية والنثرية في القرن الخامس، ومنهم ابن شهيد النثر الكبير الذي ارتبط اسمه برسالة (التوابع والزوابع) وهي رسالة قصصية فيها من الأدب والنقد والفكاهة الساخرة؛ ما فيها لكن هذه الرسالة القصصية التوابع والزوابع قد غطت على رسائل قصصية له أخرى؛ منشورة في كتاب الذخيرة، كما أنها غطت على شعره الذي تم جمعه غير مرة<sup>364</sup> في العهد الحديث، كذلك ظهر علي بن حزم النثر الشاعر الفقيه؛ الذي اقترن اسمه بكتابه (طوق الحمامة في الألفة والألاف) وهو كتاب ظاهره في الحب، وحقيقته في السياسة<sup>365</sup>، وقد ضم الكثير من شعر ابن حزم وقصصه التي روى بعضها والتي كان شاهداً على بعضها أو بطلاً من أبطال بعضها الآخر ناهيك عن أن يكون أحد شخوصها، وهذا الكتاب ليس كتاباً شعرياً خالصاً، ولا كتاباً قصصياً خالصاً، لكن الشعر والقصة؛ أتيا لتأكيد رأي أو توضيح مسألة أو دليل على شيء؛ من هنا لم تكن القصة مقصودة بذاتها، وإن كان الشعر مقصوداً كما يبدو، ففي الكتاب شيء من حياة ابن حزم وأسرته وأصدقائه وشيوخه ومعارفه وخصومه، مما صور لبعض الباحثين أن الكتاب من باب المذكرات؛ في حين صور لآخرين أنه من كتب التأريخ أو الفلسفة أو الاجتماع أو غير ذلك، والذي يبدو أنه لم يكن كتاباً متخصصاً في واحد من هذه الأشياء لقد كان كتاباً في الحب ظاهراً، وفي السياسة باطنياً؛ الأمر الذي أحوجه إلى كل هذه الجوانب، فاستعان بها موضوعاً، واستعان بالشعر والنثر شكلاً، فكان هذا الكتاب الممتع؛ المثير للرغبة في قراءته؛ المحدث للكثير من النقاش الذي دار حوله.

والباحثون في الرسائل يقسمونها أقساماً مختلفة ومتنوعة كل بحسب رأيه فالدكتور (مصطفى الشكعة) يخص النثر الأدبي في الأندلس بالبابين الأخيرين السادس والسابع من كتابه (الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه)، حيث يوشك أن يقسم هذا النثر؛ إلى قسمين أحدهما (الرسائل) ويخصها بالباب السادس مع أنه يضعه تحت عنوان:- "النثر الفني في الأندلس"<sup>366</sup>، في حين يخص القصة الأندلسية بالباب السابع المعنون:- "القصة في الأندلس"<sup>367</sup>، ومع ذلك، فهو يقسم الرسائل إلى ثلاثة أقسام هي:-

364- ينظر مثلاً ديوان ابن شهيد الأندلسي جمعه وحققه يعقوب زكي، ط تراثنا- القاهرة بدون سنة طبع.

365- بسط الباحث هذا الأمر في أطروحته لنيل درجة الدكتوراة المعنونة:- "ملاحم قصصية في الرسائل الأدبية النثرية الأندلسية بين القرنين الخامس والثامن الهجريين"، ص 136.

366- ينظر الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 565 وما بعدها.

367- م، ن، ص 637 وما بعدها.

“1. الكتابة<sup>368</sup> الديوانية<sup>369</sup>”

“2. الكتابة الإخوانية<sup>370</sup>”

“3. الكتابة العلمية ذات الصيغة الأدبية<sup>371</sup>”

ويدرس في الباب السابع قصتين أندلسيتين هما :-

“1. التوابع والزوابع<sup>372</sup> لابن شهيد .

“2. حي بن يقظان<sup>373</sup> لابن طفيل .

ولو تأمل الدكتور الشكعة، لتبين أن قصتي (التوابع والزوابع) و (حي بن يقظان) إنما هما رسالتان، فكان يمكن تقسيم الرسائل عنده إلى أربعة أقسام، بإضافة قسم (الكتابة القصصية)، ولو تأمل أكثر، لوجد الرسالتين إخوانيتين، ولضمهما إلى الرسائل الإخوانية لكن لم يفعل، ولكل باحث رأيه .

ويتناول الدكتور علي محمد سلامة “النثر الفني في الأندلس<sup>374</sup> في الباب السادس من كتابه (الأدب العربي في الأندلس، تطوره - موضوعاته وأشهر أعلامه) ويخصص للفصل الثاني من هذا الباب “الرسائل وأنواعها<sup>375</sup> ويقسمها إلى قسمين هما :-

“1. الرسائل الديوانية<sup>376</sup>”

“2. الرسائل الإخوانية<sup>377</sup>”

ويخص القصة الأندلسية في الفصل الرابع من الباب نفسه ويتحدث عن “قصة التوابع والزوابع<sup>378</sup> ويقال له في (التوابع والزوابع) ما قيل للدكتور الشكعة .

---

368- يريد الدكتور الشكعة بكلمة :- (الكتابة) الرسائل .

369- ينظر الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه، ص 565 وما بعدها .

370- ينظر م، ن، ص 583 وما بعدها .

371- ينظر م. ن، ص 613 وما بعدها .

372- ينظر م. ن، ص 641 وما بعدها .

373- ينظر م. ن، ص 685 وما بعدها. الأدب الأندلسي

374- ينظر الأدب العربي في الأندلس، تطوره- موضوعاته وأشهر أعلامه، ص 437 وما بعدها .

375- ينظر م. ن، ص 451 وما بعدها .

376- ينظر م. ن، ص 453 وما بعدها .

377- ينظر م، ن، ص 461 وما بعدها .

378- ينظر م. ن، ص 489 وما بعدها .



ويدرس الدكتور مصطفى الزباخ في كتابه ( فنون النثر الأدبي الأندلسي في ظل المرابطين ) النثر الفني في الباب الأول الذي يخص الرسالة<sup>379</sup> منه بالفصل الثالث ويقسمها إلى نوعين هما :-

“النوع الأول : الرسالة الديوانية”<sup>380</sup>

“النوع الثاني : الرسالة الإخوانية”<sup>381</sup>

فهو بهذا يشارك الدكتور (علي محمد سلامة) في تقسيمه، ويخالفه في التقسيم الداخلي لكل من النوعين .

أما الدكتور (حازم عبد الله خضر) فيهتم في كتابه (النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين) بالرسالة، فيخصها بالباب الأول المعنون :- “في عرض النماذج وتصنيفها والتعليق على معانيها”<sup>382</sup> ويقسمها إلى خمسة أقسام؛ يخص كل قسم منها بفصل هي على التوالي :-

“الفصل الأول : الرسائل الدينية”<sup>383</sup>

“الفصل الثاني : الرسائل الاجتماعية”<sup>384</sup>

“الفصل الثالث : الرسائل الإخوانية”<sup>385</sup>

“الفصل الرابع : الرسائل الديوانية”<sup>386</sup>

“الفصل الخامس : الرسائل الوصفية”<sup>387</sup>

ويضع الباب الثاني تحت عنوان :- “في النثر القصصي والمقامات”<sup>388</sup> يخصص الفصل الأول منه للنثر القصصي؛ يضمه دراسة عنوانها “رسالة التوابع والزواج”<sup>389</sup> فإذا علم أن (التوابع والزواج)؛ رسالة فقيم لم يضيفها قسماً سادساً من أقسام الرسائل؟!

---

379- ينظر فنون النثر الأدبي الأندلسي في ظل المرابطين، ص 155 وما بعدها، (مع ملاحظة الاختلاف بين فهرست الموضوعات و المتن، و قد أتمدنا ما جاء في المتن).

380- ينظر م، ن، ص، 167 وما بعدها.

381- ينظر م. ن ، ص 192 وما بعدها.

382- ينظر النثر الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين، ص85 وما بعدها.

383- ينظر م. ن، ص 91 وما بعدها.

384- ينظر م. ن، ص 111 وما بعدها.

385- ينظر م. ن، ص 159 وما بعدها.

386- - ينظر م.ن، ص 207 وما بعدها.

387- ينظر م.ن، ص 247 وما بعدها.

388- ينظر م. ن، ص 287 وما بعدها.

هذه مسألة أستغربها من أكثر الباحثين، وأنبه إلى أن هذه التقسيمات لا تتسم بالدقة الكافية، لكنها تُذكرُ لمجرد التدقيق في البحث العلمي وتوضيحه، ذلك أنك تستطيع أن تضمّن نصاً واحداً في أكثر من تقسيم من ذلك :-

## الرسائل القصصية رسائل إخوانية

إذا قبلنا تعريف الدكتور (حازم عبد الله خضر) للرسائل الإخوانية والذي نصه :- "الرسائل التي نكتب بين الأنداد والأصدقاء في أمور وقضايا اجتماعية مختلفة وغالباً ما تكون بين الأدباء أنفسهم أو بينهم وبين أنداد وأصدقاء لهم من القضاة والعلماء وغيرهم"<sup>390</sup> أو قبلنا تعريف الدكتور مصطفى الزباخ لهذه الرسائل ونصه :- "هي تلك الخطابات التي يتبادلها الأدباء فيما بينهم في مختلف المناسبات كالمكاتبات في المواساة والعزاء والعتاب والتهنئة والاستغاثة، مؤكدة في طياتها عمق الروابط الأخوية والإنسانية لهذا المجتمع أو ذلك"<sup>391</sup> وتتبعنا بدايات أهم الرسائل القصصية المتمثلة في :-

التوابع و الزوابع لابن شهيد التي تبدأ بقوله :-  
"لله أبا بكر ظنّ رَمَيْتَهُ فَأَصْمَيْتَ"<sup>392</sup>، وَحَدَسَ أَمَلْتَهُ فَمَا أَشْوَيْتَ"<sup>393</sup> ! أَبْدَيْتَ بَهْمَا وَجَهَ الْجَلِيَّةِ، وَكَشَفْتَ عَنْ عُرَّةِ الْحَقِيقَةِ، حِينَ لَمَحْتَ صَاحِبَكَ"<sup>394</sup> الذي تكسبته ورأيتَه قد أخذَ بأطرافِ السَّمَاءِ، فَأَلَّفَ بَيْنَ قَمَرِيهَا، وَنَظَّمَ فَرَقْدِيهَا، فَكَلَّمَا رَأَى تُغْفَرُ سَدَّهُ بِسَهَاها"<sup>395</sup>، أو لَمَحَ خَرَقاً رَمَهُ"<sup>396</sup> بزبانها"<sup>397</sup>، إلى غير ذلك . فقلت : كيف أوتي الحكم صبيّاً"<sup>398</sup>، وهزَّ بِجِدْعٍ نَخْلَةَ

389- ينظر م، ن، ص 295 وما بعدها.

390- النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص 159.

391- فنون النثر الأدبي في الأندلس في ظل المرابطين، ص 192.

392- أي رميت فقتلت الصيد في مكانه.

393- ما أخطأت المقتل، يقال أشواه: أصاب شواه، أي أطرافه، لا مقتله.

394- يريد ابن شهيد بكلمة (صاحب) /هنا\ نفسه، ويريد بالضمير (ت) أبا بكر المذكور في بداية الرسالة.

395- كوكب خفي من نبات نعش الصغرى، مجاور للقطب، وكان العرب يمتحنون به أبصارهم لحفائه.

396- رمه: أصلحه.

397- الزباني: واحد الزبانيين، وهما كوكبان نيران في قرني برج العقرب.

398\_ فيه تناصُّ مع قوله تعالى: ((وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)) (مريم: من الآية 12)

الكلام فاسأقط عليه رُطباً جَنياً<sup>399</sup> ؟ أما إن به شَيْطَاناً يَهْدِيهِ، وشَيْصَبَاناً<sup>400</sup> يَأْتِيهِ وإِوتَسِمُ أَنْ له تَابِعَةٌ<sup>401</sup> تُنَجِّدُهُ، وزَابِعَةٌ<sup>402</sup> تُؤَيِّدُهُ، ليس هذا في قُدْرَةِ الْإِنْسِ، ولا هذا الْنَّفْسُ لهذه النَّفْسِ . فَأَمَّا وقد قُلْتُمَا، أبا بكرٍ، فَأَصِحَّ أَسْمِعُكَ الْعَجَبَ الْعَجَابَ“<sup>403</sup>... الخ

رسالة طوق الحمامة في الألفه والألاف لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي والتي تبدأ بقوله :-

“قال أبو محمد<sup>404</sup> عفا الله عنه :

أفضل ما أبتدئ به حمدُ الله عزَّ وجلَّ بما هو أهله، ثم الصلاة على محمد

عبدِه ورسولِه خاصَّةً، وعلى جميع أنبيائه عامة، وبعد<sup>405</sup> :

عصمنا الله وإياك من الحيرة ولا حملنا ما لا طاقة لنا به، وقيص لنا من جميل عونه دليلاً هادياً إلى طاعته، ووهبنا من توفيقه أدباً صارفاً عن معاصيه، ولا وكلنا إلى ضعف عزائمنا وخور قوانا، ووهاء بنيتنا وتعدُّ آرائنا، وسوء اختيارنا، وقلَّة تمييزنا، وفساد أهوائنا؛ فإن كتابك وردني من مدينة الرميَّة إلى مسكني بحضرة شاطبة تذكر فيه من حسن حالك ما يسرُّني وحمدت الله عز وجل عليه واستدمته لك واستزدته فيك . ثم لم ألبث أن أطلع عليَّ شخصك وقصدتني بنفسك، على بعد الشقَّة، وتنائي الديار، وشحط المزار، وطول المسافة، وغؤل الطريق، وفي دون هذا ما سلى المشتاق ونسى الذاكر، إلا من تمسك بحبل الوفاء مثلك، ورعى سالف الأذمة، ووكيد المودات، وحق النشأة، ومحبة الصبي، وكانت مودته لله تعالى، ولقد أثبت الله بيننا من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون، وكانت مغازيك في كتابك زائدة على ما عهدته من سائر كتبك، ثم كشفت إليَّ بإقبالك غرضك، وأطلعتني على مذهبك، سجيةً لم تنزل علينا من مشاركتك إليَّ في خلوك ومرِّك وسرِّك وجهرك، يحدوك الوُدَّ الصحيح الذي أنا لك على أضعافه، لا أبتغي جزاء غير مقابله بمثله . وفي ذلك أقول مخاطباً لعبيد

399- فيه تناص مع قوله تعالى: - ((وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَبِيًّا)) (مريم: 25)

400- الشيصبان: اسم الشيطان، وقبيلة من الجن.

401- التابعة: جنية تحب الإنسان وتبعه حيث ذهب.

402- الزابعة: والمعروف الزوبعة: رئيس الجن أو اسم شيطان، يجمع على زوابع، ومن جمع التابعة والزابعة جاء عنوان الرسالة (التوابع والزوابع).

403- التوابع والزوابع ص 117-118.

404- يُريد (ابن حزم) مؤلف رسالة (طوق الحمامة) نفسه.

405- تحفظ ستة أسطر.

الله ابن عبد الرحمن بن المغيرة ابن أمير المؤمنين الناصر رحمه الله في كلمة لي طويلة وكان لي صديقاً:

أودك وداً ليس فيه غضاضة  
وأحضتكَ النَّصْحَ الصريح وفي الحشى  
وبعض مودات الرجال سراب  
لِودك ظاهر وكتاب  
ومزق بالكفين عنه إهاب  
ولا في سواه لي إليك خطاب  
هباء وسكان البلاد ذباب  
وما لي غير الود منك إرادة  
إذا حزته فالأرض جمعاء والورى

وكلفتني أعرك الله أن أصنّف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، وما يقع فيه، وله، على سبيل الحقيقة، لا متزيداً ولا مفتحاً، لكن مورداً لما يحضرنى على وجهه وبحسب وقوعه، حيث انتهى حظي وسعة باعي فيما أذكره، فبدرت إلى مرغوبك، ولولا الإيجاب لك لما تكلفتّه، فهذا من اللغو، والأولى بنا مع قصر أعمارنا ألا نصرفها إلا فيما نرجو به ربح المنقلب، وحسن المآب غداً، وإن كان القاضي حمام بن أحمد حدّثني عن يحيى بن مالك عن عائذ بإسناد يرفعه إلى أبي الدرداء أنه قال: أجموا النفوس بشيء من الباطل ليكون عوناً لها على الحق، ومن بعض أقوال الصالحين من السلف المرضي: من لم يحسن أن يتفتى لم يحسن أن يتوقى، وفي بعض الأثر “أريحوا النفوس، فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد”. والذي كلفتني به لا بد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي، وأدركته عنايتي، وحدّثني به الثقات من أهل زمانه، فاعتفر لي الكناية عن الأسماء، فهي إما عورة لا نستجيز كشفها، وإما نحفظ في ذلك صديقا ودودا ورجلا جليلا .

وبحسبي أن أسمي من لا ضرر في تسميته، ولا يلحقنا والمسمى عيب في ذكره، إما لاشتهار لا يغني عنه الطي وترك التبيين، وإما لرضى المخبر عنه بظهور خبره، وقلة إنكار منه لنقله .

وسأورد في رسالتي هذه أشعاراً قلتها فيما شاهدته، فلا تنكر أنت ومن رآها عليّ أني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه، فهذا مذهب المتحلّين بقول الشعر، وأكثر من ذلك فإن إخواني يجشمونني القول فيما يعرض لهم على طرائقهم ومذاهبهم . وكفاني أنّي ذاك لك ما عرض لي يشاكل ما نحوت نحوه وناسبه إليّ .

والترمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك، والاقتصار على ما رأيت، أو صحّ عندي بنقل الثقات، ودعني من أخبار الأعراب والمتقدمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الأخبار عنهم، وما مذهبي أن أنضي مطية سواي، ولا أتحلّى بحلي مستعار، والله المستغفر والمستعان، لا ربّ غيره .

وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً<sup>406</sup> ”... الخ  
من رسالة حي بن يقظان عند ابن طفيل؛ يقول بعد حمد الله العظيم والتسليم على نبيهِ  
الكرِيم:-

“سألت أيها الأخ الكريم الصفي الحميم منحك الله البقاء الأبدي وأسعدك السعد  
السرمدى- أن أبيت إليك ما أمكنني بثه من أسرار الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ  
(الإمام) الرئيس أبو علي بن سينا-، فأعلم أن من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه فعليه بطلبها  
والجد في اقتنائها.”<sup>407</sup>... الخ

أقول لو تتبعنا بدايات هذه الرسائل بانتباه، لوجدنا أن كلا منها موجه إلى شخص،  
فهناك مرسل مستفهم ومرسل إليه مجيب كما هو الحال في التوابع والزوابع وطوق الحمامة  
وحي بن يقظان وقد تكون الرسالة صدرت ابتداءً من مرسل إلى مرسل إليه مستفهم؛ جواباً  
عن سؤال أو أكثر “فقلت: كيف أوتي الحكم صبيًا، وهزَّ بجدِّ نخلة الكلام فاسأقط عليه رطباً  
جنياً؟” هكذا قال ابن شهيد، لأبي بكر، في رسالة التوابع والزوابع ثم أن هذه الرسائل موجهة  
إلى (صديق) صراحة أو تلميحاً، فأنت ترى ابن شهيد يوجه رسالته إلى صاحب وابن طفيل  
يوجه رسالته إلى أخ وابن حزم إلى صديق ودود، مما يبين أنها رسائل إخوانية؛ ومما يثبت  
كونها رسائل تسمية ابن شهيد قصته بـ (رسالة التوابع والزوابع) وتسمية ابن طفيل قصته  
بـ (رسالة حي بن يقظان) ونص ابن حزم في المقتبس على أن ما كتبه رسالة، فهذه رسائل  
وهي إخوانية ينطبق عليها تعريف الرسالة الإخوانية؛ مع أنها رسائل قصصية تتضمن كل  
منها قصة واحدة، كما هو الحال في (التوابع والزوابع) و (حي بن يقظان) أما طوق الحمامة،  
فقد يكون قصة طويلة واحدة؛ تتضمن مجموعة من القصص القصيرة، مثل قصة سبب إنشاء  
الرسالة الذي ذكر في الفقرة 2 وفيها مما يوجد في الرسائل الإخوانية المعتادة، ما هو معتاد  
بين الأصدقاء المتألفين من تبادل التحيات والذكريات وما إلى ذلك مما يكون بين الأدباء  
والمتقنين، لأن الحديث عن الأدب والرسائل الأدبية لا عن أية رسائل إخوانية جاءت كيفما  
اتفق .

هذا أول قسم من قسمي الرسائل اللذين اتفق عليهما مجمل من درسوا الرسائل الأدبية  
في الأندلس .

أما القسم الثاني المتفق عليه من الرسائل، فهو:-

---

406\_ طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الأندلسي، تحقيق صلاح الدين القاسمي، ص 44.  
407- حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهورودي، تحقيق أحمد أمين، ص 52 والمقتطف مقتبس من أول رسالة  
(حي بن يقظان) ل(ابن طفيل).

## الرسائل الديوانية

يُعرّف الدكتور (مصطفى الزباح)؛ الرسائل الديوانية بقوله :- “وهي الخطابات المكتوبة التي تصدر عن الدواوين أو ترد إليها خاصة بشؤون الدولة فيبعث بها الخليفة إلى الولاة والعمال والملوك الآخرين ويتلقى الرسائل التي ترد إلى الخليفة متناولة موضوع الانتصارات والفتوحات والتقليد في الوظائف والترقية في المناصب والتهديد للأعداء والوصايا للولاة والقضاة<sup>408</sup>؛ إذن فالدكتور (مصطفى الزباح) يتحدث عن الرسائل المتبادلة بين السلطان وموظفيه، فهناك رسائل تصدر من السلطان إلى موظفيه، وهناك رسائل ترد من الموظفين إلى السلطان وهو ما نسميه في الوقت الحاضر بالكتب الرسمية الداخلية .

ويقسم الدكتور مصطفى الزباح الرسائل السلطانية الموجهة للموظفين إلى ثلاثة أقسام حين يقول :- “ظهرت ثلاثة أشكال بارزة في التعبير عن ذلك وهي :-

1 - الرسالة الموجهة للولاة .

2 - الرسالة الموجهة للقضاة .

3 - الرسالة الموجهة للعامّة .<sup>409</sup>

ومن الرسائل الديوانية رسائل التولية التي تمثل لها برسالة أملاها المتوكل بعد تسلمه خبر دخول أشبونة في طاعته وقد كلف كاتبه ابن خيرة بإدارتها وولاية شؤونها، حيث وجه رسالته هذه إلى أهل أشبونة مبينا لهم فيها قدر (ابن خيرة) الذي ولاه عليهم وما يعرفه عنه من العدل والصلاح الذي يخصهم به حيث يقول<sup>410</sup> :-

“لم يسوغ اولياء النعم مثل الذي سوغتموه من التزام الطاعة والدخول في نهج الجماعة ولذلك لا الوكم ونفسي فيكم نصحا في من اتخيره للنياحة عني في تدبيركم والقيام بالدقيق والجليل من اموركم، وقد وليت عليكم من لم أوتّر والله فيه دواعي التقريب على بواعث التجريب ولا فرائض التخصيص على لوازم التمحيص وهو الوزير القائد أبو عبد الله بن خيرة ابني دربة وبعضي صحبة ونشأتني شبكه وقربه وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية ومعالم الفرق والرعاية ما التزم الاستيفاء بعهده والوقوف بحده عند المشمول في عون من لا عون الا من عنده، ولن اعرفكم حميد خصاله وسديد فصاله“<sup>411</sup>... الخ

---

408- فنون النشر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، ص 167 .

409- فنون النشر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، ص 167 .

410- تحفظ خمسة أسطر.

411- قلاند العقيان لابن خاقان ص 46-47 .

وواضح أن الرسائل المتبادلة بين السلطان وموظفيه؛ أحد جانبي هذه الرسائل والكتب الرسمية، أما الجانب الآخر من هذه الرسائل والكتب، فهو الرسائل والكتب المتبادلة بين السلطان وغيره من الملوك الآخرين مسلمين أو غير مسلمين وهي رسائل وكتب رسمية؛ يمكن أن تعد خارجية، فمن الطبيعي أن تقوم بين سلطان الأندلس وغيره من الملوك سفارات تحدثنا عن بعضها عند الحديث عن (يحيى الغزال)، وألمحنا لبعضها عند الحديث عن ابن زيدون ويمتاز (لسان الدين ابن الخطيب) برسائله المعقدة؛ سجعاً وبيدياً وبيانا، والمكتوبة على لسان سلطانه والموجهة إلى الملوك الآخرين، وقد ضمن كتابه (ريحانة الكتاب) مجموعة من رسائله هذه<sup>412</sup>.

وهكذا يبدو جانب مهم من جوانب النثر الأندلسي المتمثل في الرسائل والخطب.

## **المكان في طوق الحمامة قرطبة وإحدى نساؤها أنموذجاً**

(طوق الحمامة في الألفة والألاف<sup>413</sup>) لابن حزم الأندلسي؛ رسالة في كتاب؛ اعتنى بها الكثير من العرب والأجانب، فحققوها تحقيقات متعددة، ونشروها عشرات النشرات، ودرسوها دراسات لا حصر لها، ما بين ناظر إليها بوصفها رسالة حب أو رسالة سياسية أو فلسفية أو فكرية أو تاريخية، أو هي سيرة لحياة (ابن حزم) ومجتمعهم ونظرتهم إلى العشق والنساء، والذي يبدو أن جوانب من كل هذا؛ تتخلل هذه الرسالة الكتاب، وكل هذه الجوانب مهمة، وقد نالت بعض ما تستحقه من دراسات، حتى أن كاتب هذه السطور؛ درسها من الناحية القصصية، لكن أحداً لم يتصدّ للاعتناء بهذه الرسالة الكتاب من حيث المكان، وهذا الموضوع؛ واحد من موضوعات تتعرض للمكان في (طوق الحمامة)، فقد حدد (ابن حزم) اهتمامه، فحصره فيما هو عليه الحال في الأندلس، وهذا يعني أنه كان معنياً بالمكان، فالحب في الأندلس شأن لم يجد من يلتفت إليه قبل (ابن حزم)، في حين أن هذا الشأن نفسه؛ وجد من يدرسه بأساليب شتى في سائر الأقاليم العربية ولاسيما في جزيرة العرب، فكانت نظرة هذه الرسالة إلى طيف الحب الواسع في الأندلس؛ ملفتة النظر من طرف خفي إلى مزايا يتصورها لبني أمية، غامزاً من طرف خفي آخر قناة بني العباس، في مسائل تطرقت إلى بعضها في

412- تنظر هذه الرسائل في ريحانة الكتاب ونجعة المتناهب، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، م 1 ص 134، ص 146، ص 152، ص 179، م 2 ص 226 وغيرها.

413- سنعتمد في هذا الموضوع على كتاب (طوق الحمامة في الألفة والألاف) تأليف (ابن حزم الأندلسي) تحقيق (صلاح الدين القاسمي) طبعة دار الشؤون الثقافية العامة، الدار التونسية للنشر 1986.

غير هذا المكان، وليس هذا مكان طرحها، لولا أن (ابن حزم) تعرض لها، وقد وقعت إن وقعت خارج الأندلس، فماله ولها؟!

وإنما اهتم هذا الموضوع المتواضع بجوانب من المكان في (طوق الحمامة)؛ لأن حقوق هذا العالم؛ لم تعدد إنبات زهرة فعل ما إلا في زمان ومكان، وكثيراً ما ينبغي أن تنقب عن مكان حدوث فعل ما، بإزميل (أين) أو (أتى)، فإذا أعتد الكشف عن زمان الفعل على لفظه الذي يوضحه ظرف الزمان أو يزيده تأكيداً، فتحديد مكان الفعل؛ محتاج إلى ظرف المكان؛ لفظاً أو معنى، حتى يمكن تبينه ليتم التعرف عليه.

والأندلس؛ مكان له تأريخ طويل، يعجُّ بأقوام طرأت عليه، فمرت به أو قرت فيه، والعرب والبربر؛ بعض من مروا به، فقروا فيه أو فروا عنه؛ وممن مروا به فقروا فيه؛ متقلبين على أرضه؛ تقلب الأزمان على الإنسان، عائلة اختلف المؤرخون في منبتها، فمنهم من ينسبها إلى الفرس وهو غالب حالها وفيهم من ينسبها إلى العرب، ومنهم أخذت لسانها وقلمها.

لقد ظهر من هذه العائلة في من ظهر كتاب ووزراء، فقهاء وشعراء؛ منهم أديب أريب وزير وفقير؛ سياسي من طراز رفيع، وفقهه يجيد التفريع ويحسن التفريع؛ متمكن من المدح والذم؛ يمدح النفس ويذم ابن العم؛ يريد العمل بالنتج والنظم، فيحرق (المعتضد) كتبه، ليعيش في فقر وغم؛ مطروداً من الفقهاء؛ مستغنى عنه من الأمراء؛ مع أنه يحسن النظم والنثر ويعرف الفقه والأخبار؛ هذه حال الأيام معه، كما كانت مع أبيه من قبل ((وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ))<sup>414</sup> وهذه قرطبة الفاتنة؛ ملاعب صباه، ومرابع تعليمه ومطالع أحبائه وخصومه، حيث داعب حب الصبا الأول للجسد البيض؛ قلبه المرهف؛ المترف الغض هناك له مكان وصفه يوم حالفه السعد فيه، أو خالفه السعد عليه، إذ جمح غدر الزمان، وجنح إلى الإساءة عن الإحسان، فحال الحال، ومال مآل الآمال فقال متحدثاً عن جارية بوصفها مكاناً للصفات المرغوبة:-

" خبر:

وإني<sup>415</sup> لأخبرك<sup>416</sup> عني، أني ألفت في أيام صباي ألفة المحبة جارية نشأت في دارنا، و كانت في ذلك الوقت بنت ستة عشر عاماً، وكانت غاية في الحسن ووجهها وعقلها وعفافها، وطهارتها وخبرها ودمامتها، عديمة الهزل، منيعة البذل، بديعة البشر، مسبلة الستر، فقيدة الدام، قليلة الكلام، مغضوضة البصر، شديدة الحذر، نقية من العيوب، دائمة القطوب، حلوة الأعراض، مطبوعة الانقباض، مليحة الصدود، رزينة القعود، كثيرة الوقار، مستلذة النفار، لا

414- القرآن الكريم، (آل عمران: من الآية140)

415- يريد (ابن حزم) مؤلف (طوق الحمامة في الألفة و الألاف) بهذا الضمير:- نفسه.

416- يريد المؤلف:- الشخص الذي كتب (ابن حزم) طوق الحمامة بناءً على طلبه و نزولاً عند رغبته.



توجه الأراجي نحوها، ولا تقف المطامع عليها، ولا معرّس للأمل لديها، فوجهها جالب كل القلوب، وحالها طارد من أمّها، تزدان في المنع والبخل، ما لا يزدان غيرها بالسماحة والبذل، موقوفة على الجد في أمرها، غير راغبة في اللهو، على أنها كانت تحسن العود إحساناً جيداً، فجنحت إليها وأحبتها حباً مفرطاً شديداً، فسعيت عامين أو نحوهما أن تجيبني بكلمة، وأسمع من فيها لفضلة، غير ما يقع في الحديث الظاهر إلى كل سامع، بأبلغ السعي، فما وصلت من ذلك إلى شيء البتة".<sup>417</sup>

نزهة في الزاهرة

"فلعهدي بمصنّع<sup>418</sup> كان في دارنا لبعض ما يصطنع له في دور الرؤساء، تجمعت فيه دخلتنا ودخلة أخي رحمه الله من النساء ونساء فتياننا ومن لاث بنا من خدمنا، ممن يخفت موضعه، ويلطف محله، فلبثن صدرا من النهار، ثم تنقلن إلى قسبة كانت في دارنا، مشرفة على بستان الدار، ويطلع منها على جميع قرطبة<sup>419</sup> وفحوصها، منفتحة الأبواب، فصرن ينظرن من خلال الشرايين وأنا بينهن، فإني لأذكر أي كنت أقصد نحو الباب الذي هي فيه أنسا بقربها، متقرضا للدنو منها، فما هو إلا أن تراني في جوارها، فتترك ذلك الباب، وتقصد غيره في لطف الحركة، فأتعمد أنا القصد إلى الباب الذي صارت إليه، فتعود إلى مثل ذلك الفعل من الزوال إلى غيره .

وكانت قد علمت كلفي بها، و لم يشعر سائر النسوان بما نحن فيه، لأنهن كن عدداً كثيراً، وإذ كلهن ينتقلن من باب إلى باب لسبب الاطلاع من بعض الأبواب من جهات لا يطلع من غيرها عليها، وأعلم أن قيافة النساء، فيمن يميل إليهن أنفذ من قيافة مدلج في الآثار .  
ثم نزلن إلى البستان فرغب عجائزنا وكرائمتنا إلى سيدتها في سماع غنائها، فأمرتها، فأخذت العود وسوته بخفر وخجل، لا عهد لي بمثله، وإن الشيء يتضاعف حسنه في عين مستحسنة، ثم اندفعت تغني بأبيات العباس بن الأحنف حيث يقول :

إني طربت إلى شمس إذا غربت	كانت مغربها جوف المقاصير
شمس ممثلة في خلق جارية	كأن أعطافها طي الطوامير
ليست من الإنس إلا في مناسبة	ولا من الجن إلى في التصاوير
فالوجه جوهرة، والجسم عبهرة	والريح عنبرة و الكل من نور
كأنها حين تخطو في مجاسدها	تخطو على البيض أو حد القوارير

417- طوق الحمامة ص 205.

418- دعوة.

419- مدينة أندلسية مهمة؛ ألقنا بهذا العمل خارطتها في القرن الهجري الرابع الميلادي العاشر.

فلعمري، لكأن المضراب إنما يقع على قلبي، وما نسيت ذلك، ولا أنساه إلى يوم مفارقتي الدنيا، وهذا أكثر ما وصلت إليه من التمكن من رؤيتها و سماع كلامها، وفي ذلك أقول :

لا تلمها على النفار ومنع الوصول ما هذا لها بنكير  
هل يكون الهلال غير بعيد ويكون الغزال غير نفور  
وأقول :

منعت جمال وجهك مقلتيا ولفظك قد صننت به عليا  
أراك نذرت للرحمان صوما فليست تكلمين اليوم حيا  
وقد غنيت للعباس شعراً هنيئاً ذا لعباس هنيا  
فلو يلقاك عباس لأضحى ( الفوز ) قاليا وبكم شجياً<sup>420</sup>

### انتقال (ابن حزم) من (الزاهرة) إلى (بلاط مغيث) في (قرطبة)

"ثم انتقل الوزير أبي رحمه الله من دورنا المحدث بالجنب الشرقي من قرطبة في ربح الزاهرة<sup>421</sup>، إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث<sup>422</sup> في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة، وانتقلت أنا بانتقاله، وذلك في جمادي الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، ولم تنتقل هي بانتقالنا لأمر أوجبت ذلك، ثم

420 - طوق الحمامة ص 205.

421- الزاهرة:- قصر أمر المنصور بن أبي عامر ببنايه سنة 368 هـ في شرقي قرطبة، بدلاً من قصر الزهراء الذي أمر (عبد الرحمن) -الناصر- ببنايه بمحرم عام 325 هـ بناءً على مقترح من إحدى جواريه المسماة ب(الزهراء) تحت جبل العروس على نحو خمسة أميال تقريباً إلى الشمال الغربي من قرطبة، وقد بدخ في البناء وأسرف وأقطع له عن الصلاة ثلاث جمع حتى أتبه قاضي قرطبة (المنذر بن سعيد) وقد انتهى هذا البناء فحاية قال فيها الشاعر السمسيس معتبراً:-

وقفت بالزهراء مستعبرا  
معتبراً أندب أشناتا  
فقلت: يا زهرا ألا فارجمي  
قال: وهل يرجع من ماتا؟  
فلم أزل أبكي وأبكي بما  
هيهات يغني الدمع هيهاتا

وقد انتقل (المنصور) إلى (الزاهرة) و نقل إليها وزراءه و فتيانه وجنده وأقطع لهم، فكان الوزير والد (أبي محمد بن حزم) أحد هؤلاء الذين تم إقطاعهم في الزاهرة، وهو المكان الذي يتحدث عنه.  
(والزهراء) و (الزاهرة)؛ مُعلم على كل منهما في خارطة قرطبة الملحقة.  
422- محلة من محلات قرطبة : معلم عليها في الخارطة الملحقة.

شغلنا<sup>423</sup> بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات وبعثاء أرباب دولته، وامتحنًا بالاعتقال، والترقيب، والإغرام الفادح، والاستتار وأرذمت الفتنة، وألقت باعها وعمت الناس، وخصتنا، إلى أن توفي أبي الوزير رحمه الله، ونحن في هذه الأحوال بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة أثنى وأربعمائة .

واتصلت بنا تلك الحال بعده إلى أن كانت عندنا جنازة لبعض أهلنا فرأيتها<sup>424</sup> وقد ارتفعت الواعية، قائمةً في المآتم، وسط النساء في جملة البواكي والنوادر، فلقد أثارَت وجداً دفيناً وحركت ساكناً، وذكرتني عهداً قديماً وحباً تليداً، ودهراً ماضياً، وزمناً عافياً، وشهوراً خوالي، وأخباراً بوالي، ودهوراً فواني، وأياماً قد ذهبت، وأثاراً قد دثرت، وجددت أحزاني، وهيجت بلابلي، على أني كنت في ذلك النهار مُرَّراً، مصاباً من وجوه، وما كنت نسيت، ولكن زاد الشجى وتوقدت اللوعة وتأكد الحزن وتضاعف الأسف، واستجلب الوجد ما كان منه كامناً فلباه مجيباً، فقلت قطعة، منها :

يُيكى لميت مات وهو مكرّم      وللحيّ أولى بالدموع الذوارف  
فيا عجا من آسف لامرئ ثوى      وما هو للمقتول ظلماً بأسف

ثم ضرب الدهر ضرباته، وأجلينا عن منازلنا، وتغلب علينا جند البربر، فخرجت من قرطبة أول المحرم سنة أربع و أربعمائة و غابت عن بصري بعد تلك الرؤية الواحدة ستة أعوام وأكثر، ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع و أربعمائة، فنزلت على بعض نساينا فرأيتها هنالك، وما كدت أميزها حتى قيل لي : فلانة، وقد تغير أكثر محاسنها، وذهبت نضارتها، وفنيت تلك البهجة، وغاض ذلك الماء الذي كان يرى كالسيف الصقيل، والمرأة الهندية، وذبل ذلك النوار الذي كان البصر يقصد نحوه<sup>425</sup> متنورا، ويرتاد فيه متخيراً، وينصرف عنه متحيراً، فلم يبق إلا البعض المنبئ عن الكل، والخبر المخبر عن الجميع، وذلك لقلة اهتبالها بنفسها، وُعدمها الصيانة التي كانت غذّيت بها أيام دولتنا، وامتداد ظلنا، ولتبدّلها في الخروج فيما لا بد لها منه مما كانت تصان وترفع عنه قبل ذلك، وإنما النساء رباحين متى لم تتعاهد نقصت، وبنية متا لم يُهتبل بها استهدمت، ولذلك قال من قال : إن حسن الرجال أصدق صدقا، وأثبت أصلا، وأعتق جودة، لصبه على ما لو لقي بعضه وجوه النساء لتغيرت أشد التغيير، مثل الهجير والسموم والرياح، واختلاف الهواء، وعدم الكنّ، وإني

423- يتحدث (ابن حزم) -هنا- عن الظلم الذي وقع عليهم ابتداءً من سنة 399 هـ ؛ في عهد العامرين و ما تلا ذلك مما أشعره بالظلم الواقع عليه و على أسرته.

424- يريد بالضمير :- الجارية التي تحدث عنها في بداية الكلام.

425- عاد (ابن حزم) ليعرض على متلقيه؛ الجارية التي كانت مكانا لكل جمال ، لتبدو مكاناً يشتمل على غير الجمال

لو نلت منها<sup>426</sup> أقل وصل، وأنست لي بعض أنس، لخولطت طرباً، أو لمت فرحاً، ولكن هذا النفار الذي صبرني وأسلاني"<sup>427</sup>

ومع أن (ابن حزم) يُشعرُ متلقيه بانقباضه لانتقاله مع أبيه من (الزاهرة) إلى (بلاط مغيث)، فإن (طوق الحمامة)؛ يُقدم (ابن حزم) مؤتلفاً مع (بلاط مغيث) يذكره مراراً، ويذكر فيه أصدقائه وهو ما قد يخصه موضوع آخر لكنه يُقدم (بلاط مغيث) في ذاكرته سائلاً عنه قائلًا:-

" خبر :

لقد أخبرني بعض الرواد في قرطبة وقد استخبرته عنها، أنه رأى دورنا ببلاط مغيث، وفي الجانب الغربي منها وقد امتحت رسومها، وطمست أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلى، وصارت صحارى مجدبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأنس، وخرائب منقطعة بعد الحسن، وشعاباً مفزعة بعد الأمن، ومأوى للذئاب، ومعازف للغيلان، وملاعب للجان، ومكامن للوحوش، بعد رجال كالليوث، وخراند كالدمى، تفيض لديهم النعم الفاشية، تبدد شملهم في البلاد أيادي سبا؛ فكأن تلك المحاريب المنمقة، والمقاصير المزيّنة، التي كانت تشرق إشراق الشمس ويجلو الهموم حسن منظرها، حين شملها الخراب، وعم الهدم، كأفواه السباع فاغرة، تؤذن بفناء الدنيا، وتريك عواقب أهلها، وتخبرك عما يصير إليه كل من تراه قائماً فيها، وتزهّد في طلبها بعد أن طالما زهدت في تركها، وتذكرت أيامي بها ولذاتي فيها، وشهور صباي لديها، مع كواعب إلى مثلهن صبا الحلِيم، ومثّلت لنفسي كونهن تحت الثرى، وفي الآثار النائية و النواحي البعيدة وقد فرقتهن يد الجلاء، ومزقتهم أكف النوى، وخيل إلى بصري فناء تلك القصة بعدما علمته من حسننها وغضارتها، والمراتب المحكمة التي نشأت فيما لديها، وخلاء تلك الألفية بعد تضايقها بأهلها، وأوهمت سمعي صوت الصدى و الهام عليها، بعد حركة تلك الجماعات التي ربيت بينهم فيها، وكان ليها تبعاً لنهارها في انتشار ساكنها، والتقاء عمارها، فعاد نهارها تبعاً لليلها في الهدوء والاستيحاش، فأبكى عيني، وأوجع قلبي، وقرع صفاة كيدي، وزاد في بلاء لبي، فقلت شعراً منه :

لئن كان أظلمانا فقد طالما سقى  
وإن ساءنا فيها فقد طالما سرّا

والبين يولد الحنين والاهتياج والتذكر، وفي ذلك أقول :

ليت الغراب يصيح اليوم لي، فعسى  
وقد تألى<sup>428</sup> بألاً ينقضي، فوفى

426- يريد الجارية نفسها.

427- طوق الحمامة ص 207 و ما بعدها.

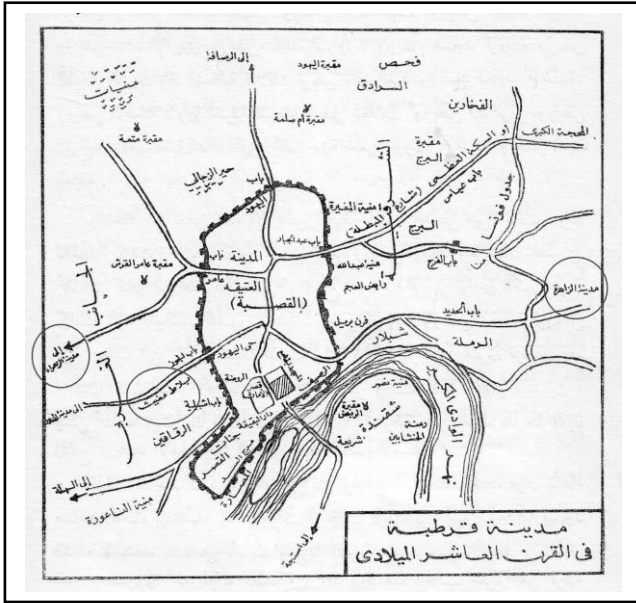
428- تألى:- أقسم، وفيها و في (بألاً) جناس ناقص.

والنجم قد جار في أفق السماء فما  
تخاله مخطئاً أو خائفاً وِجلاً

يمضي ولا هو للتغوير منصرفاً  
أو راقباً موعداً أو عاشقاً دنفا<sup>429</sup>،<sup>430</sup>

فهذه مشاهد من لوحة الحب الأندلسي المتمثلة في حب الشاعر (أبي محمد بن حزم) لفتاة هي الجارية التي لم يُسمَّها ولحب مكانين هما (الزاهرة) و (بلاط مغيث) وتألّمه لمفارقة كل من المكانين، وما حل بعد فراقه للجارية وب (بلاط مغيث) من فقدان للجمال والاستعاضة عنه بالغربة والاستيحاش .

حيث جلنا جولات بين ذاكرة الشاعر المتألقة، و خارطة قرطبة المتقلبة حيث مراتع سروره ومنابع حسراته من الظلم الذي رأى أنه واقع عليه بين الوزارة والاختفاء في أماكن وقعت فبين ذاكرة الشاعر المتوقدة و خارطة قرطبة المتقلبة؛ جولات أخرى تستحق أن تجال .



429- في الكتاب خطأ إذ طُبِعَت (دنتا)؛ مما لا معنا له و هو مخالف للواقعية.

430- طوق الحمامة ص 182 وما بعدها .

## فن المقامة

المَقَام هو المجلس والجماعة من الناس، فهو اسم مكان أو زمان من قام، والمراد به اسم المكان، وهو ممكن للفرد والجماعة، فقد قال تعالى:- (وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) <sup>431</sup> فلإبراهيم (ع) وهو فرد مقام، كما أن لنا أن نتخذ بصفتنا جماعة من مقام إبراهيم مصلى، فالمقام هنا اسم مكان، وقد يصلح أن يكون للزمان، لأن ما يكون في مكان؛ يحتاج إلى زمان، وبالتالي يصلح المقام أن يكون اسما شاملا للمكان والزمان معا، وللعراقيين فن غنائي يُعرّف بـ (المقام) وهو غير ما نريد دراسته، لأن ما نريد دراسته هو المقام مضافة إليه التاء المربوطة، فنحن بصدد دراسة المقامة التي صارت علما على فن من فنون القول النثرية المسجوعة المرصعة بالفنون البديعية والبيانية، والألغيب اللفظية؛ المحلاة بالشعر، والتي تتضمن أقصوصة أو شبه قصة قصيرة؛ تتضمن فكرة أو خاطرة تؤدي إلى احتيال أو تسول غالبا، هكذا كانت في المشرق، حيث بدأت بمقامات للزهاد بين أيدي الخلفاء والأمراء وغيرهم من أهل المال، كانت مقامات (ابن دريد) تمثل مقامات الزهاد، وهي مقامات بسيطة غير متكلفة؛ تتضمن شيئا من الوعظ، وتوجه إلى الزهد، وتدعو إلى مكارم الأخلاق، فلما ظهر (بديع الزمان الهمداني) وأخرج مقاماته الخمسين التي تعد أول المقامات التي صارت قدوة لمن تلاها متخذًا عيسى بن هشام راوية لمقاماته وأبا الفتح الإسكندري بطلا لها ثم جاء بعده الحريري الذي اقتدى بالبديع ونسج على منواله مقامات خمسين أخرى أكثر منها تكلفا، وقد اتخذ الحارث بن همام راوية لمقاماته وأبا زيد السروجي بطلا لها، أقول: لما ظهر البديع والحريري ومقاماتهما؛ صارت مقاماتهما قدوة للمقاميين العرب الذين عاصروهما أو تلوها في المشرق والأندلس وكانت مقاماتهما ظريفة؛ تنتهي بحيلة توصل بطل المقامة إلى أن يأخذ من المحيطين به بعض ما عندهم من المال أو المتاع، وقد عني الأندلسيون بمقامات الحريري خاصة فمنهم من سمعها منه ومنهم من رواها عن تلامذته ومنهم من تلقاها بالشرح أو المعارضة فممن سمعها عنه من الأندلسيين أبو العباس أحمد بن محرز الأغرإيشي وأبو القاسم بن الجد سنة خمس وخمسمائة والحسن بن علي بن الحسن البطليوسي الذي سمعها منه ببغداد، أما الذين رَوَوْها عن تلامذته فهم كثرة كثرة، ومنهم أبو بكر بن خير الأشبيلي الذي رواها عن الحجاج يوسف بن علي القضاعي وغيره وظهرت بعد هذا الاهتمام أو نتيجة له جماعة من شراح مقامات الحريري منهم أحمد بن داود بن يوسف الجذامي وأبو بكر بن ميمون ووضع أبو العباس الشريشي شرحا واسعا لهذه المقامات؛ استفاد فيه من مجمل الشروح السابقة له؛ تلاه من تلاه من الشراح؛ لم ينته أمر الأندلسيين مع المقامات عند الشرح،

431- القرآن الكريم من الآية 125، سورة البقرة.

بل وجدنا من يضعون على أسس المقامات المشرقية مقامات، لا يشترط أن تشابهها تماما، لكنها تستفيد منها وسيلة، وتنطلق منها لتعبر عما تريد هي، ومن هؤلاء المبدعين أبو حفص عمر بن الشهيد الذي ألف مقامة تمثل رحلة؛ حفظ ابن بسام منها جوانب<sup>432</sup>. ومنهم الأديب أبو محمد بن مالك القرطبي الذي أنشأ مقامة مدح بها ابن صمادح من ملوك الطوائف ووصف بها معركة انتصر بها على عدوه، وقد احتفظ ابن بسام بفصول من هذه المقامة<sup>433</sup> ولعل الأديب أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح؛ ممن يمكن ضمهم إلى أصحاب المقامات وإن لم يسمّ ابن بسام ما كتبه مقامة، وكان ما كتبه ابن فتوح في نقد شعراء الأندلس، فلو أراد مسمّ أن يسميها، لسماها: - (المقامة النقدية)<sup>434</sup> أو ما إلى ذلك لأنها تتعرض لنقد بعض الشعراء، بطريقة حوارية تقرب من القص، وهي تتعرض لأدباء الأندلس، ولعلها مما تأثر برسالة (التوابع والزوابع) لابن شهيد، ولابن الخطيب غير مقامة حفظها كتابه ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، وهي تحتاج إلى دراسة تحليلية؛ تحدّد جنسها الأدبي، والمراد بها، ففيها تعرّض لمشكلة العدل والسياسة، وأشياء أخرى مهمة.

ويذهب الدكتور مصطفى الزباخ ممثلا للمكثرين متصورا أن المقامة الأندلسية قد تخلت عن ظاهرة التسول والكدية حين يقول:- "يبدو أن صورة المقامة التقليدية قد اتخذت أشكالا تعبيرية مختلفة في الأندلس استجابة أولا للواقع الجديد في ظل المرابطين، وتعبيرا ثانيا عن هموم صاحبها الشخصية وقيمه الأخلاقية، ومن ثم أخذت ظاهرة الاستجداء والغش تختفي، لتحل مكانها أحاديث نقدية بليغة على شكل أدب الاعترافات"<sup>435</sup> وليس دقيقا تماما، فمقامة ابن مالك، وهو يمدح ابن صمادح، ويصف معركة له لم يذكرها؛ يريد منه جداه، كما أن هذا المبحث الصغير، سيضم نبذا من مقامات أندلسية؛ تدل على الاستجداء وقد ظهر في الأندلس؛ مقاميون كثيرون، لكن الدكتور الزباخ؛ وقف عند أحدهم وقال عنه:- "وهو أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي، الذي فاق أهل زمانه "بالمقامات اللزومية" في الناحية العددية فأنشأ خمسين مقامة عارض بها الحريري، وأصبح لها صيت كبير يحفظها الأندلسيون ويروونها في المجالس الأدبية وترجع شهرة السرقسطي في مقاماته إلى أن "أكثر الذين كتبوا المقامات في الأندلس لم يراعوا أن تكون كتابا جامعا، وإنما كان همّ الواحد أن ينشئ مقامة واحدة أو اثنتين أو بضع مقامات، إلا السرقسطي فإن اتباعه للحريري حتى في الناحية العددية جعله ينشئ خمسين مقامة" إلا أنه يختلف عن الحريري وبديع

432 - ينظر الذخيرة م 1، ص 421 وما بعدها.

433- ينظر م. ن، م، 1 ص 463 وما بعدها.

434- ينظر م. ن، م، 1 ص 491.

435- فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، ص 134.

الزمان الهمداني في أنه لا يسمى كل مقاماته بل نجده يسمي بعضها ك (المثلثة ) و (الحمقاء ) و (الأسدية ) و (المديجة ) و (البحرية ) بينما يترك أخرى بدون اسم دال عليها<sup>436</sup> وكما كان للهمداني والحريري شخصيتان إحداهما راوية للمقام والأخرى تقوم المقامة على يدها، فقد كان للسرقسطي شخصيتان رئيسيتان هما السائب بن تمام والشيخ أبو حبيب وهو رجل سدوسي محتال من عمان وقد يأتي في بعض المقامات شخص ثالث اسمه (المنذر بن حمام) لا دخل له في أحداث المقامة التي يذكر فيها وإنما هو متلقٍ للمقامة عن السائب بن تمام المكنى بأبي الغمر كما قد يتدخل في قصة المقامة فتیان هما ولدا الشيخ السدوسي أو أحدهما، واسم الأول منهما حبيب واسم الثاني غريب وهكذا تختلف مقامات السرقسطي عن مقامات الهمداني والحريري شكلاً. وقول الدكتور الزباخ:- “والشخصيتان الرئيسيتان في المقامات هما السائب بن تمام والشيخ أبو حبيب وهو رجل سدوسي محتال أصله من عمان”<sup>437</sup> يوحى بأن هناك في بعض المقامات الأندلسية كدية. وفي المقتبس التالي ما يدل على الكدية في المقامات اللزومية إذ يقول الدكتور الزباخ:- “وفي المقامة الأولى<sup>438</sup> نلقى صوتاً شاكياً من غير الدهر فيدعو إلى الأخذ بيده والرحمة على حاله قائلاً:- فيا لك<sup>439</sup> من دهر لا يبقي على أحد، ولا يبقي على مستأنس وحد، يعني بالقرب والبعيد، ويولع بالشقي والسعيد، ومن حق ذلك الفضل أن توصل أسبابه، وترفع قبابه، ويصان مذهله، ويحلى جبهه وقذاله، وأنتم يا بني الأكارم، وذوي الهمم والمكارم، رقوا للأفاضل واعطفوا بالفواضل وارحموا عزيزاً ذل، وكثيراً قل، ومثرياً أدقع، وحائماً على موردكم وقع”<sup>440</sup> فهذا كله من باب استدرار العطف والاستجداء والتسول وهكذا يبدو اهتمام المقاميين الأندلسيين بالمقاميين المشركيين؛ مستفيدين منهم؛ متأثرين بهم؛ مقلدين حيناً؛ مبتكرين في حين آخر؛ يلطف تناولهم للأمر، فيعلنون عن مشكلات الناس، وفساد الأحوال، والظلم السائد في المجتمع؛ متوصلين إلى ذلك بظاهرة الاستجداء المباشرة كما في المقامات اللزومية؛ تقليداً للمقامات المشرقية أو بصورة غير مباشرة كما في مقامة ابن مالك.

وبعد فهذه لمحات عن النثر الأندلسي تغري بقراءته ولا تغني عن تتبعه لمعرفة، فالنثر الأندلسي؛ جزء من النثر العربي خاصة والأدب العربي عامة؛ يستفيد منه ويتأثر به

436- فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين. ص 136 .

437- م، ن، ص 137 .

438- يريد المقامة الأولى من المقامات اللزومية للسرقسطي.

439- تحفظ ثلاثة اسطر.

440- فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، ص 140، 141، نقلاً عن المقامات اللزومية للسرقسطي، تحقيق

د. حسن الوراكلي ص 7 رسالة دكتوراة من جامعة مدريد المركزية 1979-1980، لم تنشر.



ويؤثر فيه ؛ يغنيه ولا يستغني عنه ؛ يتفق معه في أمور ، ويمتاز عنه في أمور أخرى ، وهذه طبيعة الأشياء ؛ تؤثر وتتأثر ؛ تفيد وتستفيد .

### 441 **التقليد والتجديد في الأدب الأندلسي**

الأندلس هذا البلد الجميل ؛ المحبوب بلد أحيه المشاركة عامة ، ووجد عناية خاصة من الأدباء ومؤرخي الأدب والمثقفين ؛ المهتمين بالشأن العام من جهة ، والمعنيين بالشأن الأندلسي خاصة من جهة أخرى وعلى حب الجميع لهذا البلد ، فقد حرمة الكثير من الباحثين ؛ من فضل الإبداع ، بينما نسب إليه بعض الباحثين الكثير ؛ من التجديد ، وكان كل من الطرفين على طرف من التطرف .

لقد وضع الدكتور باقر سماكة كتاباً سماه :- (التجديد في الأدب الأندلسي) ؛ ينسب فيه الكثير من التجديد في الشعر والنثر للأندلسيين ، وسيكون هذا الكتاب أهم الكتب التي سنحاولها بشأن التجديد في الأدب الأندلسي ، وإن لم يكن الدكتور باقر سماكة ؛ أول من قال بالتجديد في الأدب الأندلسي ، لكنه كان أهم من قال بهذا الأمر ، فقد سبقه إلى ذلك الدكتور محمد مهدي البصير حين قال :- “وقد تفرد الأندلسيون بنظم الموشح نحواً من ثلاثة قرون أنتقل بعدها إلى الشرق”<sup>442</sup> ، في حين قال الدكتور باقر سماكة :- “وقد ظل هذا التقليد زمناً طويلاً حتى استطاع الشعراء الأندلسيون التحلل من قيود الالتزام به والسير على منواله ونظموا وجددوا بكثير من الأغراض الشعرية المستمدة من الواقع الأندلسي وجددوا حتى بطريقة بناء القصيدة فيما يتعلق بالوزن والقافية كما يتضح ذلك في شعر الموشحات”<sup>443</sup> وقد تقدم الشك في ذلك وإلى جانب التجديد في الموشحات والأزجال الذي نسبه الدكتور باقر سماكة إلى أهل الأندلس نص على أنهم أنشؤوا فنوناً أخرى حين قال :- “لقد تميز الأدب الأندلسي فيما تميز به ظهور فنون شعرية عديدة مثل الدوبيت والقوما والكان وكان والموال ولكن أكبر تلك الفنون وأهمها الموشحات والأزجال”<sup>444</sup> أما الموشحات ، فما يزال في النفس من نشأتها شيء ، وأما الدوبيت والقوما والكان وكان والموال ، فهي جميعاً من الفنون التي

---

441- مقبول ومناقش في مؤتمر بغداد الثامن عشر الذي أقامه قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد بين يومي 26-27/4/2009 ومنشور في مجلة المورد- المجلد السابع والثلاثين- العدد الثاني لسنة 2010 م تصدرها وزارة الثقافة- دار الشؤون الثقافية العامة ص 104-111. ومطور عنه.

442- الموشح في الأندلس و في المشرق، محمد مهدي البصير، ص 83.

443- التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، ص 24.

444- م. ن. ص 17.

سبق المشرق إلى معرفتها، ومما يدل على ذلك، ما قاله صفى الدين الحلبي عن المواليا هي الفن الثاني من فنون كتاب العاطل الحالي :- “المواليا وله وزن واحد، وأربع قواف على روي واحد، ومخترعوه أهل واسط”<sup>445</sup> وأهل واسط من أهل العراق في المشرق كما هو معروف كذلك قال الحلبي عن (الكان وكان) وهو الفن الثالث في كتاب العاطل الحالي بعد أن وصفه :- “ومخترعوه البغداديون، ثم تداوله الناس في البلاد فلم يجارهم”<sup>446</sup> فيه مجاز ولم يدخل لهم مبار في غبار”<sup>447</sup>

كذا قال عن (القوما) وهو الفن الرابع في الكتاب بعد أن وصفه: “ومخترعوه البغداديون أيضاً، في دولة الخلفاء من بني العباس رضي الله تعالى عنهم، برسم السحور في شهر رمضان”<sup>448</sup>، وبغداد عاصمة المشرق عدة قرون كما هو معروف، وقال صفى الدين الحلبي في العاطل الحالي عن (القوما) و (الكان وكان) :- “وهذا الفن وما قبله من الكان وكان لا يعرفه أهل البلاد سوى أهل العراق”<sup>449</sup> وهكذا يتبين أن هذه الفنون؛ فنون مشرقية؛ لم يعرفها قبل أهل العراق أحد، فإن عرفها غيرهم، فإنما أخذها منهم.

وإنما اعتمدت (العاطل الحالي)، لقدمه ولأهميته التي قررها الدكتور باقر سماكة حين قال عن مصادر الزجل ومراجعته :-

“من المراجع الهامة القليلة كتاب (العاطل الحالي) للشاعر صفى الدين الحلبي وكتاب (ملح الزجالين) لابن الدباغ الأندلسي ويعتبر ديوان ابن قزمان الذي يضم 149 زجلية أهم مصدر لدراسة الزجل والتعرف عليه.”<sup>450</sup>

و إذ يعترف الدكتور باقر سماكة بأهمية العاطل الحالي في دراسة هذه الفنون، يبدو العاطل الحالي مناسباً لمناقشته وتصحيح ما ذهب إليه.

والدكتور باقر سماكة يُعرِّفُ بابن قزمان قائلاً :-

“فمن هو ابن قزمان؟ انه محمد ابن عبد الملك المكنى بأبي بكر ولد في قرطبة.”<sup>451</sup>

---

445- العاطل الحالي ص 105.

446- يريد بالضمير :- البغداديين.

447- العاطل الحالي. ص 115.

448- العاطل الحالي. ص 127.

449- م، ن، ص 128.

450- التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، ص 92.

451- م. ن. ص 92.

لم يكتفِ الدكتور باقر سماكة بما تقدم، بل نسب إلى أهل الأندلس التجديد بنظم الأراجيز التاريخية حين قال :- “وهكذا كان الشعر في عهد الإمارة يسير بين التقليد والتجديد ومن الملاحظ في هذا العصر ظهور بعض الأراجيز التاريخية التي أصبحت مصدراً من مصادر الدراسات الأندلسية والتي اعتمد عليها كثير من الباحثين فقد تضمنت الحوادث والمضاعفات والتطورات التي تخللت أوضاع الأندلس.”<sup>452</sup> ولعل الدكتور باقر سماكة فيما سبق يشير إلى أرجوزة ابن عبد ربه ت328 التاريخية<sup>453</sup> التي ذكرناها سابقاً وقد يكون في ظهور الأراجيز التاريخية الأندلسية؛ تجديد في الشعر الأندلسي، لكنه ليس تجديداً في الشعر العربي، فقد سبق ابن المعتز ت296 من أهل المشرق إلى مثل هذه الأراجيز، حيث نظم أرجوزته التاريخية المزوجة التي مطلعها :-

بِاسْمِ إِلَهِ الْمَلِكِ الرَّحْمَنِ ذِي الْعِزِّ وَالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ<sup>454</sup>

وهي مزوجة من بحر الرجز في 418 بيتاً، قال الدكتور يونس السامرائي

عن وقت نظمها :- “إن نظمه للمزوجة التاريخية كان بعد وفاة المعتضد ولم تكن في أثناء حياته”<sup>455</sup> وهكذا يتبين سبق ابن المعتز من أهل العراق في المشرق إلى هذا الفن . ليس هذا فحسب، بل ذهب الدكتور باقر سماكة إلى أن شعر النساء من مميزات الشعر الأندلسي حين قال :-

“مما تميز به الشعر الأندلسي ظهور عدد غير قليل من النساء الأندلسيات نظمن الشعر وأكثرهن من الجواري الحسان، وكانت قيمة الجارية تقاس بقدر ما لها من الجمال وحسن الصوت والاهتمام بالشعر وقد اقتصرت أشعارهن على الغزل والنوازع الوجدانية الأخرى تقريباً مما أضفى على الشعر الأندلسي حلاوة وطلاوة التجديد.”<sup>456</sup> والعرب في كل زمان ومكان عرفوا النساء الشواعر، فهذه المسألة ليست مقصورة على الأندلس .

فليس دقيقاً ما تصوره البعض ومنهم الدكتور باقر سماكة من أن شعر النساء مقصور على الأندلس أو كان خصيصة من خصائصه، فقد عرف العرب شعر النساء في جاهليتهم وبعد إسلامهم، ومن يتتبع هذا الأمر، يجد نصّاً، فكتب الأدب والتاريخ؛ ملأى بهذا الشعر النسائي

452- التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، ص 25.

453- تنظر أرجوزة ابن عبد ربه التاريخية المعنونة :- (أرجوزة مغازي عبد الرحمن الناصر لدين الله) في: - ديوان ابن عبد ربه تحقيق و جمع و شرح الدكتور محمد رضوان الدايدة، ص181 و ما بعدها.

454- شعر ابن المعتز؛ صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي؛ دراسة وتحقيق /الدكتور يونس أحمد السامرائي\ ص 519 ج1؛ منشورات وزارة الإعلام- الجمهورية العراقية/ سلسلة كتب التراث (62)\ دار الحرية للطباعة/ 1978.

455.م.ن؛ ق2، ص359.

456- التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، ص 133.

الإنساني، ولا يجادل أحد في الخنساء وشعرها من المخضرمات، كما لا يجادل أحد في ليلي الأخيالية وشعرها من الأمويات، وبالرجوع إلى كتاب واحد هو:- (نزهة الجلساء في أشعار النساء) للسيوطي مثلاً؛ نجد جملة من الشواعر المشرقيات اللاتي عشن في العصر العباسي، فبعضهن من بنات الخلفاء والكبراء، وبعضهن معروفة بمدينتها المشرقية، ومن هاتيك الشاعرات المشرقيات :-

1. "بوران بنت الحسن بن سهل"<sup>457</sup>
2. "خديجة بنت أمير المؤمنين عبد الله المأمون"<sup>458</sup>
3. "سلمى البغدادية الشاعرة"<sup>459</sup>
4. "شمسة الموصلية"<sup>460</sup>
5. "صفية البغدادية"<sup>461</sup>
6. "طيف البغدادية"<sup>462</sup>
7. "عائشة بنت الخليفة المعتصم"<sup>463</sup>
8. "عائشة الإسكندرانية"<sup>464</sup>
9. "العباسة بنت الخليفة المهدي"<sup>465</sup>
10. "عليه بنت الخليفة المهدي"<sup>466</sup>

وغيرهن ممن ذكرهن السيوطي، وأغلبهن بغداديات، وإن كانت منهن الموصلية والإسكندرانية، وهن جميعاً مشرقيات، ولسن من الأندلس .  
وأكثر من ذلك فقد ألف (أبو عبيد الله بن عمران المرزباني) المتوفى سنة 384هـ كتاباً عنوانه :- (أشعار النساء) وصلتنا منه قطعة حققها كل من الدكتور (سامي مكي العاني)

---

457- نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي، ص 32.

458- م. ن. ص 48.

459- م. ن. ص 52.

460- م. ن. ص 53.

461- م. ن. ص 57.

462- م، ن، ص 59.

463- م. ن. ص 60.

464- م، ن، ص 63.

465- نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي، ص 66.

466- م، ن، ص 68.

والأستاذ (هلال ناجي) ظمت أشعارا لثمان وثلاثين شاعرة مشرقية ليس منهن أندلسية واحدة، فكيف يكون شعر النساء من خصائص الشعر الأندلسي؟!

وحين يتطرق الباحث كل هذا التطرف لا يُستغرب منه أن يقول:- “لقد مرت الإشارة إلى أن أغراض الشعر الأندلسي كان منها المقلد المترسم للشعر المشرقي ومنها الأصيل المستمد من بيئتي الأندلس الطبيعية والاجتماعية وأهم تلك الأغراض الأصلية هي:-

أ. وصف الطبيعة .

ب. الغزل .

ج. الخمرات .

د. رثاء الدول .”<sup>467</sup>

كذلك لا يُستغرب قوله :-

“أن الأندلسيين لم يقتصر تجديدهم على ناحية معينة من نواحي العطاء الفكري في مختلف مجالاته.”<sup>468</sup>

وهو يفصل مسائل من تجديد الأندلسيين في مختلف الجوانب حين يقول:- “أهتم الأندلسيون بالنثر وتفننوا وجددوا به.”<sup>469</sup>

ولا شك أن الأندلسيين اهتموا بالنثر وجددوا في جوانب منه، كذلك يقول:- “أن الأندلسيين قد جددوا في الشعر والنثر.”<sup>470</sup>

ويأخذ أحد الشعراء الأندلسيين ابن خفاجة مثلاً على التجديد الشعري في الأندلس حين يقول :-

“أن أبن خفاجة كما سبق الحديث عنه تناول أكثر الأغراض الشعرية فجود وجدد بكل ما تناوله متمثلاً بالمعنى الرقيق والأداء الرشيق .

فمن شعره قصيدة نظمها بمدح الأمير أبي يحيى بن إبراهيم ويذكر فيها خروجه للصيد ويتعرض لوصف الكثير من الطير والوحش وهذه من المعاني التي جدد بها الشعراء الأندلسيون، إن القصيدة طويلة لا مجال لإثباتها كلها مادام الغرض هو التعرف على أغراض الشاعر وأسلوبه .

وهذا القسم من القصيدة وهي بعنوان:- (سمح الخيال)<sup>471</sup>

---

467- التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، ص 35.

468- م.ن، ص 97.

469- التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، ص 97.

470- م.ن، ص 98.

سمح الخيال على النوى بمزار  
فرفعت من ناري لضيف طارق  
ركب الدجى أحسن به من مركب  
وأناخ حيث دموع عيني منهل  
وسقي فأروي غلة من ناهل  
خلع الهوى ثوباً عليه من الضنى  
يلوي الضلوع على الولوع لخطرة  
والليل قد نضح الندى سرباله  
لبس المجر على السواد فخلته  
ووراء استار الدجى متململ  
ما طالعته برقة نجدية  
مترقب رسل الرياح عشية  
ومجر ذيل غمامة لبست به  
خفقت ظلال الأيك فيه ذوائباً  
إلى أن يقول :

والصبح يمسح عن جبين نهار  
يعشو إليها من خيال طاري  
وطوى السرى أحب به من ساري  
يروى وحيث حشاي موقد نار  
أورى بجانحتيه زند أوار  
قد شف عنه فهو كاس عاري  
من شيم برق أو شميم عرار  
فأنهل دمع الطل فوق صدار  
مترهباً قد شد من زنار  
يقلى بيمنى تارة ويسار  
إلا اجتلتها نظرة استعبار  
بمساقط الأنواء والأنوار  
وشي الحباب معاطف الأنهار  
وارتج ردفاً مائج التيار

باكرته والغيم قطعة عنبر  
والريح تلطم فيه أرداف الربى  
ومناير الأشجار قد قامت بها  
في فتية جنبوا العجاجة ليلة  
ثار القتام بهم دخاناً وارتمى  
شاهدت من هباتهم وهباتهم  
من كل منتقب بوردة خجلة  
في عمة خلعت عليه كلمة  
ضافي رداء المجد طماح العلا  
جرار أذيال المعالي والقنا  
طرود القنيص بكل قيد طريفة  
ملتفة أعطافه بجبيرة  
يرمي به الأمل القصي فينثني

مشبوبة والبرق لفحة نار  
لعباً وتلثم أوجه الأزهار  
خطباء مفصحة من الأطيبار  
ولربما سفروا عن الأقمار  
زند الحفيظة منهم بشرار  
أشراف أطواد وفيض بحار  
كرماً ومشتمل بثوب وقار  
وذؤابة قرنت بها كعذار  
طامى عباب الجود رحب الدار  
حامي الحقيقة والحمى والجار  
زجل الجناح مورد الأظفار  
مكحولة أجفانه بنضار  
مخضوب راء الظفر والمنقار

471- تنظر القصيدة كاملة / كما أنشد الدكتور باقر سماكة جوانب منها\ في ديوان ابن خفاجة، ص205-208 ط،

المناهل، بيروت، 1951.

وبعد أن يسترسل ابن خفاجة بوصف لقطات من مشاهد الصيد يصل إلى مدح أبي يحيى :

ولرب طيار خفيف قد جرى	فشلاً بجار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطى مختالة	مشي الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب أنها	كرعت على ظمأ بكاس عقار
لا تستقر بها الأيادي خشية	من ليل وويل أو نهار بوار
ولو استجارت منهما بحمى ابي	يحيى لأمنها أعز جوار
حرم إذا أشتمل الطريد بظله	لم يخش من جور هنالك جاري
جدلان يملأ نفحة وبشاشة	أيدي العفاة وأعين الزوار
منقسم ما بين بدر دجنة	أسرى وبين غمامة مدرار
أرج الندي بذكره فكأنه	متنفس عن روضه معطار
في حسن منطقته وهشة وجهه	مستمتع الأسماع والأبصار
جاري الرياح إلى السماح فما جرت	معه الرياح النكب في مضمار
وزكا فشد على العفاف ازاره	أن العفاف لشمية الأحرار <sup>472</sup>

وهي أبيات تتضمن أفكاراً جميلة مصوغة صياغة حسنة، لكنها لا تخرج عن كونها تشبيهات أو استعارات أو كنايةات منفصلة؛ تجمع بينها روح القصيدة التي لا تبتعد كثيراً عن شعر الصيد في الأدب العربي وهو كثير لولا حضرية هذه الألفاظ وبدائة تلك؛ هذا من ناحية القصيدة، أما أن يكون ابن خفاجة قد (جود وجدد بكل ما تناوله متمثلاً بالمعنى الرقيق والأداء الرشيق)، فأمر ينظر إليه بحذر شديد، إذ أين الشاعر الذي يجدد ويجود في كل ما يتناوله؟!

قد تكون الرقة والرشاقة من طوابع شعره، وحين ذلك، لا يكون تجديد ولا تجويد، فالرقة والرشاقة من طوابع هذا الشعر، ومن ذا الذي ينكر رقة الكثير من شعر شعراء المشرق ورشاقة ألفاظهم؟!

عند ذلك يبدو عدم تميز الأندلسيين برقة الشعر ورشاقة ألفاظه، فهذه أمور تطبع شعر شعراء معينين؛ في المشرق والمغرب، وفي أوقات متعددة، لا يختص بها شاعر دون شاعر، وإقليم دون إقليم ولا زمان دون زمان، ففي كل إقليم، وفي كل زمان شعراء؛ يذوبون رقة ورشاقة، كما أن هناك شعراء آخرين؛ يوشكون أن يكونوا من الحديد أو الحجر الصوان قوة وصلابة، فكأنهم ينحتون الأحجار القاسية؛ من الجلامد الصلدة.

472- التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، ص 126-130.

وكما يتطرف الدكتور باقر سماكة في مسألة التجديد عند الأندلسيين، يتطرف الدكتور علي محمد سلامة حين يقول :-“ فالشعر الأندلسي في جملة يمتاز على الشعر العربي عامة بما فيه من المعاني المبتكرة الجميلة التي كان يعالجها الشعراء، بين الوصف البديع، والكلام الرشيق، والذوق الفني، والافتنان في أساليب الخيال، ولأنه يدل على الحياة الأندلسية ويرسم صورتين من أحوال العرب، فبينما نرى الشاعر يحن إلى ذكر بلاده الأولى من حياته البدوية، فنجده يذكر الرياض والبساتين والأزهار، والمياه الجارية، وظلال الأشجار، والنسيم العليل والآراء العامة والخاصة، وأحوال الاجتماع والعادات”<sup>473</sup>

وواضح أنه ليس فيما تقدم امتياز للأندلسيين بغير ذكر الأندلس، فقد كانت للعرب الآخرين معانٍ مبتكرة وكانوا يصفون وكانوا يذكرون الأطلال ويحنون إلى البداوة ويتفننون في وصف الحضارة، الشيء الوحيد الذي لم يذكره للأندلسيين ما اختلف الباحثون على أوليته وهو الموشح وإن كان خصه بفصلين في كتابه المذكور سابقاً أما وصف الطبيعة والجهاد، فلم يحتكرهما الأندلسيون، فبقيت الفنون التقليدية التي ذكرها فيما بعد وهي :-

“المدح”<sup>474</sup> و“الغزل”<sup>47</sup> و“الثناء”<sup>476</sup> و“الزهد”<sup>477</sup> و“الهجاء”<sup>47</sup> و“اللهو والمجون”<sup>47</sup>

وإذ تطرف الدكتور (علي محمد سلامة) في حديثه عن الامتياز الشعري عند الأندلسيين، فقد تطرف في حديثه عن تقليدهم في النثر إذ قال :-“ لم يقتصر تأثر الأندلسيين بالمشاركة على الشعر فحسب بل تعداه إلى النثر، فكل تطور إلى الأمام، أو رجعة إلى الوراء في النثر المشرقي سرعان ما يجد طريقه إلى الأندلس”<sup>480</sup>

473- الأدب العربي في الأندلس تطوره و موضوعاته و أشهر أعلامه، الدكتور علي محمد سلامة، ص 81.

474- ينظر م. ن، ص 193.

475- ينظر م. ن، ص 200.

476- ينظر م. ن، ص 213.

477- ينظر م. ن، ص 221.

478- ينظر م. ن، ص 228.

479- ينظر م. ن، ص 234.

480- الأدب العربي في الأندلس تطوره و موضوعاته و أشهر أعلامه، الدكتور علي محمد سلامة، ص 439.



وقال كذلك :- “مر النثر الأندلسي بمراحل متأثراً فيها وخلاها بالنثر المشرقي”<sup>481</sup> وليت شعري :- ما الذي دفع الدكتور علي محمد سلامة المندفع لتصور الامتياز في الشعر الأندلسي، كما تقدم إلى التطرف كل هذا التطرف في تصور تقليد الأندلسيين للمشاركة في الشعر والنثر كما هو واضح في النصوص المتقدمة؟!  
إنني أشعر بأن لهذا الاندفاع في التطرف؛ سببين مهمين هما :-

1. عدم التدقيق .

2. التقليد الأعمى للسابقين، فقد قال الدكتور مصطفى الشكعة وكتابه أسبق من كتاب الدكتور سلامة عن الكتابة الديوانية :- “كان النثر في الأندلس يقتفي أثر قرينه في المشرق وينسج على منواله ويسير على نهجه ويجري في مضماره، وكان في الأندلس كما كان في المشرق عدد كبير من الكتاب المجيدين الذين رق أسلوبهم وراق نهجهم وأمسكوا في الكتابة بخير زمام وملكوا منها ناحية الإتقان وضروب البيان، غير أن الأمر الذي يدعو إلى الدهشة هو أن كبار كتاب الأندلس هم أنفسهم كبار شعرائها المرموقين من أمثال ابن زيدون وابن شهيد وابن حزم وأبي حفص بن برد وابن دراج القصطي ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم.”<sup>482</sup>، وكان المشرق يخلوا من شعراء كتاب من أمثال (أبي تمام) و (البحري) و (الصولي) وغيرهم ناهيك عن الشعراء العلماء من أمثال (أبي نؤاس) وأضرابه .  
وقال كذلك عن الرسالة الأندلسية :- “ولا تصيب الرسالة الديوانية الأندلسية أي تطور أو تغيير، بل تظل مصرّة على السير في ركاب قرينتها المشرقية واقتفاء أثرها،”<sup>483</sup>

وقد تبين أثناء دراسة النثر الأندلسي بعض تفصيل هذه المسائل، وواقع الحال أن الأندلسيين؛ لم يكونوا مقلدين كل التقليد، ولا مجددين كل التجديد، إذ أنهم يقررون عروبتهم وأخذهم عن أهل المشرق، لكننا نعرف تميزهم واختلافهم، عبر مسائل تجديدهم ووسائل هذا التجديد، من هنا يصح عندي قول المستشرق إيميليو غرسيه غومس :- “وإنه لمن العسير أن نتبين الخيوط المشرقية من الخيوط المغربية في نسيج الشعر الأندلسي الدقيق”<sup>484</sup>، فمن الصواب أنه يعسر على الباحث غير المدقق أن يكتشف الخيوط المشرقية من الخيوط المغربية، لا أقول (في الشعر فقط) كما قال (غومس) لكن أقول :- من العسير على الباحث غير المدقق أن يكتشف الخيوط المشرقية من الخيوط المغربية في مجمل الفكر

481- م. ن. ص 439.

482- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دكتور مصطفى الشكعة، ص 569.

483- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دكتور مصطفى الشكعة، ص 572.

484- الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه، تأليف إيميليو غرسيه غومس، ترجمه عن الإسبانية حسين مؤنس،

الأندلسي شعره ونثره لأن التداخل واسع وواضح؛ يتيح لمن ظننه تقليدياً أن يجد ما يدل على رأيه، كما أن من اليسير على من يظننه تجديداً أن يجد أدلة على مذهبه، وأجد التقليد والتجديد واضحين في الأدب الأندلسي؛ متداخلين، لا يفني أحدهما عن الآخر، كما لا يستغني أحدهما عن الآخر.

ومثال ذلك واضح في تحليل موشحة جادك الغيث للسان الدين بن الخطيب الذي يلي هذا المبحث.

## الموشح الأندلسي بين الأصالة والإبداع<sup>485</sup> جادك الغيث<sup>486</sup> أنموذجاً مقدمة

حين بدت تبشير الموشح في الأندلس، كانت حركة التطور الشعري في الشرق شكلاً ومضموناً قد ظهرت للعيان، فقد ظهر الازدواج والتشطير والتخميس وما إلى ذلك من تطوير للشكل الشعري، كذا استقرت أساليب جديدة في مفتاح القصيدة وموضوعاتها والألفاظ المستعملة فيها وطرائق النظم والبلاغة، وأكثر من ذلك، فقد تعددت أساليب الفهم وتنوعت وسائل النقد؛ استجابة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على بلاد المشرق، فإذا صح هذا، لم يكن ظهور الموشح في الأندلس غريباً، خصوصاً وأن (زرياب) غادر (بغداد) ورحل إلى الأندلس التي استقبلته برحابة صدر وقبلت إبداعاته الموسيقية أحسن قبول، فلما وجد أرض الأندلس صالحة لزراعة فن موسيقي جديد، بذر فيها بذور الموسيقى الجديدة المحتاجة إلى شعر جديد تلحنه وتعرف به لمغنيه<sup>487</sup> فكان الموشح ثمرة طبيعية لكل ما تقدم ولسواه، ثم أن الوشاحين لم يخيبوا ظنون من وراءهم من الملحنين والمتلقين، فقد تعددت أوزان الموشح وقوافيه إلى درجة كبيرة، بل مالوا عن عروض الخليل حتى قيل :-

---

485 - مقبول ومناقش في ندوة بغداد الخامسة عشرة التي عقدها كلية التربية للبنات بتاريخ 2006/4/26 ومنشور في العدد (74) 1426 هـ 2006م من مجلة الآداب التي تصدر عن كلية الآداب جامعة بغداد ص228 / 245، ومطور عنه.

486- تنظر الموشحة و حياة الوشاح في مبحث الموشحات الأندلسية من هذا الكتاب.

487- كثيرون هم الذين تكلموا عن هذا الموضوع ومنهم د. صفاء خلوصي في كتابه (فن النقطيع الشعري والقافية) ص305 و د. إحسان عباس في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي) ص55 و 57 وغيرهما، وقد تقدمت إشارة إلى ذلك في موضوع:- (الموشح بين بغداد والأندلس)؛ من هذا الكتاب.

"تنقسم الموشحات بشكل عام، الى قسمين من ناحية أوزانها، فمنها ما جاء على أوزان أشعار العرب، ومنها ما لا أوزان له فيها ولا إمام له بها كما يقول ابن سناء الملك .  
أما القسم الأول : أي ما جاء على بحور الشعر المعروفة، فيعده الوشاحون مردولا وهو في نظرهم أشبه بالمخمسات منه بالموشحات ولا ينظمه إلا الضعفاء من أصحاب صنعة التوشيح.....

وقد تكون أقفال الموشح موافقة لأبياته في الوزن وقد تكون مخالفة لها... أما القسم الثاني فهو ما خالف أوزان العرب ولم يخضع لعروض الشعر التقليدي"<sup>488</sup>.  
وواضح أن بعض تطرف بعضهم في رفض أوزان الخليل ذهب أدراج الرياح وبقي ما يستحق البقاء، فكان لا بأس في متابعة بعض ما يتعلق به الأندلسيون من أصالة يمثلها تعلقهم بالشرق؛ تبين بعض إبداعهم ونبينه عبر مناقشة واحد من أشهر الموشحات الأندلسية وهو (جادك الغيث) من نظم (لسان الدين بن الخطيب)<sup>489</sup>  
ففي هذا الموشح تتجلى صورة من صور أصالة الوشاح الأندلسي، كما يبدو فيه إبداعه، وستستثمر موشحات أخرى لهذا الغرض أو ذلك .

هل يمكن فصل الأصالة عن الإبداع في الموشحات الأندلسية؟  
للإجابة عن هذا السؤال لا بأس في التذكير بأسئلة أخرى شغلت النقد العربي والإنساني حقبا وقرونا، وهي تتحدد بأساليب مختلفة منها:-

هل يمكن فصل اللفظ عن المعنى؟

أو هل يمكن فصل الشكل عن المضمون؟

أو هل يمكن فصل الدال عن المدلول؟

والجواب عن كل هذه الأسئلة وأشباهها واحد يوشك ألا يتغير هو:- (لا)، والسؤال المتقدم واحد من هذه الأسئلة، إذ لا يمكن الفصل بين الأصالة والإبداع في منظومة لغوية ما؛ أدبية أو شعرية؛ لأن هذا الفصل؛ فصل تعسفي غالبا، ولأن الأصالة والإبداع؛ قد يبدوان في موضع واحد، فكيف يتم الفصل بينهما؟!

إذن فلا بد من اتباع طريق آخر لحل هذه المشكلة؛ هذا الطريق هو تلمس الأصالة والإبداع؛ للكشف عنهما حيث وُجدا .

لقد كان (لسان الدين بن الخطيب) أصيلا إلى درجة واضحة، وكان مبدعاً بدرجة أوضح؛ في موشحه:- (جادك الغيث) ولتأخذ على ذلك بعض الأنموذجات الأندلسية:-

488- في الأدب الأندلسي ، د. جودت الركابي ص 300 و 301.

489- ينظر ( فن التوشيح ) مصطفى عوض الكريم ص 210 وما بعدها .

## الأصالة والإبداع في مقدمة الموشح الأندلسي

غلبت المقدمة الطللية على شعر شعراء الجاهلية والإسلام والأمويين، بل غلبت على شعر بعض شعراء العباسيين الذين سخر منهم (أبو نواس) في مثل قوله :-  
راخ الشقيُّ على دارٍ يسائلُها      ورحتُ أسألُ عن خمارةِ البلادِ<sup>490</sup>  
وهو ما دفع بعض الشعراء العباسيين ومن جاء بعدهم إلى تجنب هذه المقدمة وعدها عيباً، وتسويغ هذا كله نقدياً، فلما جاء (أبن الخطيب) وقد تثقف وأبدع في الربيعين الثاني والثالث من القرن الثامن الهجري إذ قتل سنة 776 هـ وجدَّ هذا كله مستقراً نظماً ونقداً، لكنه وجد مبدعين تجرءوا على خرق هذا كله ومنهم الوشاح الأندلسي البارز (ابراهيم بن سهل الإشبيلي) الذي أبدع منحرفاً عن هذه القاعدة، حين قال في موشحه المشهور الذي عارضه ابن الخطيب بموشحته المدروسة :-

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى

قلب صبٍ حله في مكنسٍ

فهو في حرٍ وخفق مثلماً

لعبت ريح الصبا بالقبس<sup>491</sup>

فكلمات :- (ظبي، الحمى، مكنس، الصبا) كلها صحيحة فصيحة سهلة إلا أنها بدوية مما في جزيرة العرب، فأين الظباء، والحميات، ومكنس، وريح الصبا في الأندلس؟! إنها مقدمة طللية بشكل ما لكنها بديعة في موشح يريد (ابن الخطيب) أن يعارضه، فإذا به يأتي بمقدمة ليست من الجاهلية ولا البداوة في شيء، لكنها تذكر بهما حين قال :-

جارك الغيث إذا الغيث همى

يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك ألا حلماً

في الكرى أو خلسة المختلس

ألا ترى أن أرض الأندلس؛ معطرة ممرعة ؟

490- ديوان أبي نواس برواية الصولي تحقيق د. بهجت الحديثي ص 135.

491- موشح ابن سهل في نفع الطب للمقري ج 9 / 271 .

إنهم يرجون السقيا للبوادي والصحاري ولا سيما جزيرة العرب، ثم أنهم يريدون السقيا للميت، وهو عند (ابن الخطيب) (زمن الوصل)، وهو ما يلح عليه في مجمل الموشح حتى قال في الدور الثامن:

سلمي يا نفس في حكم القضا  
واعمري الوقت برجعى ومتاب  
واتركي ذكرى زمان قد مضى  
بين عتبي قد تقضت وعتاب

و (ابن الخطيب) وغيره من الأندلسيين يتناصون في (طلب السقيا) مع سكان جزيرة العرب، فمن نحا نحوهم من الشعراء، غير أن الباحث يلاحظ تناصاً؛ قريباً مكاناً؛ بعيداً زماناً بين (ابن الخطيب) في مطلع موشحه المتقدم القفل الأول وقولي (ابن زيدون) في نونيته إذ يقول:

لِيَسْقَ عَهْدُكُمْ عَهْدَ السُّرُورِ فَمَا كُنْتُمْ لِأُرَاجِحِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا<sup>492</sup>  
أو يقول:-

يا ساري البرق غاد القصر وأسقى به مَن كَانَ صَرِفَ الْهَوَى وَالْوُدَّ يَسْقِينَا<sup>493</sup>  
وهما في الموضوعين ينوحان على زمن جميل انقضى ولا أمل في عودته؛ مستعملين الفعل الماضي الناقص لفظاً كما فعل (ابن زيدون) إذ قال:- (كنتم) او (كان) او معنى كما فعل (ابن الخطيب) حين قال:- (لم يكن)، ومن ألفاظ البداوة البادية في شعرهم او موشحاتهم لفظة:- (الصبا)، فقد أضافها (ابن زيدون) الى كلمة:- (نسيم) فأجاد حين قال:-  
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلَّغْ تَحِيَّتَنَا مَن لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا<sup>494</sup>  
إذ هي نسيم عليل فعلاً، لكن (ابن سهل) أضافها إلى (ريح)؛ موفقاً في قفل موشحه المتقدم إذ أراد تبيان قوة تلاعب هذه الريح بالقبس، أما (ابن الخطيب)، فقد صيرها علماً فاعلاً للهبوب ليوازن بها حر الشوق الذي يلفحه إذ قال في الدور السابع من موشحه:

ما لقلبي كلما هبت صبا  
عاده عيد من الشوق جديد  
كان في اللوح له مكتتبا  
قوله إن عذابي لشديد

((إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ))<sup>495</sup>

492- ديوان ابن زيدون، ص 10.

493- م، ن، ص 10.

494- ديوان ابن زيدون ص 10.

495- مقتبس من القرآن الكريم. إبراهيم: من الآية 7

وواضح أن ثلاثتهم لم يضافوا (الصبا)، لكنهم تصوروا منسجمين مع محفوظهم الشعري ومعلوماتهم عن شبه الجزيرة العربية وما لهذه اللفظة من تأثير نفسي ملموس .  
لم تكن البادية بادية في شعر هؤلاء الثلاثة أو موشحاتهم فحسب مع أن بينهم وزيرين متحضرين هما (ابن زيدون) و (ابن الخطيب)، لكنها واضحة في شعر غيرهم وموشحاته أيضاً مثل (ابن زهر) فإنه يصف حبيبه ونديمه في الدور الثالث من موشحه: (أيها الساقى) بأنه: غصن بان مال من حيث استوى<sup>496</sup> .

ويصف شجونه بقوله في الدور الثالث من موشحه: (حيي الوجوه الملاحا) :

"حتى حمام الأراك

غنى شجوني وناحا

على فروع الغصون"<sup>497</sup>

ترى أين وجد (ابن زهر) (غصن البان) أو (شجر الأراك) حتى يظهرها في توشيحها؟! وأياً كان الأمر فإن هذه الألفاظ البدوية؛ جاءت على ثياب حضرية لا شيء ببدواتها الأصيلة؛ يكشف عنها لغير القادر على اكتشاف ذلك بعلمه لا بما هي لديه من دياجة متحضرة جذابة، فإذا بدا أن الشاعر الشاعر أو الوشاح الوشاح هو الذي يختار اللفظة المناسبة ليضعها في النظم المناسب، بدا ما قعدوه للفصاحة من قواعد؛ شديد التهافت .

وإذا بدا إبداع (ابن سهل) و (ابن الخطيب) في اتباعهما لمن هم قبل (أبي نواس)؛ مخالفين إياه فيما ذهب إليه بلغة حضرية رفيعة، بدا الشاعر الكبير اكبر من القاعدة، ألا ترى (ابن الخطيب)؛ يوافق الأولين وبخالفهم في الدور الرابع من موشحه حيث يقول :-

يا أهيل الحي من وادي الغضا      وبقلبي مسكن أنتم به

فقد خالفهم حين جعل طليلته؛ قرب وسط الموشح؛ مشابهاً (عمرو بن كلثوم) الذي بدأ طليلته في البيت الثامن من مطولته<sup>498</sup> ولكن ابن الخطيب وافقهم حين صغر كلمة (أهل) وناداهما، وأضافها إلى (الحي) ووصفها بأنها (من وادي الغضا)؛ ترى من ذا الذي يقرأ هذا ثم لا يتذكر مطلع قصيدة (مالك بن الريب):-

الا ليت شعري هل أبينتن ليلة      بجنب الغضا أزجي القلاص النواجي؟<sup>499</sup>

ومن ذا الذي يرفض هذا في موقعه؟

496- فن التوشيح ص 198.

497- فن التوشيح ، ص 196.

498- تنظر المطولة في نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام، دكتور نوري حمودي القيسي والدكتور محمود عبد الله الجادر والدكتور بحجت عبد الغفور الحديثي ص327 وما بعدها.

499- شرح شواهد المغني تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ص 631.

ألم يلحن موشح (جاذك الغيث)؛ من قبل الأخوين رحباني لتغنيه فيروز معجبة مطربة؟! ثم أن (ابن الخطيب)؛ جعل المسكن الذي هُم به؛ في قلبه؛ خلافاً لمن جعلوه طلالاً على الأرض، فهذا هو الإبداع، وهذه هي الأصالة .

## لغة الموشح

كان الوشاحون ينتظرون إذ يتساهلون في لغتهم بمسائل النحو والتعبير حتى قال د. جودت الركابي :- "اصبح الشاعر الوشاح لا يجد حرجاً في التساهل اللغوي طالما ينبغي إرضاء الأذواق العامة"<sup>500</sup>، أما (ابن الخطيب)؛ فقد بدا لغوياً كبيراً ونحوياً بارعاً؛ قلماً أخطأ اللغة والنحو في موشحه؛ تبياناً لقدرته الإبداعية عبر الأصالة، لكنه ماشى الوشاحين إذ تجوز قليلاً، ومما تجوز به في موشحه هذا قوله في الدور التاسع مادحاً (الغني بالله) أمير (غرناطة) الذي استوزره :-

مصطفى الله سميّ المصطفى الغني بالله عن كل أحد

كلمة (الغني) هنا نعت للمصطفى، وهو مرفوع، فحق نعته الرفع، وعلامة رفعه ضمة ظاهرة على ياء مشددة، إلا أنه لم يشدها، ولم يظهر الضمة؛ مجازةً للوشاحين، وانسجاماً مع متطلبات الوزن؛ قريب من هذا ما فعله في الدور الأخير من موشحه حين قال :-

هاكها يا سبط أنصار العلاء والذي إن عثر الدهر أقوال

غادة البسها الحسن ملا تبهر العين جلاء وصقال

فإن (صقال) معطوفة على حال منصوبة، وحققها النصب، لكنه لم يظهر علامة النصب؛ انسجاماً مع القافية، ولأنه مُتسامح بمثله بين الشعراء، واستفادة من عدم التدقيق في قواعد نحو الموشح .

ومنهم من يذهب الى لزوم مخالفة أوزان الخليل أو تكسيروها ليترك للموسيقى والأداء ضبط الوزن كما قال د. جودت الركابي: "أما القسم الثاني فهو ما خالف أوزان العرب ولم يخضع لعروض الشعر التقليدي وكان غرضه الغناء أكثر من الإنشاد وهو الكثير الشائع في الموشحات"<sup>501</sup>؛ خالف ابن الخطيب هذا واستثمره أصالة وإبداعاً، فقد صاغ هذا الموشح من بحر (الرملة) وهو من بحور الخليل فقد نظم على بحر قديم؛ خلافاً لمن أراد مخالفة أوزان الخليل مطلقاً، لكن هذا البحر من البحور القليلة الاستعمال قديماً؛ الأمر الذي يقربه من مطلبهم الذي خالفهم فيه وقاربهم قبله كل من (ابن سهل) في موشحه المذكور قفله الأول

500- في الأدب الأندلسي ص 306.

501- في الأدب الأندلسي ، ص 306.

في بداية البحث، والذي عارضه (ابن الخطيب) في الموشح المعروف، كما نظم (ابن زهر) أو ابن المعتز<sup>502</sup> موشحه الرائع (أيها الساقى) على البحر نفسه وهم غير ابن المعتز من أعظم وشاحي الأندلس الذين لعبوا أدواراً مهمة في نظم الموشح الجميل ونشره؛ متلاعبين بزخافات البحر وعلله؛ تلاعباً فنياً خفياً لا يكشف أغلبه إلا عروضي ضليع، أو ذو أذن موسيقية مرهفة . ولكي يكون الكلام دقيقاً فلا بأس في إشارات إلى بعض ما فعله (ابن الخطيب) في هذا الموشح مثلاً لما فعله سواه، فوزن البيت في بحر الرمل ست تفعيلات، كل ثلاث منها في شطر، هي :- (فاعلاتن فاعلات)، فالأصل في التفعيلة الثالثة أن تكون مقصورة و"القصر هو حذف ساكن السبب الخفيف الأخير وتسكين ما قبله، وهو علة ملزمة"<sup>503</sup>.

فقد كانت شطور الأدوار الأولى بقافية وشطورها الثانية في قافية أخرى، ثم يأتي القفل في بيتين صدر كل منهما ميمي وعجز كل منهما سيني، فهما ينظمان على أساس البيت المكتمل ذي الشطرين في (القفل) و (الدور) غير أنهما تلاعبا بتفعيلات الأشطرت تلاعبا كثيراً يترك خشية الإطالة، ويكفي للتنبيه على ما فعله (ابن الخطيب) في الأعراب والأضرب التي لم تختلف بين دور ودور فقط ولا بين قفل وقفل فحسب، بل اختلفت داخل كل دور أو قفل أحياناً بين (فاعلتن) و (فعلن) و (فاعلاتن) و (فعلن)، وهو تنوع قد يقتضيه الموشح لكن لا يقبله عروض الخليل، ليبدو الإبداع في قالب أصيل . ولتبيين هذا كله نستعرض جدولين يوضح أولهما أعراب الأقفال وأضربها، ويبين الثاني أعراب الأدوار وأضربها للكشف عن التنوع الموسيقي الكبير في هذا الموشح :-

القفل	العروض الأولى	العروض الثانية	الضرب الأول	الضرب الثاني
1	فعلن	فعلن	فعلن	فعلن
2	فاعلتن	فاعلتن	فعلن	فاعلتن
3	فاعلتن	فاعلتن	فعلن	فاعلتن
4	فعلن	فعلن	فاعلتن	فعلن
5	فاعلتن	فعلن	فعلن	فعلن
6	فاعلتن	فعلن	فعلن	فعلن
7	فعلن	فعلن	فاعلتن	فاعلتن

502 - على الخلاف بين مؤرخي الموشح الأندلسي وقد تقدم.

503- فن التقطيع الشعري والقافية د. صفاء خلوصي ص 207.



8	فاعلن	فاعلن	فاعلن	فاعلن
9	فاعلن	فاعلن	فاعلن	فاعلن
10	فاعلن	فاعلن	فاعلن	فاعلن
11	فاعلن	فاعلن	فاعلن	فاعلن

الجدول الأول : جدول أعراب الأفعال وأصربها

من الجدول تبين إن (فاعلن ) في الأعراب = 14 وفي الأضراب = 8  
وان (فاعلن ) في الأعراب = 8 وفي الأضراب = 14 فإذا جمعنا (فاعلن ) أعراب الأفعال  
وأصربها، وجدناها = 22 وإذا جمعنا (فاعلن ) في أعراب الأفعال وأصربها، وجدناها = 22 .

الدور	العروض الأول	العروض الثاني	العروض الثالث	الضرب الأول	الضرب الثاني	الضرب الثالث
1	فاعل	فعلن	فعلن	فاعل	فاعل	فاعل
2	فاعل	فعلن	فعلن	فاعل	فعلن	فعلن
3	فعلن	فعلن	فاعل	فعلات	فاعلات	فعلات
4	فاعل	فاعل	فاعل	فاعل	فاعل	فاعل
5	فعلن	فاعل	فاعل	فعلات	فعلات	فعلات
6	فعلن	فاعل	فعلن	فعلات	فاعلات	فعلات
7	فاعل	فعلن	فعلن	فعلات	فعلات	فاعلات
8	فاعل	فاعل	فاعل	فعلات	فعلات	فاعلات
9	فاعل	فعلن	فعلن	فعلن	فعلن	فاعل
10	فاعل	فعلن	فعلن	فعلات	فعلات	فعلات

الجدول الثاني : جدول أعراب الأديوار وأضربها

من الجدول يتبين أن (فاعل) في الأعراب = 16 وفي الأضرب = 7

وأن (فعلن) في الأعراب = 14 وفي الأضرب = 5

وأن (فعلات) في الأعراب لا توجد وفي الأضرب = 14 وأن (فاعلات) في الأعراب لا

توجد وفي الأضرب = 4

النتائج :-

إن مراجعة الجدولين المتقدمين تبين مدى التنوع الموسيقي الواضح في موشح (جادك الغيث)، وهذا التنوع يزداد بازدياد زوايا النظر التي ينظر منها الى الموشح، فتضيق او تتسع بضيق زاوية النظر او اتساعها؛ استنادا الى ما يأتي :-

أولا :-

أعاريض الأقفال وأضربها، وأعاريض الأدوار لا تعدو تفعيلتين هما (فعلن) و (فاعلن)، أما أضرب الأدوار، فتتحرك عبر أربع تفعيلات هي: (فعلن)، (فاعلن)، (فعلات)، (فاعلات).

ثانياً :-

عدد أبيات الأقفال اثنان وعشرون بيتاً، 14 أعاريضها على وزن (فاعلن) و8 منها على وزن (فعلن) أي أن نسبة (فاعلن) إلى (فعلن) أكثر من 57٪، أما أضرب الأقفال، فتكون 14 منها على وزن (فعلن) و8 على وزن (فاعلن)، أي أن النسبة المئوية معكوسة تماماً.

ثالثاً :-

إذا جمعت (فاعلن) في أعاريض الأقفال وأضربها كان مجموعها 22، ومجموع (فعلن) 22 أيضاً، أي أن نسبة كل منها الى الأخرى 100٪.

رابعاً :-

أبيات أدوار الموشح 30 بيتاً وفي أعاريضها تتكرر (فاعلن) 16 مرة، بينما تأتي (فعلن) 14 مرة بنسبة 46٪ تقريباً.

خامساً :-

أضرب أبيات الأدوار على أربعة أنماط، هي :- (فعلات) 14، (فاعلن) 7، (فعلن) 5، (فاعلات) 4، أي أن (فعلات) تستحوذ على نحو 47٪، بينما تستحوذ (فاعلن) على نسبة 23٪، و (فعلن) تستحوذ على 17٪، والباقي وهو نحو 13٪ تستحوذ عليه (فاعلات)، فالتنوع في أضرب أبيات الأدوار هو أكبر وأوضح منه في الأقفال.

سادساً :-

إن هذه النسب تتغير بمجرد النظر إليها من زاوية ثانية، فأبيات الموشح كله 52 بيتاً، فإذا جمعنا (فاعلن) في أعاريض الموشح وأضربه، كانت 45 من 104، أي نحو 43٪، في حين أن (فعلن) حازت 41، أي نحو 39٪ لتتقلص نسبة (فعلات) الى نحو 13٪ فتهبط نسبة (فاعلات) الى اقل من 4٪، فكيف لو تمت دراسة تفعيلات أبيات الأدوار والأقفال مجتمعة، أو

كل على حدة أوكل دور منفردا أو كل قفل منفردا، أو بجمع هذا العدد او ذلك من أبيات الأدوار والأقفال ؟

لو درس كل مما تقدم على حدة لبدأ تنوع موسيقي جذاب لا حد له داخل وزن واحد محدد من أوزان الخليل هو بحر الرمل ؛ خلافا للوشاحين الأندلسيين ونقادهم واتفاقاً معهم .

## اختتام الموشح

يقول د . محمد مهدي البصير عن اختتام موشحات المديح التي نحن بصدد أحدها :  
"ومما سنه القوم في أكثر موشحات المدح أن يختتم الموشح بالغزل ويخرج من المدح إليه كما خرج إليه منه، وهذا هو الأكثر من عملهم والأظهر من مذهبهم"<sup>504</sup>، فإذا ما نظرنا الى ما فعله ابن الخطيب، وجدناه يصرف ثمانية أقفال، وسبعة أدوار من موشحه الى الغزل ثم يبدأ المدح في الدور الثامن إذ يقول :-

وأعمرى الوقت برجعى ومتاب	سلمي يا نفس في حكم القضا
بين عتبي قد تقضت وعتاب	واتركي ذكرى زمان قد مضى
من له التوفيق في أم الكتاب	واصرفي القول الى المولى الرضى
أسد السرح وبدر المجلس	الكريم المنتهى والمنتضى
ينزل الوحي بروح القدس	ينزل النصر عليه مثلما
ويواصل مدحه للغني بالله في الدور التاسع فيقول :-	ويواصل مدحه للغني بالله في الدور التاسع فيقول :-
الغني بالله عن كل أحد	مصطفى الله سمي المصطفى
وإذا ما قبح الخطب عقد	من اذا ما عقد العهد وفا
حيث بيت النصر مرفوع العمد	من بني قيس بن سعد وكفى
وجنى الفضل زكي المغرس	حيث بيت النصر محمي الحمى
والندى هب الى المغتسر	والهوى ظل ظليل خيما
فواضح أن قوله :- (والهوى ظل ظليل خيما ) فيه تورية بين الغزل والمدح، أهو يمدحه	فواضح أن قوله :- (والهوى ظل ظليل خيما ) فيه تورية بين الغزل والمدح، أهو يمدحه
بهذا ؟ أم هو يتغزل بشيء ؟	بهذا ؟ أم هو يتغزل بشيء ؟
مثل هذا يقال في قوله :-	مثل هذا يقال في قوله :-
يا أهيل الحي من وادي الغضا	يا أهيل الحي من وادي الغضا
وبقلبي مسكن أنتم به	وبقلبي مسكن أنتم به

504- الموشح في الأندلس و في المشرق ص 21.

ولهذين المثلين أشباه في هذا الموشح، هنا تبرز أصالته في الاختتام، ويبدو إبداعه حين يمدحه ويتغزل بالموشح في الدور الأخير منه وينهيه بقفل (ابن سهل) الأول، فيقول:-

هاكها يا سبط أنصار العلى	والذي إن عثر الدهر أقسال
غادة ألبسها الحسن ملا	تبهر العين جلاء وصقال
عارضت لفظاً ومعنى وحلا	قول من أنطقه الحب فقال
هل درى ظلي الحمى أن قد حمى	قلب صب حله في مكنس
فهو في حر وخفق مثلما	لعبت ريح الصبا بالقبس

هكذا يتجلى إبداع الوشاحين الأندلسيين ومنهم (لسان الدين بن الخطيب) الذين خلدوا عبر الأصالة، فلا إبداع بلا أصالة، ولا أصالة بلا إبداع، فكل أصيل مبدع وكل مبدع أصيل.

### 505 الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير

كثر الكلام في مسألة تأثر الأندلس وتأثيرها، وطال ما بين شد وجذب، فمنهم من يقرر تأثر الأندلس بالشرق تأثراً تاماً، ومنهم من يقف موقف المتشكك، ومنهم من يقرر تأثر أوروبا بما كان في الأندلس وصقلية، ومنهم من يتشكك لأسباب علمية أو غير علمية، والفكر عامة، والأدب خاصة؛ يشبه الماء في تحركه؛ ينتقل من الأعلى إلى الأسفل أو هو يشبه ما يحاوله الماء في الأواني المستطرقة بحيث يكون مستواه واحداً في كل الأواني، وإذا كان هذا الأمر واضحاً في الماء، فهو قريب من ذلك في الفكر، حيث أن الفكر ينتقل من البيئات المتقدمة إلى البيئات المتخلفة<sup>506</sup> على شكل تأثر وتأثير، فحين دخل المسلمون الأندلس، واستقروا فيها، وجدوا أنفسهم في حاجة إلى أشياء كثيرة؛ موجودة في الشرق لذلك ذهبت وفودهم إلى المشرق؛ تنتقي منه ما تريد لتنقله، فقد ذهب التاجر للتجارة والمتعلم للتعلم، وجامع الكتب لجمع الكتب، وهكذا، فلما رأى المشرقيون حاجات أهل الأندلس وعرفوها، بدؤوا

---

505- تطوير محاضرة ألقاها الباحث على قاعة الاتحاد العام للأدباء و الكتاب في العراق؛ صبيحة يوم الأربعاء 2006/2/25؛ اهتمت بما وسائل الإعلام المقروءة و المسموعة و المرئية، فغطتها أو نشرتها أو أشارت إليها أو عرضت جوانب منها.

506- لا ينبغي فهم كلمة المتقدمة بصفتها ميزة كما لا ينبغي فهم كلمة متخلفة على أنها عيب لأن الإنسان محتاج إلى أخيه الإنسان، فحينما كانت الحاجة كان الأخذ، وحينما كانت الزيادة كان العطاء، فهناك دائماً عرض و طلب، من هنا قال تعالى:- ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (الحجرات:13) وإنما نتعارف، ليكمل بعضنا نقص البعض الآخر.

بتوفيرها لهم ونقلها إليهم، بل أنتقل إلى الأندلس علماء وفنانون؛ أثروا تأثيراً جوهرياً في أهل الأندلس، وزرياب الموسيقي والمطرب ومطور العود بإضافة وتر خامس إليه ومحول مضربه الخشبي إلى ريشة نسر ومنشئ مدرسة للغناء والموسيقى في الأندلس والمؤثر في آداب الأندلسيين من حيث السلوك والطعام واللباس وما إلى ذلك دليل مناسب على تأثر أهل الأندلس بحضارة أهل المشرق، وظهور أناس مثل (أبي علي القالي) صاحب (الأمالي) و(صاعد البغدادي) صاحب (الفصوص) مثلاًن آخزان على اهتمام علماء أهل المشرق، بأهل الأندلس، وما يحتاجونه من علم وفكر، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه مثال آخر واضح على تأثر أهل الأندلس بما عند المشاركة؛ يقال هذا مع الانتباه إلى أن كل المنجزات الأندلسية في التفسير والحديث النبوي الشريف والنحو والصرف واللغة والفلسفة وغير ذلك على أهميته متأثراً بالمشرق، لذا لا يستغرب شعور بعض أهل الأندلس بعدم الارتياح، وهم يرون إخوانهم الأندلسيين ينظرون إلى كل ما في المشرق بإعجاب شديد ويتروكون ما عندهم في الأندلس، وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام؛ دليل مناسب على ما نذهب إليه، فهو في مقدمته ينحو باللائمة على أهل الأندلس لأنهم يعجبون بما في المشرق ويقلدونه، دون أن يهتموا بما عند أهل الأندلس، ثم لا يلبث هو نفسه وفي المقدمة نفسها؛ أن يقرر أنه ينهج في الذخيرة نهج الثعالبي في يتيمة الدهر، وحين يقدم شعر الشعراء الأندلسيين أو نثر ناثريهم، يتتبع معانيهم عند الشعراء، ويخص شعراء المشرق باهتمام كبير، مما يدل على تأثره الشديد، بما عند أهل المشرق، ولكي لا يتصور متصور أن زرياب وابن عبد ربه وابن بسام على أهميتهم في الأندلس مجرد أسماء شاذة بين أسماء تخالفهم؛ نُذَكَّر بما تقدم من تشبه بعض شعراء الأندلس بشعراء أهل المشرق؛ مُتَسَمِّين بأسمائهم أو متلقبين بألقابهم أو مجازين من قبيلهم أو متفوقين عليهم كما فعل ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع أو حاسدين لهم على ما هم فيه؛ متمنين أن يكونوا مكانهم، كما فعل (أبو محمد بن حزم) حين قال يخاطب قاضي الجماعة (عبد الرحمن بن بشر) بقرطبة يفخر بالعلم ويذكر أصناف ما علم :-

ولكن عيبي أن مطلعني الغرب  
لجد على ما ضاع من ذكري النهب  
ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب  
فحينئذ يبدو التأسف والكره  
وأطلب ما عنه تجيء به الكتب  
وان كساد العلم آفته القرب  
له ودنو المرء من دارهم ذنب

أنا الشمس في جو العلوم منيرة  
ولو أنني من جانب الشرق طالع  
ولي نحو أكناف العراق صبابة  
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم  
فكم قائل أغفلته وهو حاضر  
هنالك يدري أن للبعد قصة  
فوا عجا من غاب عنهم تشوقوا

وإن مكانا ضاق عني لصيق

وإن رجلا ضيعوني لصيع

ومنها في الاعتذار عن مدح نفسه :-

ولكن لي في يوسف خير أسوة

يقول وقال الحق والصدق إنني

على انه فيخّ مذاهبه سهب

وإن زمانا لم أنل خصبه سغب

وليس على من بالنبي ائتسى ذنب

حفيظ عليم<sup>507</sup> ما على صادق عتب<sup>508</sup>

وهذا كله وسواه، ليس فيه عيب، ولا يغض من شأن أهل الأندلس، ولا يعني أنهم لم يقدموا إنجازات فذة؛ في الفكر والأدب، والأدب جانباً من جوانب الفكر وهو الذي يهمننا في هذا المجال، فإذا ما اتفقنا على ذلك، لم يكن غريباً أن يكون للأندلس وصقلية أثر ذو ذراعين أحدهما متجه إلى المشرق؛ يرد إليه فضله، حين يستقبل المشرق بكل رحابة صدر لا مجرد المنجز العلمي الأندلسي المتمثل في كتب التفسير والحديث النبوي الشريف واللفّة من معجمات وكتب نحو وصرف وما إلى ذلك من فكر فقهي وفلسفي وتصوفي، بل استقبل كذلك باعتزاز؛ الشعر الأندلسي بما فيه من شعر معتاد، وموشح وزجل ويكفي أن نذكر بكتاب (نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب) للأديب المغربي (المقري) الذي رحل إلى المشرق هذا الكتاب الذي كتبه في المشرق بطلب من أهل المشرق أنفسهم وبكتاب (العاطل الحالي والمرخص الغالي) للشيخ صفي الدين الحلبي الشاعر والعالم المشرقي العراقي للدلالة على أثر الفكر الأندلسي في المشرق، والقول بأن (العاطل الحالي) أهم الكتب التي رصدت الزجل الأندلسي ونظّرت له وحفظت جوانب منه؛ قد لا يكفي دليلاً لفصل شك متشكك في أثر الفكر والأدب الأندلسيين على المشرق، لكن من ذا الذي يستطيع أن ينكر انتشار الموشح والزجل خارج الأندلس في بلاد المغرب والمشرق العربيين؟!

من ذا الذي يستطيع أن ينكر انتشار الموشح والزجل في المغرب والمشرق العربيين وما نظمه على نمطهما أهل هذين الأفقين؟!

إنك ترى المغاربة والمشاركة ينشدون الموشحات ويتغنون بها ويستمعون إليها؛ على الرغم من كل التطورات الشعرية والغنائية والموسيقية، فماذا يعني

هذا غير تأثر المغاربة والمشاركة بأهل الأندلس؟!

أكثر من هذا فقد جمع الدكتور عبد الرزاق حسين في كتابه (الأندلس في القصيدة العربية المعاصرة)<sup>509</sup> 136 قصيدة لـ 94 شاعراً ويقرر في مقدمة الكتاب قائلاً: - "فالمسح

507- البيتان متناصان مع قوله تعالى:-- (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ) (يوسف:55).

508- الذخيرة م 1 ص 106-107.

الشامل متطلب صعب ومهمة تكاد تكون مستحيلة في ظل التشرذم والتفرق<sup>510</sup> فكم هم الشعراء الذين لم ينشد لهم قصائد في الأندلس؟!

لا شك أنهم كثيرون ففي (ديوان ليل الصب) للأستاذ (محمد علي حسن)<sup>511</sup> جمع 88 معارضة لقصيدة (ليل الصب) لـ (أبي الحسن الحصري القيرواني) 86 منها لشعراء محدثين، فهذه قصيدة واحدة؛ وجدت كل هؤلاء المعارضين ومنهم (أحمد شوقي) الذي كان له في (معارضات قصائد أبن زيدون) للدكتور (عدنان محمد غزال)<sup>512</sup> ثلاث معارضات<sup>513</sup> من أصل 69 معارضة أغلبها لشعراء محدثين منها 52 معارضة للنونية وحدها فهذا أثر شاعر، فما أثر الأندلس كلها لا أقول على العرب كلهم بل أقول على بعض شعرائهم؟!

منهم الأستاذ كاظم اللايذ الذي كتب قصيدته (الطريق إلى غرناطة)؛ ضاماً إليها إلى إضمامة شعرية جميلة مطبوعة على الكومبيوتر، عنوانها:- (في الطريق إلى غرناطة) فأين سيجدها الدكتور عبد الرزاق حسين؟!

وكيف سيجد غيرها ليري ما إذا كانت تصلح أن تكون من قصائد كتابه السابق الذكر وأن تنقد في كتاب:- (الأندلس في الشعر العربي المعاصر)<sup>514</sup>، خصوصاً وأنه نسي قصيدة (أندلس لبغداد)، (محمد مظلوم)<sup>515</sup>؛ تلك القصيدة الطويلة؛ المكونة من نحو 90 صفحة من الحجم المتوسط؛ نشرتها دار المدى في عام 2002؛ أي قبل طباعة الكتابين بنحو سنتين؟! وواضح من الفذلقة المتقدمة أن العرب المحدثين؛ كانوا معنيين بـ (الأندلس)؛ متأثرين بها؛ مهتمين بأحداثها؛ مسقطين إليها على أوضاعهم؛ ومسرحية أميرة الأندلس، تأليف (أحمد شوقي)<sup>516</sup> بك، التي وضعها تحت عنوان (رواية أميرة الأندلس) مثال على ذلك إذ استلهم فيها جوانب من حياة (المعتمد بن عباد) وأبنته الأميرة (بثينة)، أما (ألفريد فرج)

---

509- (الأندلس في القصيدة العربية المعاصرة) للدكتور (عبد الرزاق حسين) - الكويت 2004 مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري  
510- م. ن. ص 5.

511- (ديوان ليل الصب) للأستاذ (محمد علي حسن) - الطبعة الأولى 1968م مطبعة الإيمان بغداد شارع المتنبي  
512- تنظر (معارضات قصائد أبن زيدون) للدكتور (عدنان محمد غزال) - الكويت 2004. مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

513 م. ن. ص 47 و 288 و 315.  
514- ينظر كتاب:- (الأندلس في الشعر العربي المعاصر) تأليف الدكتور عبد الرزاق حسين، الكويت 2004 مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

515- (أندلس لبغداد)، (محمد مظلوم)، من ص 5 إلى ص 95، الطبعة الأولى، دار المدى، 2002م سورية دمشق.

516- تنظر مسرحية أميرة الأندلس، تأليف أحمد شوقي بك، مطبعة دار الكتب المصرية 1932م،



في رسائل قاضي أشبيلية<sup>517</sup>، فقد جعل في هذا الكتاب تسعة موضوعات؛ الموضوعات الثلاثة الأولى وضع كلا منها تحت عنوان رسالة، كانت الرسالة الأولى تحت عنوان (السوق)<sup>518</sup> يبدو أن الكاتب لم يستعر من الأندلس عامة وأشبيلية خاصة غير الاسم، فالذي حدث في السوق؛ قد يحدث في أي سوق من أسواق أية مدينة إسلامية؛ من تاجر صدوق لولا وجود بعض الجوانب العجائبية أما الرسالتان الثانية، التي جاءت تحت عنوان:- (الأرض)<sup>519</sup> والثالثة الموسومة بـ(العقاب)<sup>520</sup> فلم أرَ فيهما شيئاً من الأندلس عامة وأشبيلية خاصة لا زماناً ولا مكاناً ولا شخصيات، وكلما فعله أنه استثمر اهتمام العرب بـ(الأندلس) وشغفهم بـ(أشبيلية) التي شغف بها العرب لشغفهم بملكها الأسير (المعتمد بن عباد)، ولم يكن للأندلس في الموضوعات الأخرى مكان.

هذا هو ذراع التأثير الأندلسي الأول في أهل المغرب والمشرق العربيين، فما ذراع التأثير الأندلسي الثاني؟!

إن ذراع الأندلس المؤثر الثاني هو ذراعها المؤثر في أوروبا، وليس المقصود بهذا أن نقدم تقريراً واسعاً يدور حول كل التأثيرات الأندلسية في أوروبا، بل ليس الهدف إبراز أهم التأثيرات الأندلسية، لكن الهدف من هذا الأمر، منحصر في إشارات تنير الطريق لمعرفة جوانب من التأثير الأدبي الأندلسي في أدب أوروبا عامة وشعرها خاصة.

إذا كان هناك أثر لغوي وشعري أو أدبي أندلسي في أوروبا، فلا بد أن يبدأ بأسبانيا وصقلية، من هنا، فليس غريباً ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن الأسبانية تحتفظ بحرفين عربيين هما:- (خاء) و(ثاء)؛ خلافاً للغات اللاتينية التي ليس فيها هذان الحرفان، ثم أن في الأسبانية كلمات كثيرة أصلها عربي وأنها الأسبانية تحتفظ بـ(ال) التعريف العربية، فهذا كله طبيعي؛ ناتج عن بقاء العرب والعربية في الأندلس؛ نحواً من ثمانية قرون، ثم أن سقوط غرناطة في عام 897هـ؛ لم يعن خروج كل العرب بدون استثناء من أسبانيا، لقد بقي بعض العرب بهذا الشكل أو ذاك بعنوان:- (المورسكيين) في أسبانيا بعد سقوط غرناطة مدة قد تصل إلى قرن، فهل يذهب هذا كله بلا اثر؟!

---

517- رسائل قاضي أشبيلية، الفريد فرج، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية بغداد،

1981م.

518- تنظر م. ن، ص6 وما بعدها .

519- - تنظر م، ن، ص22 وما بعدها.

520- تنظر م، ن، ص38 وما بعدها.

هذا كلام لا يعقل .

أما اهتمام الإيطاليين باللغة العربية ولأسباب مختلفة منها التجارة والترجمة فدليله افتتاح مدرسة اللغة العربية في مدينة (جنوة) الإيطالية سنة 1207 م، ومن الطبيعي أن تترسب كلمات ذات أصول عربية في اللهجات الإيطالية العامية؛ نتيجة لتأثير هذه المدرسة، وبسبب ما تمت ترجمته من الكتب العربية ومنها الشعر العربي، ولأن التجار الإيطاليين؛ تاجروا مع العرب، فدخل كل منهم موانئ الآخر وربما مدنه ليشتري ويبيع، واللغات كائنات حية سريعة التفاعل قابلة للأخذ والعطاء، ودليل ذلك كم كبير من الكلمات الأجنبية التي دخلت اللغة العربية في العصر العباسي مثل (فلسفة، كيمياء، هندسة) نتيجة الترجمة والتعريب، وهذا الكم الكبير من الكلمات التي دخلت اللغة العربية الحديثة نتيجة جلب المخترع الحديث، وكلمات مثل (الراديو، التلفزيون، التلفون، الموبايل، الكومبيوتر)، وما يتعلق بهذه الكلمات من متعلقات وتوابع؛ يدل على قدرة اللغة الحية بشكل معتاد على الأخذ والعطاء، فقد أخذت العربية وأعطت يوم تفوقها وفي كل يوم.

وإذا أمكن الاستدلال على وجود تأثيرات لغوية عربية في بعض اللغات الأوربية كما تقدم فليس من السهل إثبات تأثر شاعر بشاعر؛ ناهيك عن تأثير شعر أمة بشعر أمة أخرى، وهي مسألة تأثر الشعر الأوربي، بالشعر العربي الأندلسي، وفي هذا كلام كثير منه:-

أ. أن الشعراء الأوربيين، لم يكونوا يجيدون اللغة العربية، فكيف تأثروا بشعر أهل

الأندلس؟!

ولعل من جواب هذا السؤال أن الشاعر، ليس مضطراً دائماً لتعلم لغة الشعر الذي يتأثر به، فكثيراً ما يكون التأثير؛ ناتجاً عن الترجمة ومثال ذلك ما حدث للأدب العربي شعراً ونثراً مسرحاً ورواية وقصة في القرنين التاسع عشر والعشرين وحتى الوقت الحاضر، فمن ذا الذي يزعم أن كل أدباء العرب وشعرائهم؛ يجيدون كل اللغات الأجنبية التي تأثروا بأدبها، بل من الذي يزعم أن كل المتأثرين بأديب أوربي ما أو شاعر؛ يجيدون لغته؟!

ب. إن الشاعر المتأثر، لا يتأثر بالألفاظ الشعرية بل يتأثر بالأفكار والأساليب وهو ما يمكن القول بأن الشعراء الأوربيين؛ قد تأثروا به، وعليه فوجود حب سام في شعر ما أو عدم وجوده فيه، ليس دليل تأثر شعر آخر به أو عدم تأثره؛ لأن الحب موقف شخصي من مواقف الشاعر، ولا يمكن نسبته إلى شعراء أمة، ففي شعراء أية أمة؛ شعراء يحبون حباً سامياً عذرياً أو ما يشبه العذري وآخرون يحبون حباً مادياً عفيفاً أو مكشوفاً، وهكذا يختلف الموقف من الحب؛ بين شاعر وشاعر؛ في أمة واحدة، بل قد يختلف لدى الشاعر الواحد بين زمنين كما تقدم الحديث عن شعر ابن عبد ربه؛ وأكثر من ذلك فقد يختلف حب الشاعر لامرأتين فيتعفف مع إحداهما، ويتماجم مع الأخرى، فلا مجال للقول، بأن هناك موقفاً محدداً من

الحب؛ يقفه كل شعراء أمة واحدة أو أكثرهم في زمن معين؛ ناهيك عن أن يحكم ذلك الموقف كل الأزمان .

وأحد أهم الخلافات التي تدور حول تأثير الشعر الأوربي بالشعر العربي أو عدمه؛ اختلافهم حول تأثير شعراء (التروبادور) بالشعر العربي الأندلسي أو عدم تأثرهم به، وقد ذهب الباحثون في هذا الأمر مذاهب شتى؛ منها:-

1. تقسيم كلمة (تروبادور) إلى كلمتين إحداهما (تروب) بمعنى (فرقة)، وهذه الفرقة؛ يمكن أن تكون غنائية، فتأتي الكلمة الثانية وهي دور بمعنى (تدور) وتدور كلمة عربية أي تتجول فهي فرقة غنائية متجولة، والتجوال :- أسلوب في العمل، ومعروف أن الشعراء الأندلسيين في عهد ملوك الطوائف كانوا على نوعين :-

النوع الأول :- شعراء محسوبون على ملك من ملوك الطوائف؛ ملتصقون به .  
النوع الثاني :- شعراء (جوالون)؛ يتجولون بين الملوك؛ يمدحونهم، ويأخذون هباتهم، ثم ينتقلون عنهم إلى سواهم، وهكذا فهو شاعر يتجول؛ (يدور)، فماذا يمنع من أن يكون شعراء (التروبادور) الدوارون قد أخذوا صفتهم وأسلوبهم من هؤلاء الشعراء الأندلسيين؟! إنه مجرد رأي؛ يحتمل الصحة، أو يقترب منها، حتى يثبت غيره؛ وهو أقرب عندي من الرأي الآخر .

2. يتصور البعض أن كلمة (تروبادور) في الأصل كلمتان عربيتان تغير موقع كل منهما من الأخرى، فتقدمت الثانية على الأولى، وتأخرت الأولى عن الثانية، لتندمجا عند الأوربيين، والكلمتان العربيتان هما :- (دور طرب) وهو تعبير مستعمل عند العرب، فقد يجلسون مجلس طرب؛ يقدم إليهم فيه (دور طرب)؛ عرف الأوربيون هذا؛ رأوه وسمعوه، وهم معتادون على تقديم المضاف إليه على المضاف؛ ضمن قواعدهم اللغوية، فتقدمت كلمة (طرب) على كلمة (دور)، فصارت (طرب دور)، وواضح أن اللغات الأوربية تفتقر إلى الحرف (ط) فتحول إلى (ت) وتحولت الكلمة (طرب) إلى (ترب) ثم عملت العوامل اللغوية عملها في الكلمتين؛ فدمجتها وحولتها إلى كلمة واحدة هي :- (تروبادور) وهو أمر آخر محتمل، إذ قد تكون الفرق الأولى التي مارست التجول في أوروبا من الفرق الجواله الفقيرة؛ التي تجول بين الفقراء، فتؤدي لهم دوراً واحداً من أدوار الطرب؛ تأخذ عنه أجرها، ثم ترحل، ولا تبقى الأشياء كما هي بل تتطور، فتبقى آثارها، مع ما يجري عليها من تغيير، والتغيير الذي جرى لشعراء التروبادور؛ أن المعروفين منهم؛ كانوا يتجولون بين الملوك والحسنوات، لكن من الذي يعرف غيرهم من الشعراء الفقراء؟!

ومن الذي يعرف؛ ماذا كانوا يفعلون، وكيف كانوا يعيشون؟!

لقد كان بعض شعراء الرباية؛ يستقرون عند بعض شيوخ البادية؛ لكن بعضهم الآخر كان يتجول بين الشيوخ، بل لقد رأيت أنا نفسي بعض هؤلاء الشعراء في ستينات القرن

الماضي يتجولون بين البيوت البغدادية الفقيرة؛ يعزفون على الربابة، ويمدحون رب البيت؛ مستجدين، فيمنحهم البعض ويمنعهم البعض الآخر، كما أنني رايتهم في بعض المدن السياحية ومنها المدائن سلمان باك يعزفون وينشدون لكل من يدعومهم، فيعطيهما ما قسمه الله، ويذهبون إلى سواه؛ تُرى ألا يُحتمل أن يكون مثل هذا موجوداً في الأندلس، وأن بعض الأوربيين قد رأوه وتأثروا به؟!

ألا يحتمل أن يكون ما يسمى في قشتالة بـ (شعر المنشدين)؛ من هذا النوع؟! إنني لا أستبعد هذا، لأن السبب الدافع إليه واحد وهو الاستجداء الناتج عن الفقر، والفقر موجود بين العرب والأوربيين، فلماذا يمارس بعضهم هذا العمل ولا يمارسه البعض الآخر؟! إن ممارسة الاستجداء، بسبب الفقر؛ مسألة شخصية لا علاقة لها بمجتمع دون مجتمع، ثم ما الذي يمنع من اجتماع الرأيين، حيث نرى فرقة غنائية متجولة؛ تؤدي دور طرب واحد، لشخص أو لمجموعة من الأشخاص؛ تأخذ ما يجاد به عليها ثم تنصرف حتى إذا وصلت ملكاً أعجب بها، دعاها إلى قصره فرعاها فيه، فاختصت به؟! ثم لم الحديث الطويل عن شعراء (التروبادور) كما سماهم أهل الجنوب ومناقشة تأثرهم بشعر الأندلس أياً كان ونسيان شعراء (التروفير) كما سماهم أهل الشمال وشعراء (المنسك) كما عرفهم الألمان مع عدم مناقشة تأثرهم بالشعر الأندلسي إلا لمحا؟! هذه أمور؛ يصعب البت بها بشكل قاطع، لكنها تدفع إلى التفكير، وتثير المناقشات المجدية أحياناً، وغير المجدية في أحيان كثيرة. إنما قدمه أجدادنا للحضارة الإنسانية؛ شيء مهم، لكن الأهم منه، ما نستطيع أن نتقدم به نحن لأبنائنا وأحفادنا من جهة وللحضارة الإنسانية من جهة أخرى، والتفكير بهذا الأمر أجدى وأحق بالاهتمام أليس كذلك؟!

### من مصادر حي بن يقظان لـ (ابن طفيل)

هل تصدق أن لـ (ابن طفيل) الفيلسوف الأندلسي الكبير اعترافات؟! بماذا اعترف؟! ومتى اعترف؟! وكيف اعترف؟! أسئلة مثيرة للاستغراب، فليس (ابن طفيل) على عظمتها غير رسالة فلسفية واحدة؛ هي التي وصلت إلينا، وهي رسالة (حي بن يقظان)، وقد نالت اهتماماً كبيراً في الشرق والغرب، فترجمت إلى لغات عديدة سنذكر بعضها لاحقاً ونُشرت كثيراً في العربية على أيدي علماء متعددين، أعيدت طبعات الكثير من نشراتهم دون أن يذكر أحد منهم أن (ابن طفيل) له اعترافات، فبماذا اعترف؟! ولماذا؟!

هذان سؤالان يستحقان الإجابة؛ فقد تكلم الكثير من النقاد ومؤرخي الأدب العربي من العرب والأوروبيين عن المصدر الذي أخذ عنه (ابن طفيل) هذه الرسالة، وقد تفضل د. (حكمة الأوسي) وهو أحد كبار المتخصصين العرب بالأندلسيات من العراق بتلخيص هذه الآراء وعرضها حين قال: "من الأمور التي شغلت الباحثين الأسبان أوجه الشبه الدقيق بين قصة حي بن يقظان لابن طفيل والفصول الأولى من قصة الكريتيكون الناقد لكراثيان بلتاسار وكان أول من أشار إلى هذا التشابه القوي بينهما اليسوعي بارتلوم بو في القرن الثامن عشر حتى جاء الناقد الأسباني الكبير ميندث بلايو وحلل أوجه التشابه هذا في مقدمته لترجمة بونس بوبجس لقصة حي التي ترجمها عن العربية مباشرة د-ك بتروف ونفى أن تكون قصة حي مصدراً أخذ عنه كراثيان الفصول الأولى لروايته المذكورة وقد ذكر هذا الرأي في تعليقه على الترجمة الروسية لرسالة حي بن يقظان التي قام بها ج كوزمين ونشرها في بطرسبرج سنة 1920 إلا أن المستشرق الأسباني المعاصر الأستاذ كارثيا كوميث أثبت أن كلاً من كراثيان وابن طفيل قد حدا في قصته حذو قصة موريسكية أخرى مؤلفها مجهول كانت مصدراً مشتركاً لكليهما تلك هي قصة الصنم والملك وابنته وهي إحدى الأساطير التي نسجت حول شخصية الإسكندر الأكبر"<sup>521</sup> فهم مختلفون في مصدر (حي بن يقظان) ودعنا من الناقد فهو لا يعني هنا فقد قبل الكثير من الباحثين العرب موقف (كوميث) فهل يقبل (ابن طفيل) هذا الموقف؟!

إذا عاد الباحث المدقق إلى مقدمة (حي بن يقظان) لـ (ابن طفيل) في أية طبعة من طبعاتها، فسيجد فيها مناقشة مستوعبة وموجزة للفكر الفلسفي العربي الإسلامي حتى زمنه، لا يذكر اسماً أجنبياً غير اسم (أرسطو) ولم يقل أحد أن مصدر هذه القصة هو (أرسطو)، بل لم يكن (أرسطو) أحد مصادرها، ثم إن (ابن طفيل) في المقدمة لا يشير إلى أي أثر (موريسكي) أو غير عربي إسلامي عليه، بل هو يعترف بمصدرين أساسيين لهذه القصة هما (ابن سينا) و (الغزالي) إذ يقول:<sup>522</sup> "ولا شك عندنا أن الشيخ أبا حامد<sup>523</sup> ممن سعد السعادة القصوى ووصل تلك المواصل الشريفة المقدسة. لكن كتبه المضمون بها المشتملة على عدم المكاشفة لم تصل إلينا ولم يتخلص لنا نحن الحق الذي انتهينا إليه وكان مبلغنا من العلم تتعب كلامه وكلام الشيخ أبي علي<sup>524</sup> وصرف بعضهما إلى بعض وإضافة ذلك إلى الآراء التي نبغت في زماننا هذا ولهج بها قوم من منتحلي الفلسفة حتى استقام لنا الحق أولاً

521 - فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. حكمة الأوسي ص 156 .

522 - تحفظ.

523- يُريد (الغزالي).

524- يُريد (ابن سينا).

بطريق البحث والنظر ثم وجدنا منه الآن هذا الذوق اليسير بالمشاهدة وحينئذ رأينا أنفسنا أهلاً لوضع كلام يؤثر عنا<sup>525</sup> هذا هو اعتراف (ابن طفيل) عن مصادره، فإذا صح هذا الاعتراف ولا سبب لعدم صحته عرف أهم مصادر هذه الرسالة وما أضافه (ابن طفيل) إليها وهو كثير، مختلف ومهم وقد أحسن (أحمد أمين) و (كامل الكيلاني) إذ نشر كل منهما رسالة (حي بن يقظان) لـ (ابن طفيل) بين رسالتين بالاسم نفسه، إحداهما لـ (ابن سينا) والأخرى لـ (السهروردي) يمكن الرجوع إليها لمعرفة الفرق الشاسع بينها، وقد قدم (أحمد امين) بين يدي هذه الرسائل دراسة قيمة حاول د. (مصطفى الشكعة) السير على النهج نفسه ملخصاً<sup>526</sup> وقد قدم (أحمد أمين) تلخيصاً لما فهمه شارح (الإشارات) من إشارات (ابن سينا) إلى المراد من (سلامان) و (أبسال) وغيرهما ممن ذكرهم في قصة (سلامان وأبسال)<sup>527</sup>، وهي خدمة مثمرة، لكن المشكلة تكمن في أنه لم ينتبه أحد من العرب ولا من الأجانب إلى اعترافات (ابن طفيل) التي تقدم ذكرها حول المصادر التي اعتمدها في رسالته، وهي مسألة تستحق اهتمام الأدباء والنقاد ومؤرخي الأدب والفلسفة عامة والفلسفة الإسلامية خاصة ناهيك عن الفلاسفة الإسلاميين، فمصادر (ابن طفيل) إذاً عربية إسلامية لا غير كما يبدو.

## (كلكاش) و(حي بن يقظان) وجهان لعملة واحدة

هل يصدق مثقف أن بين (كلكاش) و(حي بن يقظان) علاقة؟! ما الذي يمكن أن يربط بين ملحمة نظمت قبل الميلاد ببضعة ألوف من السنين وطمرت في الأرض فلم تظهر إلا في أواخر القرن التاسع عشر هي ملحمة (كلكاش) و(حي بن يقظان) لـ (ابن طفيل) وهي نص قصصي فلسفي يعود إلى القرن السادس الهجري؟! هذا الاستغراب وارد، وهو في حاجة إلى تحقيق، فالدكتور (عمر فروخ) كتب بحثه عن (ابن طفيل وقصة حي بن يقظان) ونشره في كتاب في العقد الرابع من القرن العشرين تحدث فيه عن نظائر لـ (حي بن يقظان) لكنه لم يذكر (ملحمة كلكاش) مع أن الأستاذ (عبد الحق فاضل) ترجم الملحمة شعراً تحت عنوان:- (قلقميش) ونشرها في ذلك الوقت تقريباً، بعد ذلك نشر المحامي (فاروق سعد) قصة (حي بن يقظان) وقدم لها بمقدمة قيمة في

525 - حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، تحقيق وتعليق أحمد أمين ص 59.

526 - ينظر الفصل الثاني من الباب السابع من كتاب الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه د. مصطفى الشكعة.

527 - ينظر الهامش رقم (1) على ص 113، 114 من حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي.

كتاب طبع أكثر من مرة تحدث في المقدمة عن نظائر لـ (حي بن يقظان) قبل (ابن طفيل) وبعده، دون أن يشير إلى ملحمة (كلكامش) مع أن ترجمة المرحوم (طه باقر) للملحمة طبعت أكثر من مرة واشتهرت في حينها كما أنها لخصت في مقدمة كتاب (عطار نامه) لـ (فريد الدين العطار) الذي ترجمه أستاذنا الدكتور المرحوم (أحمد ناجي القيسي) ألا يستغرب هذا؟! يبدو لكاتب هذه السطور المتواضعة أن هذا شيء غير غريب، ذلك أن نظائر (حي بن يقظان) كما تحدث عنهم (عمر فروخ) أو (فاروق سعد) أفراد يشابهون (حي بن يقظان) مشابهة حقيقية أو متصورة، وهي مسألة ليس هنا مجال الخوض في مناقشتها لكن ملحمة (كلكامش) تقدم شخصيتين في كل منهما شبه لجانب من جوانب (حي بن يقظان) هاتان الشخصيتان هما: (أنكيديو) و (كلكامش) فصحيح أن كلا منهما إنسان، لكن ثلثي (كلكامش) من الآلهة، أما (حي) فهو من صنع الطبيعة، أو هو ابن أخت ملك على أحسن حال يصف (ابن طفيل) هذا الملك الذي هو خال (حي) بأنه:- شديد الأنفة والغيرة وكانت له أخت ذات جمال وحسن باهر فعزلها ومنعها من الأزواج إذ لم يجد لها كفتاً فهذا يبين مدى استبداده وتسلمه، فإذا كان هذا هو حاله مع أخته فما حاله مع غيرها؟!

(كلكامش) كان مثله في الأنفة والغيرة، فكما تمرد خال (حي) على الطبيعة، فأبى أن يزوج أخته، فقد تمرد (كلكامش) على عشتار آله الحب والجمال فأبى أن يتزوجها بل أنها وعيرها بخيانتها لأزواجها السابقين، وهددها بأخبار (تموز) الراعي وكما أن عشتار أثارته على (كلكامش) مجمع الآلهة كي تخلق منافسا له، فخلقت (أنكيديو)، فكذلك تمردت أخت الملك على تسلمه، وتزوجت (يقظان) قريبتها لتلد الإنسان الفطري، فهما امرأتان ثائرتان مثيرتان، هنا يبدأ اختلاف بعض وجهي العملة، تناقضهما على رأي المنطقة القدماء أو تكاملهما على رأي الكاتب فـ (كلكامش) وهو بطل الملحمة ملك مدينة (أوروك) أو (أور) وهو ملك متمدن، أما (حي) بطل قصة حي بن يقظان فهو رجل فطري، من هنا سيقارن بـ (أنكيديو) أصلا، وقد يقارن (بكلكامش) فيما بعد فـ (أنكيديو) في ملحمة (كلكامش) نذً للبطل، في حين أن (حي بن يقظان) ليس ندا لأحد، وليس له نذً، ولم يظهر ليتحدى أحدا، تربي (أنكيديو) و (حي) في أحضان الوحش فرافقهما الوحش، لكن البغي أخذت (أنكيديو) من الوحش أو نفرت الوحش منه، أما (حي)، فلم ينفر من الوحش، ولا نفر الوحش منه، وإن كان له نزوع إلى بعضه، ويُعد عن بعضه الآخر .

ذهب كلا الرجلين إلى المدينة، فدخل كل منهما صراعا غير متكافئ لم ينتصر فيه، أما (أنكيديو)، فقد صارع (كلكامش) الذي تغلب عليه فصرعه بجبروته وقوة سلاحه، وأما (حي)، فقد ذهب إلى جزيرة (أبسال) وملكها (سلامان) في محاولة لتوجيه أهلهما إلى الدين الصحيح ففشل وعاد إلى جزيرته يعبد الله تعالى مع صديقه (أبسال) يتأسا من إصلاح الناس دون أن يبدو عليه أو على (أبسال) أو (سلامان) دليل قرب الموت، أما (أنكيديو)، فقد مات وعنده

البغي التي لم يوجد (ابن طفيل) لها مكانا في قصته، وإن أشار إلى (المنكوح) ولم يبين كيف استغنى عنه (حي) مع أنه كان معنيا بالأحياء في جزيرته، يساعدها على الحياة واستمرار الجنس، أما هو فلم يفكر في أن يستمر جنسه عن طريق النسل، مع أنه فكر في أمور كثيرة وربما أراد (أبن طفيل) أن يرمز بـ (حي) إلى التطور الإنساني المستمر، أو رمز به إلى المتزهدين في الدنيا، مما لم يوجهه إلى إيجاد (أنثى) تخرجه من الجنة أو تنفر الوحش منه أو تلهيه عن تطوره الفكري، ثم أن (ابن طفيل) رمز بكل هؤلاء الثلاثة إلى أشباه لهم موجودة على طول الزمن، فـ (حي) رمز الفطرة، و (أبسال) رمز التأويل فالكشف، و (سلامان) رمز الظاهر، من هنا لم يمت أحد منهم بل كان الأولان ينتظران اليقين الموت في جزيرة (حي).

هنا يتجدد الجدل بين (كلكاش) و (حي)، فقد أخذ الموت من كل منهما حبيبه، أخذ من (كلكاش) صديقه (أنكيديو) فذهبت الفطرة بذهابه، وأخذ الموت من (حي) أمه الطيبة التي حنت عليه وربته مما أوجب عليه الاعتماد على النفس.

ترك (كلكاش) صديقه دون دفن، حزنا عليه حتى نتن، في حين حاول (حي) أن يكتشف علة ظنها في أمه الطيبة التي منعتها من الاستجابة له بقصد إزالتها.

وتطور (حي) معتمدا على نفسه يتعرف إلى الأشياء حتى وصل بجده واجتهاده وفكره إلى اكتشاف وجود ذات عليا ليست جسمانية واجبة الوجود، في حين غامر (كلكاش) في السفر إلى جده (أتنوبشتم) بحثا عن سر الحياة عثر عليه سرقته (الحية) منه فعاد خائبا، في حين عاد (حي) من رحلته خائبا لعجزه عن إصلاح أهل جزيرة (أبسال) ومع أن الاثنين عادا خائبين فقد عادا من رحلتيهما بسلام إذ بدا لـ (كلكاش) مدى غفلته قبل رحيله، فالخلود ليس للبشر لأنه للآلهة، من هنا ظهر للخلود وجه آخر يتمثل في رضا أهل مدينته عنه، أما (حي) فقد شغله الخلود مدة وجيزة بعد وفاة الطيبة وتجاوزه لما لم يجد علة الحياة، غير أنه وجد بعد ذلك حين علم أن من رأى الموجود الواجب الوجود عند الموت، فأنه سيبقى يراه ويستمر في سعادة أبدية لا تنقضي، لذا عاد و (أبسال) إلى جزيرته ليعبد الله عز وجل على طريقة (حي) حتى يأتيهما اليقين.

المتوقع أن منطلق النصارى كان واحدا هو صراع الموت والحياة، الحب النافع والحب المدمر، وربما كان الهدف واحدا هو أن تعيش نفس الإنسان الفرد أو النفس الإنسانية في سلام، والمؤكد أن (ابن طفيل) لم يقرأ ملحمة (كلكاش) ولم يطلع عليها، بل لم يسمع بها، ومع ذلك فقد كتب نصا هو الوجه الآخر للحياة والموت، لصراع بين الفطرة والتمذُّن، فقد أنتصر تمذُّن (كلكاش) على فطرة (أنكيديو) وأنهزم تمذُّن (أبسال) و (سلامان) أمام فطرة (حي) لأن فطرة (أنكيديو) مجرد قوة عضلية أمكن التغلب عليها بحيلة (البغي) وسلاح (كلكاش) وجبروته، فما الذي يغلب فكر (حي) الفطري الإنساني الذي أنضجته التجربة؟!



إنه لا شيء يتغلب عليه، لكن يلحقه وهو ما حدث بين فكر (حي) الفطري وفكر (أبسال) المتمدن حيث تلاقها وتعانقا .

فالعلاقة بين العمليين ليست علاقة تشابه أو اختلاف بين بطليهما أو شخصيتين من شخصياتهما وإنما هي علاقة النصين من حيث عرض أهم المشكلات الفلسفية الإنسانية المطروحة في زمانيهما .

## وعي المثقف مقاربة بين المثقفين

### في (حي بن يقظان) والرواية المصرية الحديثة<sup>528</sup>

مال الباحث إلى إجراء مقارنة بين أبرز شخصيات (حي بن يقظان) وهما:- (حي بني يقظان) و (أبسال) وما لخصه (عبد السلام محمد الشاذلي) عن المثقف المصري كما رآه روائي آخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تقريبا لمطلب يراه الباحث مهماً هو مقارنة معرفة هاتين الشخصيتين في نظر (ابن طفيل) قياساً إلى مثقفين محدثين وعلاقتهم بمجتمعهم أولاً ثم بالأجانب ثانياً، ذلك أن كلاً من (حي بن يقظان) و (أبسال) كان أجنبياً عن الآخر، ثم أن (حي بن يقظان) وإن رافق (أبسالا) في عودته إلى جزيرة قومه فإنه أجنبي عنه، وقد تحمّل الصعوبات من أجلهم، إذ:- "من المعروف أن كل جديد في الحياة أو الفن لا يولد بدون معاناة وألم . هكذا خلق المثقف في كل مكان وزمان"<sup>529</sup>، فقد عانى (أبسال) من قومه قبل هجره إياهم، كما عانى هو و (حي بن يقظان) منهم حين عاد إليهم مما اضطرهما إلى هجرهم مرة أخرى، لكن عقدة (حي بن يقظان) و (أبسال) وإن كانت في شعورهما بالتفوق على أهل الجزيرة ورغبتهما في تعليمهم وترقيتهم فإنهما لم يقدمتا نفسيهما على أنهما متغلبان عليهما ولا أحسن أهل الجزيرة تجاه (حي بن يقظان) بعقدة (الأجنبي) التي شعر بها المصريون مثقفين أو غير مثقفين وقد "نشأ أغلب المثقفين في الرواية المصرية في بيئات اجتماعية فقيرة، سواء أكانوا من الريف أو عواصم المدن، ولقد اصطدمت محاولاتهم لإغناء عقولهم وأرواحهم بطعام المعرفة الحديثة بعقبة مجرد العثور

---

528 - منشور في مجلة الحكمة - التي تصدر عن بيت الحكمة ببغداد- العدد 36 ايار مايو 2004- 1425 ص128-129.

529- شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة 1882-1952، ص471، عبد السلام حمو الشاذلي دار الحداثة للطباعة والنشر ط1 1985.

على (الرغيف الأسود) نظراً للنقود الشحيحة التي تفضل عليهم بها مجتمعهم العربي الكريم الذي ألجأ العديد من المثقفين بالرواية المصرية إلى بيع كتبهم من تراث العباقرة في الشرق والغرب لمجرد الحفاظ على كياناتهم الشخصي المادي.<sup>530</sup>، أما (أبسال)<sup>531</sup>، فقد كان مثقفاً أيضاً لكنه كان ثرياً فلما ضاق بقومه وطلب العزلة اشترى مركباً يحمله إلى جزيرة (الواقواق) فلما بلغها تركه لبحارته وهو يعني أن بعض المثقفين القدماء من أمثال (ابن طفيل) كانوا يعيشون حياة رحية خلافاً للمثقف المصري خاصة والمثقف العربي عامة، لكن هذا لا يعني أنه حكم عام يشمل المثقفين القدماء، ثم أن هذا يعني أن الشراء يُيسر الهجرة للمثقف إن أرادها، فهل ييسرها الفقر؟!

"ولم يتنفس المثقف المصري وهو يخوض معركته من أجل الأسس الأولى لمقومات الحياة الإنسانية غير عفونة الكبت والقهر السياسي من الاحتلال التركي والإنجليزي منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، وهو جو لم يورث المثقف المصري كما تصوره الرواية المصرية الحديثة غير العديد من العقد النفسية والفكرية. ولقد تمثلت العقدة النفسية الأولى لدى المثقف من خلال شعوره الضعيف بتفوق الأجنبي ثقافياً وحضارياً وسياسياً.<sup>532</sup> حين ائتلف (حي بن يقظان) و (أبسال)، لم يحس أحدهما بعقدة تجاه الآخر مع أنهما أجنبيان عن بعضهما، بل عرف كل منهما قدر صاحبه وحاجته إليه، فلما عرف كل منهما ما عند صاحبه رغباً في تعليم قوم (أبسال)، وانتقلا إليهم فلما لم يقبل كل من الفريقيين ما عند الفريق الآخر بقي قوم (أبسال) في جزيرتهم وعاد الإلفان إلى جزيرتهما يعبدان الله تعالى وينتظران اليقين، فكان (حي بن يقظان) و (أبسال) على هذا أرقى من المثقفين المصريين كما يبدو في الروايات المصرية. كذا كانا أرقى من بعض المثقفين الأوروبيين الذين لم يعرفوا أهمية ما عند الشرقيين من ثقافة، بل إن الكثير من المثقفين الشرقيين أنفسهم لم يقدروا قيمة الثقافة التي عندهم فأصابهم ما لم يصب (حي بن يقظان) و (أبسالا). ثم أن مثقفين شرقيين آخرين انكفؤوا على ما عندهم من ثقافة ولم يقدروا ما عند الآخرين من إنجازات ثقافية قيّمة، الأمر الذي حصرهم في زاوية ضيقة مما أنتج تنوعاً ثقافياً يبدو أن (ابن طفيل) تنبه إلى وجوده في الأندلس، لكنه لم ينعكس على قصته إلا من خلال تفاعل عميق وصراع متنوع المستويات بين ثقافات المثقفين. ثم "أن شخصية المثقف في الرواية المصرية، قد تكاملت فيها عقدتان نفسيتان لا عقدة واحدة، فلقد رافق الشعور بالقصور أو النقص تجاه الحضارة والثقافة الأوروبية شعور المثقفين المصريين

530- م.ن، ص471، 472.

531- ينظر (حي بن يقظان)، ص115.

532- - شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، ص472.

بالاستعلاء عندما شبوا عن الطوق تجاه أغلبية مواطنيهم الأميين في الغالب الأعم... فالمثقفون في المجتمع المصري خلال الفترة الزمنية لهذا البحث كانوا يمثلون أقلية نادرة تسبح وسط محيط عريض من الكتل البشرية التي قد تبدو للمثقفين وكأنها ليست لها قوتها وطاقتها الفكرية والثقافية الخاصة.<sup>533</sup>، وعلى هذا يبدو (حي بن يقظان) و (أبسال) أرقى وعياً وأقدر على تحليل المجتمع، فلقد عرفا الناس في جزيرة (أبسال) وميزا بين طائفتين هما:-

أ. الجمهور .<sup>534</sup>

ب. الذين<sup>535</sup> هم (أقرب إلى الفهم).

وعرفاً بمميزات كل من هاتين الشريحتين وحاجات كل منها خلافاً للمثقفين المصريين الذين لم يعرفوا مزايا الشعب مع ملاحظة التعميم في عبارة (المثقفين المصريين)، إذ أنهم غير متفقين فيما بينهم، ثم أن (حي بن يقظان) و (أبسالا) لم يعانیا عقدة الضعف ولم يتصوراها في غيرهما، ولا عانيا من عقدة الاستعلاء على الآخرين، إلا أنهما شعرا باختلافهما عن الآخرين، وأحسّا بأن محاولتهما التفاعل مع الآخرين لم يكتب لها النجاح، مما دعاهما إلى الانسحاب خلافاً للمستعمر الذي فرض مصالحة الاستعمارية على المصريين، ثم أن "الرواية التعليمية في القرن التاسع عشر لا تكشف من خلال معالجة كتابها لشخصية المثقف، عن غلبة هوى، بالحضارة الأوروبية لأنهم لم يدركوا جوهرها في أغلب الأحيان"<sup>536</sup>، أما (حي بن يقظان) و (أبسال) فلقد فهم كل منهما الآخر، فأفاده واستفاد منه، ولو حدث ذلك بين المثقفين المصريين والمثقفين الأوروبيين لتغير الحال. وهكذا تبين الكثير من الاختلاف بين مثقفي (ابن طفيل) ومثقفي الروائيين المصريين الذين استفادت منهم هذه المقاربة النقدية.

---

533- شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، ص 473.

534- ينظر (حي بن يقظان)، ص 120.

535- م.ن، ص 120.

536- شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، ص 473.

## كلمة ليست أخيرة

لقد انتهينا توا من دراسة مجموعة من شعراء الأندلس وناثريها، وحفظنا أو درسنا جوانب من شعرهم وموشحاتهم ونثرهم ما حفظنا أو درسنا؛ متعرضين للتعرف على موضوعات أدهم التي تظم جوانب مهمة من فكرهم وحضارتهم بين التألق والضعف، مهتمين بشيء من قضاياهم الفكرية تقليدهم؛ تجديدهم؛ تأثرهم؛ تأثيرهم... الخ فهل نزع أننا استوعبنا كل ما للأندلسيين من فكر وأدب؛ يمكننا أن نعكسه على حياتنا أو نفهم حياتنا من خلاله؛ حالين مشاكلنا استنادا إلى ما فعلوه؛ أصابوا أم أخطؤوا؟! إذا نظرنا إلى الكأس الممتلئ نصفه، قلنا:- (نعم) ردا على هذا السؤال، ففي هذا الكتاب ما فيه من نفع، لكن إذا نظرنا إلى النصف الفارغ من الكأس، كان جوابنا عن السؤال بالنفي، أما كاتب هذا الكتاب، فهو يرى الكأس بنصفه الفارغ والممتلئ أما الفارغ فلئلا يغتر هو أو يغتر قرائه، فما هذا الكتاب إلا محاولة أولية لدراسة المنجز الأندلسي الفكري والأدبي، والمؤكد أن دراسة هذا الكتاب ستثير مناقشات وأفكارا وأسئلة، تحتاج إلى إجابات على هذا الأساس لا أظن أن طبعة جديدة من هذا الكتاب ستخلو من إضافة أو تصويب أو تدقيق، ذلك أن الكمال لله وحده عز وجل، ثم أنه لا يوجد كاتب يزعم أن كتابه مستوعب لكل مطالب البحث، فإذا لم يكن الكاتب كاملا، فمن الطبيعي ألا يكتمل الكتاب، لكن من الممكن أن يتطور الكتاب في الطبعات التالية، إذا تطور كاتبه فوجد مسوغا لهذا التطوير، وكاتب هذا الكتاب؛ يعلم أنه إن أبقاه الله على قيد الحياة معافى فإنه سيتطور، فيطور هذا الكتاب، والله من وراء القصد .

قائمة ببعض مصادر الكتاب ومرآته مرتبة بحسب الحروف الهجائية مع تقديم القرآن الكريم وإسقاط الألف واللام إن وجدت

أولاً: الكتب

- 1- القرآن الكريم
- 2- أبو الحسن الحصري القيرواني (محمد المرزوقي، والجيلاني بن يحيى، ط المنار، تونس).
- 3- أخبار أبي نواس، تأليف ابن منظور الأنصاري، عني بتحقيقه شكري محمود أحمد، مطبعة المعارف بغداد، 1952.
- 4- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، بدون مؤلف تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت ط2 1410هـ 1989م.
- 5- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة تأليف الدكتور احمد هيكل ط5، دار المعارف بمصر، 1970م.
- 6- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة 92-897هـ تأليف الدكتور منجد مصطفى بهجت، نشر وتوزيع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر الموصل، الجمهورية العراقية، (1408هـ - 1988م)
- 7- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دكتور مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1975م.
- 8- الأدب العربي في الأندلس تطوره وموضوعاته وأشهر أعلامه، الدكتور علي محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1989.
- 9- أشعار النساء تأليف أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني توفي 384هـ حققه وقدم له الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي دار الرسالة للطباعة بغداد 1976م.
- 10- أميرة الأندلس، تأليف أحمد شوقي بك، مطبعة دار الكتب المصرية 1932م
- 11- (الأندلس في الشعر العربي المعاصر) تأليف الدكتور عبد الرزاق حسين، الكويت 2004 مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
- 12- (الأندلس في القصيدة العربية المعاصرة) للدكتور (عبد الرزاق حسين) الكويت 2004 مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
- 13- (أندلس لبغداد)، (محمد مظلوم)، الطبعة الأولى، دار المدى، 2002م سورية دمشق.

- 14 - بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت599هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتب اللبناني بيروت، دار الكتاب المصري القاهرة، المكتبة الأندلسية (14)، ط1، (1410هـ - 1980م).
- 15 - البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب تحقيق ج.س. كولان وإليفي بروفنسال ج2، ط5 دار الثقافة بيروت، بدون تاريخ طبع.
- 16 - البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف الدكتور سعد اسماعيل شلبي دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- 17 - تأريخ الأدب العربي، حنة فاخوري، ط3، منقحة ومزيدة، المطبعة البولسية.
- 18 - تاريخ الأدب العربي 3 العصر العباسي الأول، دكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- 19 - تأريخ الأدب العربي ج4، (الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر ملوك الطوائف وأوائل القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد) عمر فروخ ط8، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1981م.
- 20 - تأريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات في الأندلس الدكتور شوقي ضيف (دار المعارف).
- 21 - تأريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس تأليف الدكتور تقي الدين عارف الدوري منشورات جامعة ناصر الخمس ط1 1997م.
- 22 - تأريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي (ت401هـ) تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي القاهرة، بيروت 1989.
- 23 - تاريخ الفكر الأندلسي، أنخل جنثالث بالنتيا، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، ط1، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، مايو 1955.
- 24 - التجديد في الأدب الأندلسي، الدكتور باقر سماكة، ط1، نشر وتوزيع مكتب دار الجنائن للطباعة والنشر، مطبعة الإيمان بغداد 1971.
- 25 - تمام المتون إلى شرح رسالة ابن زيدون، خليل بن أبيك الصفدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المطبعة العصرية 1389هـ.
- 26 - التوابع والزوابع، ابن شهيد الأندلسي، حققها بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت.
- 27 - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي، قدم له وضبط

- شرحه ووضع فهرسه الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، 1425هـ - 2004م .
- 28- جيش التوشيح تصنيف لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ حققه وقدم له وترجم لوشاحيه هلال ناجي، أعد أصلاً من أصله محمد ماضور، مطبعة المنار - تونس .
- 29- حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل الأندلسي، قدم له بدراسة وتحليل د. جميل صليبا، د. كامل عياد، ط5، طبعة دمشق، 1962م .
- 30- دار الطراز في عمل الموشحات تأليف (أبي القاسم هبة الله بن جعفر ابن سناء الملك) تحقيق الدكتور جودت الركابي ط2 دار الفكر بدمشق 1397هـ 1977م .
- 31- دراسات في الأدب الأندلسي، دكتور سامي مكّي العاني، ط1 بغداد، 1978م .
- 32- ديوان إبراهيم بن سهل الإشبيلي، 643هـ، حققه ورتبه الدكتور محمد فرج دغيم، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1998 .
- 33- ديوان ابن حمديس الصقلي (ت527هـ) تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، سنة 1960 .
- 34- ديوان ابن خفاجة، ط المناهل، بيروت، 1951 .
- 35- ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق د. علي عبد العظيم، مكتبة النهضة المصرية، الفجالة 1957 .
- 36- ديوان ابن شهيد الأندلسي جمعه وحققه يعقوب زكي، ط تراثنا - القاهرة بدون سنة طبع .
- 37- ديوان ابن عبد ربه تحقيق وجمع وشرح الدكتور محمد رضوان الداية مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1399هـ - 1979م .
- 38- ديوان الأعمى التليلي (ت525هـ) ومجموعة موشحاته، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت المكتبة الأندلسية (6)، 1963 .
- 39- ديوان ديك الجن الحمصي، عبد السلام بن رغبان، 161 - 236هـ، جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004 .
- 40- (ديوان ليل الصب) للأستاذ (محمد علي حسن) - الطبعة الأولى 1968م مطبعة الإيمان بغداد شارع المتنبي
- 41- ديوان المعتمد بن عباد (ت488هـ) تحقيق د. أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد، القاهرة، 1951 .
- 42- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف أبي علي بن بسام الشنتريني،

- م 1 تحقيق سالم مصطفى البدري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- 43- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف أبي علي بن بسام الشنتري، م2، تحقيق سالم مصطفى البدري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .
- 44- رثاء المدن والممالك في الشعر الأندلسي، الدكتورة مهجة أمين الباشا ط 1، 2003م، شرع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق .
- 45- رسائل البلغاء، اختيار و تصنيف محمد كرد علي، ط 3، سنة 1365 هـ - 1946م .
- 46- رسائل قاضي إشبيلية، الفريد فرج، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية بغداد، 1981م .
- 47- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، حقق نصه ووضع حواشيه محمد عبد الله عنان، ط 1، المجلد الأول، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1400هـ - 1980م .
- 48- شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تأليف (ابن نباته المصري)، (686هـ-768هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، دار مطبعة المدني، القاهرة .
- 49- شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة 1882-1952، عبد السلام حمو الشاذلي دار الحدائق للطباعة والنشر ط 1 1985 .
- 50- الشعر الأندلسي بحث في تطوره و خصائصه، تأليف إميليو غرسية غومس، ترجمه عن الإسبانية حسين مؤنس، طبعة النهضة المصرية القاهرة 1956 .
- 51- شعر ابن المعتز؛ صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي؛ دراسة وتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي ج 1؛ منشورات وزارة الإعلام الجمهورية العراقية سلسلة كتب التراث (62) - دار الحرية للطباعة 1978 .
- 52- شعر ابن المعتز؛ صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي؛ دراسة وتحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائي، ق 2؛ وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية؛ سلسلة كتب التراث (67) دار الحرية للطباعة والنشر 1978
- 53- شعر السمييسر الأندلسي (صوت المعارضة) الرؤية والأداة، الدكتور حافظ المغربي، دار المتناهل، بيروت، 2006 م .



- 54- طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الأندلسي، حققه وقدم له صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية (أفاق عربية) بغداد، العراق، الدار التونسية للنشر، 1986م.
- 55- العاقل الحالي والمرخص الغالي للشيخ الإمام العالم العلامة صفي الدين الحلبي تحقيق الدكتور حسين نصار، الثقافة العامة، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد 1990.
- 56- عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، إبراهيم ياس خضير الدوري، دار الرشيد للنشر، 1982، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة.
- 57- العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده، تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي 390-456 من الهجرة ج1 حققه وفصله وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت - لبنان ط4، 1972.
- 58- الغزل في الشعر الجاهلي، (دكتور أحمد محمد الحوفي، دار القلم بيروت).
- 59- فصول في الأدب الأندلسي بين القرنين الثاني والثالث للهجرة، دكتور حكمت الأوسي، مطبعة سلمان الأعظمي، 1971.
- 60- فن التقطيع الشعري والقافية، دكتور صفاء خلوصي، ط3 منقحة ومزودة، بيروت 1966.
- 61- فن التوشيح لمصطفى عوض الكريم، ط الثقافة بيروت 1959.
- 62- فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، د. مصطفى الزباح، ط1، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1987.
- 63- قلائد العقيان لابن خاقان أبو نصر الفتح محمد بن عبيد الله، طبعت التقديم العلمية مصر 1320هـ.
- 64- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، المكتبة الأندلسية (8) 1963.
- 65- لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين بن مكرم الأنصاري، ط4، طبعة مصورة عن مطبعة بولاق المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع كوستاتسوماس وشركاه.
- 66- المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية ابن الخطاب عمر بن حسن، تحقيق الأبياري وحامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية 1954.

- 67- (معارضات قصائد أبين زيدون) للدكتور (عدنان محمد غزال) - الكويت 2004،  
 مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
- 68- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج 4، ط المشرق .
- 69- معجم المصطلحات العربية (د. مجدي وهبة، كامل المهندس ط2 مكتبة لبنان  
 1984).
- 70- المغرب في حلى المغرب، بدون مؤلف، حققه وعلق على حواشيه الدكتور شوقي  
 ضيف، ط3، دار المعارف، بدون تاريخ .
- 71- مقدمة ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق د. حامد أحمد الطاهر،  
 دار الفجر للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م .
- 72- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي دراسة موضوعية فنية، د. هدى  
 شوكت بهنام، الطبعة الأولى بغداد، 2000 دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية).
- 73- ملامح قصصية في الرسائل الأندلسية د. خليل محمد إبراهيم، المركز العلمي  
 العراقي - بغداد، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان بيروت 2013 .
- 74- من فصول ابن المعتز ورسائله ونصوص من كتبه المفقودة وأخباره، جمع وتحقيق  
 الدكتور يونس أحمد السامرائي، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة خزانة  
 التراث، الطبعة الأولى، بغداد 2002 .
- 75- الموشح في الأندلس وفي المشرق، محمد مهدي البصير، ط المعارف، بغداد 1948 .
- 76- النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، دكتور حازم عبد الله خضر، دار  
 الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، 1981م .
- 77- نثير فرائد الجمال في من نظمني وإياه الزمان: ابن الأحمر، تحقيق: د. محمد  
 رضوان الداية، دار الثقافة - بيروت، 1967 .
- 78- نزهة الجلساء في أشعار النساء جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق عبد اللطيف  
 عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ .
- 79- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني  
 المقري ت 1041هـ، ج9، تحقيق أحمد فريد رفاعي ط عيسى البابي الحلبي، مصر، بدون  
 تاريخ طبع .
- 80- النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب، هدى شوكت بهنام، ط 1 الغري، النجف سنة  
 1977 .

81- يتيمة الدهر للثعالبي ج 2، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، 1375هـ، مطبعة السعادة.

### ثانياً: المجلات والأطرايح

1. الآداب مجلة تصدر عن كلية الآداب جامعة بغداد العدد (74) 1426هـ 2006م.
2. الحكمة مجلة تصدر عن بيت الحكمة ببغداد العدد 36 ايار مايو 2004 - 1425.
3. الحكمة مجلة تصدر عن بيت الحكمة ببغداد العدد (58) شتاء 2013.
4. مجلة كلية التربية طرابلس 1974.
5. مجلة المورد 5 2 1976.
6. مجلة المورد - المجلد السابع والثلاثين - العدد الثاني لسنة 2010 م تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة.
7. مجلة المورد المجلد 38، العدد 2 لسنة 2011م تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة.
8. مجلة المورد المجلد 41، العدد 1 لسنة 2014م تصدرها وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة.
9. ملامح قصصية في الرسائل الأدبية النثرية الأندلسية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجريين ، أطروحة تقدم بها (د. خليل محمد إبراهيم حسين علي)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بغداد، شوال 1423هـ - كانون الأول 2002م.

## تعريف موجز بالمؤلف

ولدت في (بغداد) عام 1943 .

كُفَّ بصري في عام 1944 دخلت معهد الأمل للمكفوفين عام 1954 واصلت دراستي مع المبصرين ابتداء من الصف الخامس الابتدائي أكملت دراستي الجامعية في كلية الشريعة عام 1969-1970 الدراسي عملت مدرسا للغة العربية والتربية الإسلامية في المدارس المتوسطة والإعدادية والثانوية أكثر من عشرين سنة كما درّست في الكلية التربوية المفتوحة مادتي الأدب الأندلسي والأدب الجاهلي، وبضع مواد أخرى .

أتممت دراستي للماجستير في قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة بغداد بتقدير جيد جدا عن رسالتي المعنونة :- (المفضليات دراسة في مواصفات الاختيار)، وقد أتممت دراسة الدكتوراه في قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة بغداد في الأدب الأندلسي بتقدير جيد جدا عن أطروحتي المعنونة :- (ملاحم قصصية في الرسائل الأدبية النثرية الأندلسية من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجريين)، وقد تحولت هذه الأطروحة إلى كتاب تحت عنوان :- (ملاحم قصصية في الرسائل الأندلسية)؛ صدر عن المركز العلمي العراقي ببغداد، طبعته دار البصائر للطباعة والتوزيع والنشر، لبنان بيروت 2013، صدرت مجموعتي القصصية الأولى عام 2001 تحت عنوان :- (مأساة طائر) -وقد نفدت من الأسواق - كما صدر لي كتاب (إعلام المكفوفين والمعوقين في العراق) عام 2006، ثم صدر لي كتاب (المكفوفون بين التعليم والتأهيل) عام 2008 وفي العام نفسه صدر لي كتاب (مع المعوقين) -حكايات للأحداث نفذ من الأسواق -وكان صدر لي كتاب للأحداث عنوانه: (عمو سليم) - نفذ من الأسواق - وأنا من كتاب مجلة حبيبي للأطفال، مما يوحي باهتمامي بالأطفال، والكتابة عن المكفوفين، بصورة عامة .

ثم صدرت لي رواية (دولة المتسولين) بطبعتها الأولى في عام 2014، تلتها الطبعة الثانية في عام 2017، ثم كتاب (من ألفاف الترجمة) عام 2014، وبعده كتابي (الثقافة بين الفلسفة والتعليم) عام 2015 .

- لي أكثر من مجموعة قصصية منشورة في الصحف منها:-
- أ. عداد الأعمدة: منشورة في جريدة التآخي الغراء، وقد استلهمها الأستاذ (عبد الحسين ماهود) في فلمه (عداد الأعمدة).
- ب. بنات حواء: منشور جانب منها في مجلة (بغداد) الغراء وهي وقراؤها مهتمون بها جدا.
- ت. مجموعة قصصية عنوانها (حكايات من بغداد الجديدة)، وهي مجموعة قصصية معدة للنشر نشرت الصحف بعضها.
- ث. النجاة في الصدق: رواية للأحداث منشورة على شكل حلقات في مجلة حبيبي وهي معدة للنشر.
- ج. من مذكرات أبي صابر: رواية للأحداث وهي معدة للنشر.
- ح. الأنبياء الكرام والتعويق، للأحداث؛ معدة للنشر.
- خ. من المعوقين كتاب، للأحداث؛ معد للنشر.
- د. أمل مشرق ذوو الاحتياجات الخاصة تجارب وأفكار. معد للنشر.
- وهناك الكثير من مؤلفاتي غير المنشورة ومنها مجموعتان شعريتان إحداها تحت عنوان (أحلام في زمن الآلام) وثانيتهما عنوانها (غناء الهموم) إضافة إلى ذلك فهناك قصص شعبية منشورة لي في مجلة التراث الشعبي أو هي معدة للنشر فيها أو في غيرها من المجلات التراثية الشعبية؛ عدا عن كتابي المعنون:- (التراث الشعبي وظيفته التعليمية)، وهو -في جانب منه- يستند إلى القصص الشعبي.
- ولي روايات منها ثلاثية:- (دولة المعوقين) معدة للنشر.
- وقد حضرت أكثر من ثمانين مؤتمرا علميا ومهرجانا أدبيا وحلقة دراسية وورشة عمل بوصفي باحثا، وقد نشرت أبحاثي مجلات علمية محكمة، كما ألقيت محاضرات عديدة ولي أكثر من (ألف) مقال منشور في المجلات والصحف السيارة؛ إضافة إلى أنني مدرس الأدب الجاهلي، والإسلامي، والأندلسي، وتحليل النص في قسم اللغة العربية بكلية

الآدابجامعة الأكاديميين العرب والمشرق اللغوي على مجلتها المحكمة، هذا شيء من شأني التعليمي والنقدي .

أما عضويتي فأنا منتسب إلى :-

أ. الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق منذ عام 1985 .

ب. نقابة المعلمين .

ت. جمعية العلوم الاجتماعية .

ث. جمعية حقوق الإنسان، وغير ذلك .

أما خبراتي، فهناك الكثير ممن يستفيدون منها، ومنهم :

1 . من خبراء المديرية العامة للمناهج في وزارة التربية العراقية .

2 . من خبراء دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة العراقية .

3 . من خبراء مجلة جامعة الأكاديميين العرب؛ المحكمة والمشرق اللغوي عليها

## الفهرس

5.....	اهداء
7.....	مقدمة
9.....	تمهيد
13.....	طبيعة الأندلس
13.....	شيء من تاريخ الأندلس
21.....	كتب أندلسية
24.....	من أشهر شعراء الأندلس
70.....	من موضوعات الشعر الأندلسي
89.....	خصائص الشعر الأندلسي
105.....	الموشحات الأندلسية
126.....	النثر الأندلسي
129.....	الرسائل الديوانية
143.....	فن المقامة
146.....	التقليد والتجديد في الأدب الأندلسي
155.....	الموشح الأندلسي بين الأصالة والإبداع (جادك الغيث) أنموذجا
165.....	الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير

- 172..... من مصادر حي بن يقظان لـ (ابن طفيل )
- 174..... كلكامش وحي بن يقظان وجهان لعملة واحدة
- 177... وعي المثقف؛ مقارنة بين المثقفين في (حي بن يقظان) والرواية المصرية الحديثة
- 180..... كلمة ليست أخيرة
- 181..... قائمة ببعض مصادر الكتاب ومراجعته